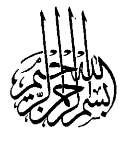

ON THE BEACH
على الشاطئ
نيفيل شوت
ترجمة: شرقاوي حافظ
سما

علي الشاطئ

ترجمة / شرقاوي حافظ



على الشاطئ (نيفين شوت)

شرقاوي حافظ

الطبعة الأولى: يناير
1440 هـ - 2019م

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية
دار الكتب المصرية
حافظ، شرقاوي
شرقاوي حافظ (على الشاطئ)
القاهرة: سما للنشر والتوزيع، 2019
272 ص: 13,7×19,5سم - على الشاطئ
تدمك 978-977-781-265-8
أ. العنوان
رقم الإيداع: 2018/26334
تدمك 978-977-781-265-8

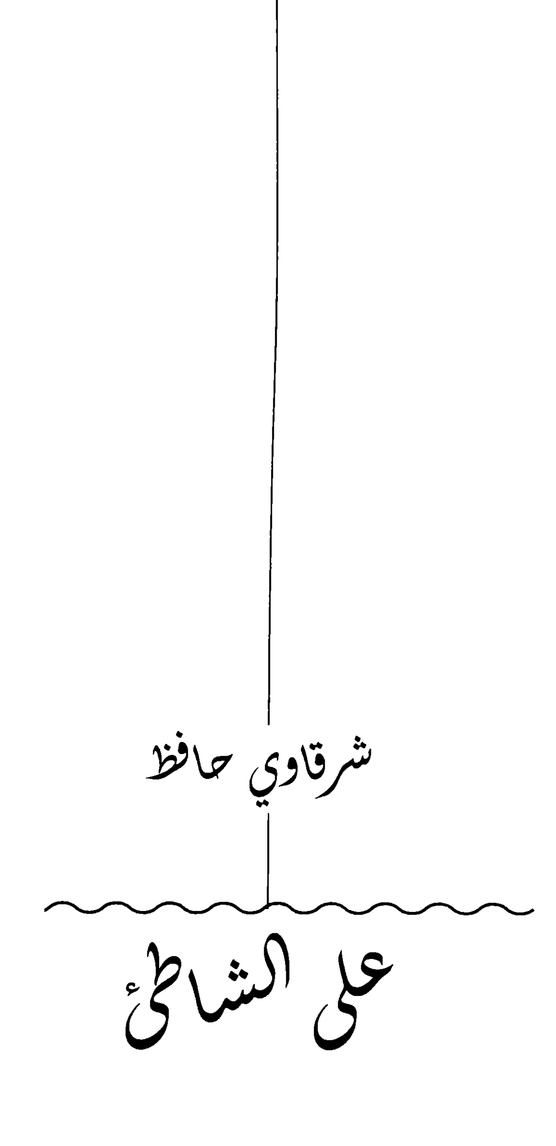
دار سما للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية
15 ش يوسف الجندي متفرع من شارع البستان - باب اللوق - القاهرة
تليفون: 24517300 202+ - 01271919100 2+
email: samanasher@yahoo.com
Web-site: publishing@sama-publishing.com

التوزيع
المجموعة الدولية للنشر والتوزيع
80 ش طومان باي - الزيتون - القاهرة - جمهورية مصر العربية
تلفاكس: 24518068 202+ - 01099998240 2+
email:aldawleah_group1@yahoo.com

التنفيذ الفني



دَرَج
للاستشارات وخدمات النشر
ali@daraj-eg.com



شرقاوي حافظ

على الشاطئ

في نهاية أماكن الملتقى

سنتحسس الطريق معًا

ونتجنب الكلام

ونجتمع على شاطئ النهر المنتفخ

هذه هي الطريقة التي سينتهي بها العالم

هذه هي الطريقة التي سينتهي بها العالم

هذه هي الطريقة التي سينتهي بها العالم

ليس بانفجار، ولكن بأنين

ت س إليوت

1

اســتيقظ (بيتر وليام) الرائد بحرى في الأكاديمية الأسترالية البحرية بعد الفجر بقليل، وظل مسـتلقيًا لفترةٍ مسـتمتعًا بالـدفء الذي يبعثه نوم (ماري) بجواره، ناظرًا إلى أشـعة الشمس الأسترالية التي تعكسها السـتارة الكريتون في غرفة النوم، عرف من أشـعة الشمس أن الساعة قرب الخامسـة، وبعد قليل سـيوقظ الضوء ابنته الرضيعة (جينيفر) في سريرها، وحينئذ سوف يسـتيقظون جميعًا ويقومون لأعمالهم، وليس من الضرورة أن يقوم قبل ذلك، فليبق قليلًا على السرير.

استيقظ سـعيدًا، ولم يمر وقت طويل حتى أدرك وفهم مصدر هذه السعادة، لم يكن المصدر عيد الميلاد، فقد مضى وانتهى، وأضاء شجرة التنـوب الصغيرة في الحديقـة، وبعض المصابيـح الملونة عن طريق توصيلة كهربية من غرفة الجلوس، كانت الشـجرة نموذجًا صغيرًا من الشـجرة الكبيرة المضاءة على بعد ميلٍ أمـام المجلس المحلي بمدينة فالموث، وتناولوا اللحم المشـوي في الحديقة مسـاء عيد الميلاد مع بعـض الأصدقاء، عيد الميلاد انتهى، هـداه التفكير، إذًا من المؤكد أن هذا يوم الخميس (السابع والعشرين) لما كان راقدًا على السرير، كانت سـفعة الشـمس ما زالت تؤلم ظهره من يوم أمس على الشاطئ، ومن

الإبحار في السـباق، من الأفضل أن يبقى القميـص عليه اليوم، وبعد أن اسـتفاق تمامًا، أدرك أنه من الأفضل أن يبقـى القميص عليه اليوم، لديه موعد في تمام السـاعة الحادية عشرة في مكتب نائب البحرية في سـلاح البحرية في ميلبورن، هذا يعني تعيينًا جيـدًا، هذا هو عمله منذ سـبعة شـهور، وربما لو كان محظوظًا يكون عملًا خاصًّا بالبحر، لكم اشتاق إلى السفينة.

إنـه يعني على أي حالٍ عملًا، وهذا ما جعله سـعيدًا عند ذهابه إلى النوم، واسـتمرت معه السعادة طوال الليل، إنه لم يقم بأي تعيينٍ منذ أن ترقى إلى رتبة رائد في أغسطس الماضي، وفي تلك الظروف فقد الأمل في أي عملٍ ثانية، لقد أبقت عليه الإدارة البحرية براتبٍ كامل خلال هذه الشهور، وكان ممتنًا لها من أجل ذلك.

بـدأت الطفلة تحدث حركة، وتضج وتئن بصوتٍ مزعج، مد ضابط البحرية يده وقام بتشـغيل الآلة التي على الصحفة بجوار السرير لإعداد الشاي وإطعام الطفلة، وبدأت (ماري) تحدث حركة بجواره، سألته عن الساعة فأجابها، وقال لها:

- إنه صباح جميل، مجددًا.

جلست وهي تمسد شعرها، ثم قالت:

- لقد سـفعت الشـمس جلدي بالأمس، وضعت كريم الكالامين على (جينيفر) ولا أرى ضرورة لذهابها إلى الشاطئ اليوم.

ثم تذكرت:

- أوه، يا (بيتر).. ستذهب إلى ميلبورن اليوم، أليس كذلك؟

أومأ:

- يجب أن أبقى اليوم في البيت، ينبغي أن نبقى يومًا في الظل.
- أعتقد أنني سأفعل.

نهض وذهـب إلى الحمام، عندما خرج كانـت (ماري) قد نهضت أيضًا، وأخذت تمشط شعر الطفلة أمام المرآة، جلس على حافة السرير، في مواجهة أشعة الشمس، وبدأ يصنع الشاي.

قالت له:

- أرى أن اليوم سـيكون حارًا، سـنذهب إلى النادي في السابعة، والحق بنا كي نسبح، سآخذ ملابس البحر الخاصة بك وعربة الأشياء.

كانت لديهم سيارة صغيرة، وعندما توقفت الحرب القصيرة منذ عام لم يستخدموها، كان (بيتر هولمز) ماهرًا ويفهم في الآلات، فقد كان يبتكر أشـياءً بديلة مقبولة، لقد كان لكلٍّ منهما، هو و(ماري) دراجة، استطاع أن يبتكر عربة صغيرة يمكن سحبها بالدراجة كي يستخدمها أحدهما في حمل الأشياء ووضعها في العربة الصندوقية وجرها بالدراجة، لم تكن هناك أي عقبة سوى المنحدر الذي يؤدى إلى فالموث.

أومأ:

- فكرة لا بأس بها، سآخذ دراجتي وأتركها في المحطة.
- أي قطارٍ ستأخذه؟

فارتشف الشاي وقال:

- التاسعة والخمس دقائق.

ثم نظر في الساعة وأردف:

- سأحضر اللبن بعد أن أنتهي من الشاي.

ارتدى (الشـورت) والقميص ثم خرج، كان يعيش في شقة بالطابق الأرضي لمنزلٍ على هضبة ينقسم إلى شـقق؛ ويحظى بالمرأب وجزءٍ كبير من الحديقة، توجـد (فراندة) حيث يحتفـظ بالدراجتين والعربة الصندوق، كان من المنطق أن يركن سـيارته تحت الشـجر ويسـتغل المرأب، لكن نفسـه لم تطاوعه على فعل ذلك، كانت السيارة موريس هي أول سـيارة يشـتريها، وقد غازل بهـا (ماري).. لقـد تزوجا عام 1961 قبل الحرب بستة شهور، قبل أن يبحر (فيالق القوات الأسترالية النيوزلندية) بينما كان يعتقد أنه انفصال غير محدد، ثم نشـبت الحرب القصيـرة المحيرة التي لم يكتب عنها التاريـخ، أو يكتب عنها الآن، إذ اندلعت في نصف الكرة الشـمالي ثم تلاشت مع آخر تسجيلٍ للزلازل في اليوم السابع والثلاثين، في نهاية الشهر الثالث عاد إلى ويليامزتاون، بآخر ما فيها من وقود، بينما كان رجال دول النصف الجنوبي يجتمعون في ولينجتون في نيوزلندا ليناقشـوا الآراء ويقيمـوا الموقف، عاد إلى فالموث إلى (ماري) وسيارته موريس الصغيرة، كان في (تانك) السيارة ثلاثة جالونات من الوقود، اسـتخدمها بلامبالاة، بالإضافة إلى خمسة جالونات اشـتراها في المضخة قبل أن يعرف في أسـتراليا، أن الوقود يأتي من نصف الكرة الشـمالي، سـحب العربة الصندوق ودراجته من (الفراندة) إلى الفناء وشبك العربة بالدراجة، ثم ركب الدراجة وانطلق،

عليه قطع أربعـة أميال كي يحضر اللبن والزبد، فبسـبب نقص الوقود امتنع الموزعون عن التوزيع وكان عليهم أن يذهبوا بإحضار ما يريدون من مكان الفرز، قـاد الدراجة في صباح يومٍ دافـئ، والأواني تصطدم ببعضها البعض في العربة الصندوق خلفه، وهو سعيد بوجود عملٍ له.

كان المرور على الطريق قليلًا.

تجـاوز عربة كانت قديمًا سـيارة أزيـل منها الموتـور، والزجاج الأمامي، ويجرهـا عجل، وتجاوز اثنين على حصانين، يمكنه أن يقلب السيارة (موريس) هكذا، لكن سينفطر قلبه لو فعل ذلك.

وصل إلـى المزرعة في نصف سـاعة، واتجه مباشـرةً إلى حظيرة الحليب، يعرف المزارع جيدًا، طويل ونحيل، ويتكلم ببطء، ويمشـي بعـرجٍ منذ الحرب العالمية الثانية، وجده فـي غرفة الفرز، فقال ضابط البحرية

- صباح الخير يا سيد (بول).. كيف حالك اليوم؟
- بخيرٍ يا سيد (هولمز).. كيف الأحوال؟

وأخذ منه الإناء وملأه.

- بخير، سـأذهب إلى ميلبورن، لقسم البحرية، أظن أنني وجدت لي عملًا أخيرًا.
- آه، هذا أمر طيب، نوع من التعب في الانتظار.

- سيكون الأمر صعبًا بعض الشيء لو العمل يتضمن السفر في البحر، سوف تأتي (ماري) مرتين في الأسبوع لتأخذ اللبن، وستكون معها النقود.
- لا تقلق بشأن النقود، إلى أن تعود، فلا مشكلة، ولكن المشكلة معها، فماذا ستفعل مع (جينيفر)؟
- ستحضرها معها في مقطورة الدراجة.

يمضي المزارع نحو الحظيرة ثم ينظر في الدراجة ومقطورتها.

- مقطورة جيدة، أصغر مقطورة رأيتها في حياتي، هل صنعتها بنفسك؟
- نعم.
- وكيف حصلت على العجل؟
- اشتريتها من شارع إليزابيث، هي لدراجة بخارية أصلًا.
- هل يمكنك أن تشتري لي واحدة؟
- سأحاول، أعتقد أنها ما زالت تباع، هي جيدة في سهولة جرها.
- أظنها أصبحت نادرة الآن، فالناس هذه الأيام يتشبثون بالدراجات البخارية، لقد قلت لزوجتي لو أنني أمتلك مقطورة دراجة لجعلتها لها وأخذتها إلى (فالموث) للتسوق، من الصعب أن تذهب امرأة وحدها في الظروف الراهنة، كانت قبل الحرب تستغرق عشرين دقيقة بالسيارة، الآن العربة التي يجرها ثور تستغرق أكثر من ثلاث ساعات ونصف ذهابًا، ومثلها إيابًا، يعني سبع ساعات في الطريق فقط، حاولت أن

تتعلم ركوب الدراجة، لكنه من الصعب ولا سـيما أنها حامل، لكن لو معي مقطورة لأخذتها مرتين في الأسبوع إلى (فالموث) ولأخذت في طريقي الحليب للسيدة (هولمز).

فأومأ ضابط البحرية:

- سأحاول اليوم وأرى، ولا تعنيك النقود.
- طالما جيدة، وتحافظ على الوقت مثل مقطورتك.
- سأحاول اليوم.
- لكنها بعيدة عن طريقك.
- سأذهب بالترام، البركة في الفحم.

ذهب المزارع إلى غرفة الفرز، وعاد ثم قال:

- أليس يستخدمون معدات كبيرة في استخراج الفحم؟
- نعم.
- إذًا من أين يأتون بالوقود اللازم لهذه المعدات؟

فقال (بيتر):

- سألت عن هذا ذات مرة، فعرفت أنهم يقطرونه من الفحم البني، الجالون يكلف جنيهين.
- غريب! كنت أتسـاءل إذا كانوا يفعلون ذلك لأنفسهم، فيمكنهم أن يصنعوا لنا، ولكن السعر غير عملي.

أخذ (بيتر) الحليب وإناء القشدة، ووضعهما في المقطورة، وانطلق إلى البيت، كانت الساعة السادســة ونصف عندما عاد، تحمم وارتدى الزي الرســمي الذي نادرًا ما ارتداه منذ أن ترقــى، وعجل الإفطار، ثم ركــب دراجته مســرعًا ليلحق استكشــاف تجار العجل قبــل العمل، تــرك دراجته في المرأب الذي كان يركن به ســيارته الصغيرة في الأيام الماضية، لم يعد تركن فيه ســيارات الآن، بل وقفــت الأحصنة مكان الســيارات، أحصنة رجال الأعمال الذين من خارج المدينة، بينما كانوا يجيئون بالقطار الكهربائي، لقد تباطأت الحياة العملية في المدينة، فتم إلغاء قطار الســاعة الخامســة وثلاث دقائق، ليحل محله قطار الرابعة وســبع عشــرة دقيقة، وصل (بيتر) إلى المدينة وهو مشــغول بمهمته الجديدة، فبسبب نقص الورق أغلقت جميع الصحف اليومية وصارت الأخبار تأتي عن طريق الراديو فقط، صارت البحرية الأسترالية الملكية الآن أســطولًا صغيرًا، تحولت سبع ســفن صغيرة من وقود بالنفط إلى وقــود الفحم باهظ التكلفة والجهد، تم إلغــاء تحويل حاملة الطائرات (ميلبورن) عندما وجد أن هبوط الطائرات ســيكون بطيئًا وغير آمن إلا في حالات الرياح الشديدة، علاوة على ذلك، تم الاقتصاد في مخزون وقــود الطيران حيث تم تخفيــض برامج التدريب إلــى الصفر تقريبًا، وأصبح يبدو الآن غير ملائم على الإطلاق لحمل الأســطول الجوي، لم يسمع عن أي تغييرات في ضباط السبع كاسحات ألغام والفرقاطات التي ظلت جاهزة للاســتخدام، وصل المدينة بعد ســاعة وأخذ الترام السائر في الشــوارع الخالية من أي مركباتٍ أخرى، ثم اتجه إلى منطقة

تجارة العجل، كانت معظم المحلات مغلقة، فأخذ يبحث عن العجل حتى وجد أخيرًا زوجًا من ماكينتين مختلفتين لكنهما يتوافقان معًا عن طريق (ميكانيكي) أخذ الترام وعاد إلى قسم البحرية ومعه العجل وقد ربطه بحبلٍ وأثبت حضوره لدى السكرتارية، فقال له الضابط الشاب:

- صباح الخير يا افندم، الأدميرال لديه قرار تعيينك على المكتب، لكنه يريدك شخصيًّا.

ودخل الضابط ليخبر الأدميرال ثم عاد ليخبر الرائد البحري الذي وضع العجل بجوار مكتب السكرتارية وهندم من زيه:

- الأدميرال سيراك حالًا يا افندم.

دخل الرائد إلى مكتب الأدميرال ثم أدى التحية ووقف انتباه، فاستدار الأدميرال الذي يجلس على مكتبه وقال:

- صباح الخير يا حضرة الرائد، استرح واجلس.

جلس (بيتر) على كرسيٍّ بجوار المكتب، حياه الأدميرال بسيجارة وأشعلها له، ثم أشعل لنفسه سيجارة أخرى وبادر قائلًا:

- إنك بدون عملٍ منذ فترة.
- نعم يا فندم.

فأردف الأدميرال:

- سأرسلك في مهمةٍ بحرية، على الغواصة العقرب (جاتو) كضابط اتصال.

نظر إلى الضابط الشاب ثم أردف:

- أعرف أنك قابلت الرائد (تاورز).
- نعم يا افندم.

لقد قابل رائد الغواصة العقرب مرتين أو ثلاث مرات في الشهور القليلة الماضية، فوجده رجلًا هادئًا، لين الكلام، في الخامسة والثلاثين أو نحو ذلك، له لكنة نيوانجلاند، كان في عرض المحيط عندما اندلعت الحرب، فاتجه بأقصى سرعة تجاه (مانيلا) حتى وصل في اليوم الرابع شمال جزيرة (ايوجيما) وحاول الاتصال بميناء (بيرل هاربر) لكن دون جدوى، فاستمر حتى اقترب من الفلبين، حاول الاتصال بميناء (دوتش هاربر) وأيضًا دون جدوى، فاستمر حتى وصل إلى (لوزون).. وجد في ممر بالينتاج المائي، كثافة من النشاط الإشعاعي إلى المستوى المميت، فاستمر حتى وصل (مانيلا) دون أوامر، ورأى خلال المنظار الأفقي أن الكثافة الإشعاعية أقل لكن فوق مستوى الخطر، فوقف على بعد خمسة أميال، وعلى عمق المنظار فقط.

فشل هذه الليلة أيضًا أن يتصل بأي محطةٍ أمريكية، أو بأي سفينةٍ تنقل إشاراته، واستنفدت الخزانات كل الهواء المضغوط، فلم يكترث بجذب هواءٍ ملوث من البيئة المحيطة، ظل تحت الماء لمدة ثمانية أيام، وطاقمه لم يزل لائقًا، رغم أن العصاب بدأ يظهر نتيجة القلق والظروف التي في وطنهم، استطاع أن يتصل بالراديو بمحطة استرالية في (بورت مورسباي) بغينيا الجديدة، الأحوال عندهم طبيعية، لكن لا تستطيع نقل إشارته، فرأى أنه من الأفضل أن يتجه إلى الجنوب، فكان مساره إلى جزير (ياب) حيث يوجد خط أرضي تحت سيطرة الولايات المتحدة، فوصل

هناك بعد ثلاثة أيام، وجد أن كثافة الإشـــعاع طبيعية، فخرج إلى السطح في مســـاحةٍ معتدلة، ونفخ السفينة بالهواء النقي، وشحن الخزانات، ثم ســـمح للطاقم أن يصعد على الســـطح في مجموعات، وجد بعد ذلك طرادة أمريكية، أرســـلت له قاربًا، وســـمح للطاقم أن يصعد جميعهم فوق السطح، واستقل القارب ليضع نفســـه تحت قيادة كابتن الطرادة، الكابتن (شـــو) وهناك عرف لأول مرة الحرب الروسية الصينية وكيف نشبت، التي كانت نتيجة للحرب الإسرائيلية العربية، التي بدأتها ألبانيا، وعرف استخدام قنبلة الكوبالت بين روسيا والصين، كانت هذه الأخبار تأتي بطرقٍ ملتوية من أســـتراليا المنقولة لها من كينيا، كانت الطرادة في (ياب) في انتظار صهريج أســـطول للتموين، وظلت هناك لمدة أسبوع وعلى مدى الخمسة أيام الأخيرة انقطع الاتصال مع الولايات المتحدة، لدى الكابتن وقود كافٍ للذهاب بالســـفينة إلى (بريزبين) بأقصى سرعة اقتصادية، ظل الكابتن (تاورز) لمدة ســـتة أيام في (ياب) بينما الأخبار تزداد سوءًا، لم يفلحوا لإجراء أي اتصالٍ بأي محطةٍ أمريكية أو أوربية، لكنهم أول يومين اســـتطاعوا التقاط إشارة من مكسيكو سيتي، وكانت الأخبار كما هي ســـيئة، ثم اختفت المحطة بعـــد ذلك، ولم يلتقطوا إلا من بنما وبوجوتا وفالباريزو التي لا تعرف شـــيئًا عما يحدث في القارة الشمالية، اتصلوا بسفنٍ قليلة من البحرية الأمريكية في جنوب الهادي، كلهـــا ينقصها الوقود مثلها، أثبت كابتن الطـــرادة في (ياب) أنه أكبر من ضباط الســـفن الأخرى، إذا اتخذ قرار ذهاب كل السفن الأمريكية إلى المياه الأســـترالية ووضعها كلها تحت القيادة الأسترالية، وأعطى إشارة

إلى جميع السفن أن تقابله في برزبين، فالتقت جميعًا بعد أربعة عشر يومًا، إحدى عشر سفينة من البحرية الأمريكية، كلها بلا مخزون من الوقود وتنتظر التموين، كان ذلك قبل عام، وظلوا هناك.

لم يكن الوقود النووي للغواصة العقرب متوفرًا في أستراليا في وقت وصولها هناك، لكن يمكن إعداده، لقد أثبتت أنها المعدة البحرية الوحيدة في المياه الأسترالية التي تمتلك مساحة تحرك ذات شأن، لذا أبحرت إلى (ويليامزتاون) الترسانة البحرية في (ميلبورن) لأنها أقرب ميناءٍ لمقر الإدارة البحرية، لقد كانت في الحقيقة السفينة الحربية الوحيدة في أستراليا التي تستحق العناء، لقد ظلت فترة تقارب ستة شهور بلا تفعيل حتى تم تزويدها بالوقود النووي، ثم قامت برحلةٍ إلى (ريو دي جانيرو) لتزويد غواصة أخرى بالوقود النووي ثم عادت إلى (ميلبورن) لتخضع لتجديدٍ شامل في الترسانة، كل هذه الخلفية عن (تاورز) مرت بذهن (بيتر هولمز) وهو جالس بجوار مكتب الأدميرال، وفكر في (ماري) والطفلة ما دفعه إلى أن يسأل:

- كم من الوقت ستستغرق هذه المهمة يا سيدي؟
- سنة تقريبًا، وهذه آخر بعثة لك يا (هولمز).
- أعلم يا افندم، إنني ممتن جدًّا لهذه الفرصة، هل ستبقى السفينة لوقتٍ طويل في البحر، فأنا متزوج ولدي طفلة، فالظروف أصعب مما كانت عليه من قبل.

- طبعًا كلنا في القارب نفســه، لذلــك طلبت رؤيتك قبل الذهاب إلى هذه المهمة، ولن ألومك إذا اعتذرت عنها، لكن لا أضمن أن يكون هناك تعيين آخر لك، بالنســبة للغوص الكابتن (تاورز) يقدر أحد عشر يومًا لرحلةٍ أولى، ثم رحلة ثانية تستغرق شهرين.
- هل ستكون هناك فترة بين الرحلتين يا افندم؟
- أظــن أن الغواصة ســتظل لمدة أربعة عشــر يومًا في الترســانة للصيانة.
- ولا شيء بعد ذلك في البرنامج.
- إلى الآن لا شيء.

جلس الضابط الشــاب يفكر للحظةٍ في التســوق، ووعكة الطفلة، والحليــب، الوقت صيف ولا حاجة إلى حطــب التدفئة، لو أن الرحلة بدأت في فبراير فيمكن أن يكون في المنزل في أبريل، قبل حلول البرد، وإذا تأخر من الممكن أن يســاعدها المزارع في حطب التدفئة، فسوف يحصل الآن على العجل الذي اشــتراه لــه للمقطورة، فمن الأفضل أن يقوم بهذه المهمة، سوف تغضب (ماري) لو أنه رفض هذا التعيين، فهي ابنة ضابطٍ بحريٍّ ســابق، قابلها في حفلٍ راقص على سفينةٍ حربية أثناء تدريبه، فرفع رأسه بالموافقة قائلًا:

- أنا مســتعد للمهمة، لكن هل من الممكن مراجعة الموقف بعد الرحلتين؟

أخذ الأدميرال يفكر في أنه ضابط شــاب حديث الزواج، وقال بعد أن قرر:

- حسنًا، من الممكن أن نعود بعد خمسة شهور، أي في بداية شهر مايو، وتثبت حضورك لي بعد هذه المدة.
- هذا رائع جدًّا.
- عليك أن تثبت حضورك يوم الثلاثاء في غواصة العقرب، ستأخذ حالًا خطابًا للكابتن، وهي في ويليامزتاون.
- أعرف يا ســيدي، هل مــن الممكن أن أعــرف إذا كان الكابتن (تاورز) على الغواصة اليوم أم لا؟ فأود أن أتعرف عليه وعلى الغواصة إذا أمكن.
- نعم موجود حاليًّا، هناك شــاحنة نقل جنود ســتتحرك الســاعة الحادية عشرة، يمكنك اللحاق بها.

بعد عشــرين دقيقة كان (بيتر هولمز) يجلس بجوار ســائق الشاحنة الكهربائية، التي تســرع في صمتٍ في الشــوارع المهجــورة لا يعوقها شيء، وصلت الشاحنة إلى الترســانة ظهرًا، واتجه (بيتر) إلى المرسى الذي تشــغله السفينة ســيدني، ثم اتجه إلى جناح الضباط، لم يكن في الجناح سوى عشرة ضباط منهم خمسة بالزي الرسمي الكاكي العاملين في البحرية الأمريكيــة، كان بينهم كابتن الغواصــة العقرب الذي جاء مبتسمًا ليقابل (بيتر).

- أهلًا حضرة الرائد، سعيد لأنك أتيت.

- آمل ألا تمانع يا سـيدي، لأن موعدي يوم الثلاثاء، لكنني عندما كنـت في إدارة البحرية، جئت وأتمنى ألا تمانع في تناول الغداء معكم، وإلقاء نظرة على السفينة.

- أهـلًا بك، لكم سـعدت عندما أبلغني الأدميـرال (جريمواد) بانضمامك لنا، أحب أن أعرفك ببعض الضباط.

واستدار إلى الآخرين

- هـذا الضابط التنفيـذي، السـيد (فاريل) والضابـط مهندس (لوندرجرين) وهؤلاء السادة (بينسون، ودوهيرتي، وهيرتش).

ثم التفت إلى (بيتر)

- ما رأيك في مشروبٍ قبل الغداء؟

- شكرًا جزيلًا، آخذ (جن).

فضغط الكابتن على جرس، وسأله (بيتر):

- كم ضابط على الغواصة العقرب يا افندم؟

- أحد عشر ضابطًا.

- يجب أن يكون جناح الضباط أوسع من هذا.

- لا يحـدث التزاحم إلا إذا وجدنا كلنا، وهذا يحدث نادرًا، فنحن في غواصة، وهناك مأوى مخصص لك يا سيادة الرائد.

- لي لشخصي أم بالتبادل؟

جفل الرائد قليلًا ثم قال:

- لا، كل ضابط في العقرب له مأواه الخاص به.

جاء مشرف الجناح ردًّا على الجرس، فقال له الكابتن:

- واحد (جن) وستة أكواب برتقال.

شعر (بيتر) بالحرج ولام نفسه على التسرع في استنتاجاته، واستوقف المشرف..

- ألا تشربون في الميناء يا سيدي؟
- لا، العم (سام) لا يحب ذلك، لكن لك الحرية، فهذه سفينة بريطانية.
- أريد أن أسير على خطاكم، لو سمحت، سبعة أكواب برتقال.

تناولوا الغداء في سيدني، ثم عادوا إلى الغواصة، كانت أكبر غواصة رآها (بيتر).. تحمل ستة آلاف طن، وقوة توربيناتها التي تعمل بالطاقة الذرية قدرها عشرة آلاف حصان، بالإضافة إلى الطاقم المكون من أحد عشر ضابطًا يوجد سبعون ضابط صف ومجندًا، كانت الغواصة مهيأة للجو الاستوائي، لم يكن (بيتر هولمز) بحار غواصة، لذلك لا يستطيع أن يحكم عليها من وجهة نظر فنية، لكن أخبره الكابتن أنها سهلة القيادة والمناورة رغم ضخامة حجمها، لقد تم إزالة معظم معدات التسليح، وأنابيب الطوربيد، ما عدا اثنتين أثناء التجديد، مما جعل مساحة المطعم أوسع، وجعل العمل في غرفة التشغيل أسهل للمهندسين، قضى (بيتر هولمز) ساعة تقريبًا في هذه الغرفة مع ضابط مهندس (لوندجرين).. لم يعمل في سفينةٍ ذرية من قبل، ولأن معظم المعدات مصنفة على

أنهــا للأمن، جزء كبيــر منها كان جديــدًا، قضى جزءٌ مــن الوقت في اســتيعاب التخطيط العام لدائرة الصوديوم السائل لامتصاص الحرارة من المفاعل، والمبــادلات الحرارية المتنوعة، ودوائر الهيليوم المغلقة لزوج التوربينات فائقة الســرعة الذي يقود السفينة خلال أجهزة تقليل الحركــة الضخمة، إنها أضخم وأكثر حساســية مــن أي وحدةٍ أخرى من وحدات توليد الطاقة، وأخيرًا عــاد إلى كابينة الكابتن الصغيرة. رن الكابتن (تاورز) الجرس للمشــرف الملون، وطلــب منه فنجانين من القهوة، وقدم الكرسي إلى (بيتر) وسأله:

- هل ألقيت نظرة كافية على المحركات؟

- لست مهندسًــا، فلذلك الكثير منها فوق مستوى تفكيري، لكنها ممتعة، هل تسبب لك مشاكل؟

- لم يحدث لهذه اللحظة، لكن لو حدث ليس أمامك إلا أن تنتظر آملًا أنها تستمر في الحركة.

جاءت القهوة، وراحا يرتشفانها في صمتٍ، قطعه (بيتر):

- الأوامر أن أثبت حضوري لديكم يوم الثلاثاء، فأي وقتٍ تريدني هنا يا سيدي؟

- ســنبحر يــوم الثلاثاء في جــولاتٍ بحرية، فمــن الممكن يوم الأربعاء، وإن كنت لا أعتقد أننا سنتأخر لهذا الوقت، سنأتي بالمؤن يوم الاثنين، وسيجهز الطاقم.

- إذًا أفضل أن أحضر الاثنين، أي وقت قبل الظهر؟

- هذا عظيم، سنبحر ظهر الثلاثاء، أخبرت الأدميرال أننا سنتجول في مضيق (باس) كنوعٍ من التجريب، ونعـود ربما الجمعة، وأبلغ عن مدى استعدادي، فأي يومٍ قبل ظهر الاثنين سيكون مناسبًا.

- هل أسـتطيع أن أقدم أي عونٍ في الوقـت ذاته؟ يمكنني أن آتي السبت لو أن هذا سيكون مفيدًا.

- أقدر لك هذا، لكن نصف الطاقم في إجازة، وسأسـمح للنصف الآخر بإجازة نهاية الأسـبوع، فلن يكون هنا أحد سـوى ضابط وستة جنود للمراقبة، فيوم الاثنين مناسب.

وحدق بـ (بيتر) مردفًا:

- ألم يخبرك أحد بما هو المطلوب منا؟

ألم يخبروك يا سيدي؟

- إطلاقًا، أنا آخر من يمكنه أن يعرف أي أوامر بالإبحار

- لقد أخبرني الأدميرال أن سـيادتك ستقوم بجولةٍ بحرية تستغرق أحد عشر يومًا، ثم بجولةٍ أخرى تستغرق شهرين.

- هذه أخبار جديدة بالنسبة لي، هل أخبرك إلى أين سنتجه؟

- أخبرني فقط أنها ستستغرق شهرين.

سـادت فترة من الصمت ثم اسـتيقظ الأمريكي وابتسـم، ووجد الأسترالي أنه من الأفضل تغيير دفة الحديث إلى نبرةٍ أخف، فقال:

- ألن تذهب إلى أي مكانٍ في عطلة نهاية الأسبوع؟

- لا، سأظل هنا، ربما أخرج يومًا وأدخل سينما في المدينة.

يا له من برنامج ممل، غريب في بلاد غريبة. فقال (بيتر) باندفاع:

- هل تمانع لو جئت إلى (فالموث) لمدة يومين يا سيدي؟ لدينا غرفة نوم احتياطية، إننا نقضي معظم الوقت في نادي البحرية، نمارس السباحة والتجديف، سترحب زوجتي بمجيئك.

- هذا لطف منك.

وارتشف من القهوة وراح يفكر في العرض، من النادر أن يندمج أهل النصف الشمالي مع النصف الجنوبي هذه الأيام، فبينهما الكثير، اختلاف كبير في التجارب، فصنع التعاطف غير المحتمل حاجزًا، إنه يعرف ذلك، وأكثر من ذلك، وعلى هذا الضابط الأسترالي أن يعرف ذلك، من الناحية العملية عليه أن يعرف المزيد عن ضابط الاتصال، فطالما سيتصل بأستراليا من خلاله فعليه أن يعرف من هو، وتلك نقطة في صالح قبول الدعوة، علاوة على ذلك فإنها ستكسر الملل الذي يعيش فيه، وأفضل من الوحدة مع الأفكار والذكريات، ربما من الصعب أن يقبل الدعوة، ومن الصعب أيضًا أن يرفض دعوة من ضابطه الجديد.

- هل ترى أنه ليس عبئًا على زوجتك مع وجود طفل؟

- إنها ستحب ذلك، فهي ترغب في تغيير الوضع، إنها ترى نفس الوجوه، والطفل أيضًا يربطها.

- إذًا يمكنني أن أقضي معكم ليلة واحدة، سأظل هنا غدًا، والسبت أمارس السباحة، فلم أمارسها منذ زمنٍ بعيد، ما رأيك في أن آتي إلى (فالموث) بالقطار صباح السبت، فيجب أن أكون هنا يوم الأحد.
- سأنتظرك في المحطة، هل تركب الدراجات؟

أومأ الكابتن بالإيجاب.

- إذًا سأحضر معي دراجة لك في المحطة، فنحن نسكن على بعد ميلين من المحطة.
- هذا أمر جميل.

لقد تحولت سيارة (اولدزموبيل) إلى حلم، فآخر مرة ذهب بها إلى المطار كانت منذ خمسة عشر شهرًا، أما الآن يكاد ألا يتذكر لوحة القيادة، إنها مركونة في مرأب منزله في (كونتكت) لا يلمسها أحد تقريبًا، على المرء أن يعيش في عالمه الجديد، ويبذل ما في وسعه وينسى القديم، فالدراجات تملأ محطة السكة الحديد في أستراليا، نهض (بيتر) ليلحق بالقطار، أخذ معه جواب التعيين والعجل ثم استقل الترام إلى المحطة، وصل إلى (فالموث) في الساعة السادسة، علق العجل في مقود الدراجة وخلع الجاكت، ثم بدأ في تشغيل (البدال) بصعوبة وهو يصعد التل إلى منزله، وصل بعد نصف ساعة وهو يتصبب عرقًا، كانت (ماري) تستمتع بخرير النافورة في المرج الصغير، فتقدمت لاستقباله.

- آسف، لم أستطع الحضور إلى الشاطئ.

- خمنت أن شــيئًا عطلك، فجئنا في الساعة الخامسة والنصف، ما الأخبار بشأن التعيين؟
- هذه قصة طويلة، أفضل أن أستحم ثم أحكي لك بعد ذلك.
- خير أم شر؟
- خير، إبحار حتى أبريل ولا شيء بعد ذلك.
- أوه (بيتر).. عظيم، اذهب لتستحم وسأحضر كرسيين، وزجاجة بيرة كي تحكي لي بالتفصيل وأنت منتعش.

ركن الدراجة والعجل في (الفارندا) ثم عاد بعد حوالي ربع ســاعة، جلسا معًا وحكى لها كل شيء، ثم سألها:

- هل قابلت الكابتن (تاورز) من قبل؟
- لا، لكــن (جين فريمــان) قابلتهم جميعًا في الحفل بســيدني، وأخبرتني أنه لطيف، لكن كيف سيبدو عندما تعمل تحت سلطته؟
- حسنًا، إنه كفاءة، سيكون الأمر غريبًا في البداية، كسفينة أمريكية، لكنني أحببتهم جميعًا، ارتكبت خطأً في البداية إذ طلبت (جن).

هكذا قالت (جين).. إنهم يشربون على الشاطئ، لكن لا يشربون في السفينة، لا أعتقد أنهم يشربون مطلقًا وهم في الزي الرسمي.

- لقد دعوته لزيارتنا يوم السبت.

فحدقت في ذعر..

- الكابتن (تاورز)؟

- رأيت أنني يجب أن أدعوه، فسوف يكون على ما يرام.
- أوه.. (بيتـــر).. لن يكون على ما يرام، لكم يؤلمهم المجيء إلى بيوت الناس.
- لا تقلقـــي، إنه مختلف، إنه أكبر ســـنًّا إلى حدٍّ مـــا، أنا متأكد أنه سيكون على ما يرام.
- هل تتذكر قائد سرب الطيران الذي انتحب بكاءً؟
- الأمر كما قلت لك مختلف.

فاستسلمت لما لا مفر منه..

- كم سيقضي من الوقت؟
- ليلة واحدة، يريد أن يعود إلى إالعقرب، يوم الأحد.
- ليلة واحدة، لا تقلق، علينا أن نشغله طوال الوقت، ما الهواية التي يحب أن يمارسها؟
- السباحة، يريد أن يمارس السباحة.
- حسنًا، السباحة ثم نأخذه إلى السينما.
- ماذا يعرض في الســـينما؟ يجب ألا يكـــون فيلمًا أمريكيًّا، فربما شاهده، فلنر فيلمًا بريطانيًّا.
- هل هو متزوج؟
- لا أدري، لم أسأله، وإن كنت أعتقد أنه كذلك.

- لا عليـــك، هناك حفل في المســـاء، ويمكن أن تســـاعدنا (مورا ديفيدسون) في ذلك، إن لم تكن مشغولة في تلك الليلة.
- إن لم تكن مخمورة!
- ليست على هذه الحالة طوال الوقت، وعلى أي حالٍ إنها تضفي على الحفل بهجة.

فكر في الاقتراح ثم قال:

- فكـــرة لا بأس بها، ينبغي أن أخبرها بمـــا تفعله بالضبط، لا نريد لحظة ملل.

وبعد لحظة صمتٍ أردف:

- سواء على السرير أو خارجه.
- هي ليست كذلك، كما تعلم، كله ظاهري فقط.
- اعتبريها كما تريدين.

اتصلا بـــ (مورا ديفيدسون) هذا المســـاء وعرضا عليها الاقتراح، وقالت لها (ماري):

- رأى (بيتر) أنه كان لا بد من دعوته، أعني، لأنه رئيســـه الجديد، لكنك تعرفين كيف يشـــعرون عندما يكونون في بيت أي شخص، ومع وجـــود أطفال، ففكرنا أن ننظف المنزل جيدًا، ونضع كل هذه الأشـــياء جانبًا طوال الوقت، لكن المشـــكلة أنني لا أستطيع القيام بكل ذلك مع وجود (جينيفر).. فهل تســـتطيعين أن تشاركيني هذا الشأن؟ وهذا يعني ســـريرًا في البهو أو في (الفارندا) إذا أحببت، في يومي السبت والأحد

فقط، نريد أن نجعله مشـــغولًا طوال الوقت، هذا ما فكرنا به، ولا لحظة ملل، فكرنا في إقامة حفلٍ مساء السبت ودعوة بعض الناس.

- يبـــدو أن الأمر مزعج، هل هو مـــن النوع الأحمق الجبان، الذي يبكي في حضني ويقول أنني أشبه زوجته الراحلة؟ فالبعض يفعل ذلك.
- لا أدري، لم أقابله من قبل، دعيني أسأل (بيتر).

علقت الهاتف وذهبت ثم عادت:

- (بيتر) يخبرك أنه من الممكن أن يضربك إذا شرب كثيرًا.
- هذا أفضل، سأحضر صباح الســـبت، بالمناسبة، أنا توقفت عن شرب (جن).
- توقفت عن شرب (جن)؟
- إنـــه يتلف الأحشـــاء، ويثقب الأمعاء، ويســـبب القرحة، لذلك ابتعدت عنه تمامًا، واكتفيت بالبراندي، أشـــرب براندي كما يحلو لي، أظن ست زجاجات لعطلة نهاية الأسبوع، يمكنك أن تشربي ما تريدين من البراندي.

في صباح يوم الســـبت، ذهب (بيتر هولمز) إلى محطة فالموث على دراجته، وقابل هناك (مويرا ديفيدســـون).. وهي فتاة قوية البنية إلى حدٍّ ما، شعرها أصفر مرسل، ووجهها أبيض، وهي ابنة راعي ماشية يمتلك مزرعـــة صغيرة في منطقة تدعى (هاركاواي) قرب (بيرويك).. وصلت إلـــى المحطة على عربة يجرها حصان، اشـــترتها من محل اســـتعمال وجددتها بمبلغٍ معقـــول، والحصان جميل الطلعـــة يقف بين عمودى

العربة، كانت ترتدي بنطالًا أحمر اللون ساطعًا وقميصًا باللون نفسه، ليتماشى مع لون الشفاه وأظافر اليدين والقدمين، لوحت لـ (بيتر) الذي اتجه إلى رأس الحصان، فنزلت من العربة وربطت (اللجام) في درابزون كان يصطف به الركاب قبل صعودهم الحافلة، ثم قالت:

- صباح الخير يا (بيتر).. هل وصل الصديق؟
- سيصل في القطار القادم حالًا، متى غادرت البيت؟
- الساعة الثامنة.
- هل تناولت الفطور؟
- براندي، سأحتسي كأسًا أخرى قبل أن أصعد العربة.
- ألم تأملي شيئًا؟
- أتناول طعامًا؟ بيض ولحم خنزير وكل هذه الأشياء المقززة، أقامت عائلة (سايم) حفلًا أمس، وتقيأته كله.

سارا معًا حيث انتظار القطار.

- متى نمت؟
- الثانية والنصف.
- لا أدري كيف تواصلين، أنا لا أستطيع.
- أنا أستطيع متى احتجت إلى ذلك، لماذا نضيع الوقت في النوم؟ إنه شيءٌ سخيف.

وضحكت عاليًـا، لكنه لم يـرد لأنها على صـواب، فاتجاهه غير اتجاههـا، وقفا حتى جاء القطار وقابلا الكابتن (تاورز) على الرصيف، كان يرتدي ملابس مدنية، ويتسم بقصة شعرٍ أمريكية، حتى أنه بدا غريبًا بين الناس، قام (بيتر) بتعريف كلٍّ منهما للآخر، قال الأمريكي:

- لم أركب دراجة منذ مدةٍ طويلة، وأخاف أن أسقط.

فقال (بيتر):

- أعددنا لك شيئًا أفضل، لقد جاءت (مويرا) بعربتها.

- ما هي؟

فقالت الفتاة:

- عربة بحصان تسير ثمانية أميال في الساعة على الطريق المستوي.

قال (بيتر):

- معي دراجتي، سأركبها ونتقابل عند البيت.

ركب القائد (تـاورز) العربة بجوار الفتاة، وأخـذت هي (اللجام) وسارت خلف الدراجة، ثم قالت:

- سـأفعل شيئًا قبل أن أخرج من المدينة، وهو كأس براندي، رغم أن (بيتر) و(ماري) من أصدقائي، فهما لا يشربان كثيرًا، أرجو ألا تمانع، ويمكنك أن تشرب كولا إذا أردت.

انبهر (تاورز) فمنذ زمنٍ بعيد لم يتعامل مع أنثى بهذا الشكل، وقال:

- شربت كوكا بما يكفي، وأنا على الغواصة، سأتناول كأسًا.

- إذًا صرنا اثنين.

اتجهـت بالعربة إلى الشـارع الرئيسـي، ووقفت عنـد فندق باير، وربطت (اللجام) في إحدى السـيارات المركونـة لعدم وجود بنزين، ونزلت ورفيقها إلى قاعة السيدات، ثم قال لها:

- ماذا تشربين؟
- براندي مضاعفًا.
- ماء.
- قليل مع كثير من الثلج.

أبلغ الطلب لعامل البار ووقف يتفكر، فلا يوجد ويسـكي أمريكي، ويتشكك في الويسكي الأسترالي، فذهب وسألها:

- لم أشرب براندي كهذا من قبل، فماذا عنه؟
- ليـس قويًا، لكن تأثيـره يظهر تدريجيًا، وجيـد للأمعاء، لذلك أشربه.
- أعتقد سأشرب ويسكي.

طلب الويسكي، وقال لها:

- تشربين بكثرة؟
- هكذا يقولون لي.

تناولت الـكأس، وأخرجت سـيجارتين من حقيبتهـا، تبغ خليط أمريكي وأسـترالي، وأفريقي، قدمت له واحدة لكنه سبقها بواحدةٍ من

سجائره بنفس قوة النكهة وأشعلها لها، فنفثت سحابة طويلة من الدخان من أنفها، وسألته:

- ما اسمك؟
- دوايت.. دوايت ليونيل.
- أنا (مويرا ديفيدسون).. لنا مزرعة صغيرة على بعد عشرين ميلًا، أنت كابتن الغواصة، أليس كذلك؟
- نعم.
- هل أنت سعيد في مهنتك؟
- كان شرفًا لي أن أتولى القيادة، وأعتقد أنه لم يزل شرفًا.
- آسـفة للسؤال، فأنا أكون سـخيفة عندما أكون في كامل وعيي، أعطني أخرى يا (دوايت).

أحضر لها كأسًا أخرى، وهو لم يزل في كأسه الأولى، سألته:

- ماذا تفعل أيام الإجازة؟ تلعب جولف، أم الإبحار، أم الصيد؟
- الصيد في الغالب.

جالت بخاطره إجازة قضاها مع (شارون) في جزيرة جازبيزيا، لكنه أبعـد ذلك عن ذهنه، فيجب على المرء أن يركز على الحاضر وينسى الماضي، فأردف:

- الجو حار على الجولف، أعتقد أن (بيتر) ذكر شيئًا عن السباحة.

- أمر سهل، اليوم بعد الظهر تجرى مسابقة في الإبحار بالنادي، هل من اهتماماتك؟
- بالتأكيد، ما نوع القارب الذي لديه؟
- جوين تويلف، محكم، لكن لست أدري إذا كان سيبحر به شخصيًّا أم لا! إن لم يبحر، فأنا أساعدك في الإبحار.
- هذا إذا عزمنا على الإبحار، ينبغي أن نتوقف عن الشرب.
- إذا كنت تتعامل ككابتن أمريكي، لن أساعدك.
- حسنًا.
- إذًا سأساعدك.

حدقت به وقالت:

- هل ضربك أحد من قبل على رأسك بزجاجة؟
- عدة مرات.

قالها مبتسمًا، بينما شربت الكأس حتى الثمالة، وقالت:

- خذ كأسًا أخرى.
- لا، أشكرك، وإلا أسرة (هولمز) ستتساءل عما حدث لنا.
- ستتعرف بأي حال.
- هيا أريد أن أرى المدينة من فوق العربة.

أخذها وسار بها إلى الباب، ركبا العربة التي شقت طريقها داخل المدينة بسرعة حتى وصلت إلى التل فأبطأت حتى وقفت أمام منزل

(بيتر هولمز).. خرج الكابتن (بيتر) وزوجته لاستقبالهما، فقالت الفتاة بهدوء:

- آسفة لأننا تأخرنا يا (ماري).. لم أكن أدع القائد يمر على الحانة هكذا.

فعلق (بيتر):

- يبدو أنكما كنتما تعوضان الوقت.

علق قائد الغواصة:

- أخذنا جولة.

نزل من العربة وتعرف على (ماري) وقالت الفتاة:

- (بيتر).. (دوايت) يريد أن يبحر بقاربك بعد الظهر.

فقال القائد:

- لم أقل هذا.
- لكنك تريد.

ظلت (ماري) بعد الظهر في المنزل مع الطفلة، تعد حفل المساء، بينما ذهب (بيتر) و(دوايت) و(موير) إلى النادي بالدراجات، القار من خشب الرقائق المحكم، وبه كابينة صغيرة، وشراع مبسوط بكفاءة، وضعوا القارب في خط الانطلاق قبل البداية بخمس دقائق، سيقود الأمريكي القارب، تساعده (موير) بينما سيظل (بيتر) يراقب من على الشاطئ، قاما بمناورةٍ في الشمس الدافئة خلف خط الانطلاق لمدة دقائق، لم يمارس القائد الإبحار منذ سنوات، وخصوصًا مثل هذا

القارب، إنما هي كانت بارعة، ولاحظ هو أنها تقود بسرعةٍ فائقة، فوضع ثقته فيها، بمجرد أن انطلقت إشارة البدء، هبت الرياح بشدة، وتولى القائد الشراع وذراع الدفة ليحتفظ القارب بطريقه المستقيم، سطعت الشمس وبدت السحب كاللؤلؤ، فانهمك في التشغيل حتى أنه لم ينتبه للفتاة حينما اصطدمت قدمها بالقارب، وصل إلى العوامة وانطلق بمهارةٍ موجهًا الدفة وباسطًا الشراع، لكن تغير الوضع بعد عدة أقدام، إذ هبت عاصفة قوية فتوقف القارب، وأسدل الشراع، وفجأة وجد نفسيهما يسبحان بجوار القارب فصاحت بالقائد: «تشبث بالحبل الرئيسي»، ثم صاحت به مرة أخرى: «أوه، لقد انفك الستيان!» في الحقيقة حاولت أن تربط العقدة بين لوحي كتفيها، لكنه الآن يعوم بجوارها، فسحبته بيدها.

ظهر على البعد زورق الإنقاذ متجهًا نحوهما، فقالت لرفيقها: «زورق الدورية قادم فساعدني أن أرتدي هذا قبل مجيئه، عامت على وجهها وعقد المشد، وإن لم تكن محكمة، قالت: «هيا نستأنف السباق».. وأخيرًا استمرا في الإبحار دون مزيد من الحوادث حتى انتهى السباق وسجلا المركز قبل الأخير، استقبلهما (بيتر) وقد خاض في الماء لمسافةٍ تغطي وسطه.

- هل استمتعتما بالإبحار؟ لقد رأيت القارب يمتلئ بالماء.

فقالت الفتاة:

- كان إبحارًا لطيفًا.. (دوايت) ملأ القارب بالماء، وأنا سقط مني مشد صدري، لكن على أي حال كان إبحارًا ممتعًا.

بعد أن أخرجوا القارب ووضعوه في مكانه على الشاطئ، جلسوا يدخنون في شمس المساء الدافئة، بجوار جرف يجنبهم رياح الشاطئ الشديدة، نظر الأمريكي إلى المياه الزرقاء والمنحدرات الصخرية الحمراء، والقوارب الرأسية التي تهتز فوق الماء، وقال وهو يتأمل:

- بالنسبة إلى حجمه يعتبر ناديًا صغيرًا لطيفًا، لم أر مثله على الإطلاق.

فقال (بيتر):

- لأنهم لا يأخذون الإبحار مأخذ الجدية، وهذا هو السر.

فقالت الفتاة:

- هذا هو السر في كل شيء، متى سنبدأ الشرب مرة ثانية، يا (بيتر)؟
- الأصدقاء سيأتون في الثامنة.

ثم توجه إلى ضيفه:

- سيزورنا بعض الأصدقاء هذا المساء، أعتقد من الأفضل أن نذهب ونتناول الغداء في فندق أولًا.

فقالت الفتاة:

- بالتأكيد شيء جميل، لا أظنك ستأخذ القائد إلى فندق باير ثانية.
- هذا ما خططت له.
- لا أعتقد أنه قرار حكيم.

قالت ذلك بنبرةٍ حزينة، فرد عليها (دوايت):

- إنك تكونين عني سمعة في هذه الأنحاء.
- أنت تكونها لنفسك، إنني أبذل ما في وسعي كي أداري عليك، لن أنطق بحرفٍ عما فعلته لما مزقت ستياني.

نظر إليها (دوايت) غير مصدق، ثم ضحك كما لو أنه لم يضحك من قبل، وقال:

- حسنًا، سنجعل هذا سرًّا بيننا فقط.
- سأفعل ذلك من جانبي، لكنك ربما تخبر به كل فردٍ فيما بعد في المساء عندما تشعر بالشبع قليلًا.

قال (بيتر):

- من الأفضل أن نغير ملابسنا، فقد أبلغت (ماري) أننا سنكون في المنزل تمام السادسة.

فذهبوا إلى غرفة تغيير الملابس، وأخذوا طريق العودة بالدراجات، عندما وصلوا إلى البيت وجدوا (ماري) ترش الحديقة، تناقشوا في كيفية الذهاب إلى الفندق، وقرروا أخيرًا الذهاب بالعربة، إذ قالت الفتاة: «الأفضل أن نذهب بالعربة من أجل (دوايت).»

وذهبت مع (بيتر) إلى الإسطبل ليعدوا الفرس والعربة، فقالت وهي تركب عدة الفرس:

- كيف ترى ما أفعله يا (بيتر)؟
- تسيرين في منتهى الجمال، ولا لحظة ملل.
- هذا ما طلبته مني (ماري).. على أي حالٍ لم ينفجر بالدموع بعد.

- أخشى أن تنفجر عروقه بالدم، إذا استمررت في إزعاجه.
- لا أعتقد أنني أستطيع، فقد قمت بأدواري كلها.
- سيكون هناك مزيد من الإلهام في الليل.
- ربما.

استمرت الليلة، تناولوا العشاء في الفندق، وعادوا إلى المنزل ثم حلوا العربة ووضعوا الفرس في الإسطبل حتى الصباح، واستعدوا لمقابلة الضيوف في الساعة الثامنة، حضر أربعة أزواج للحفل المتواضع؛ طبيب شاب وزوجته، وضابط بحري، وشاب ظريف موصوف بأنه المزارع الذي كانت حياته لغزًا للأمريكيين، وصاحب أعمال هندسية صغيرة، رقصوا وشربوا معًا لمدة ثلاث ساعات، حريصين على تجنّب أي موضوعٍ جادٍّ في المحادثة، اليوم دافئ وازداد دفئًا شيئًا فشيئًا حتى أنهم نزعوا عنهم المعاطف وربطات العنق، واستمر الجرامافون في تشغيل أسطوانات اقترض (بيتر) الكثير منها للمناسبة، على الرغم من النوافذ المفتوحة خلف السلك، امتلأت الغرفة بدخان السجائر، من وقتٍ إلى آخر يفرغ (بيتر) محتويات المنفضة في السلة، ومن وقتٍ إلى آخر تأخذ (ماري) الأكواب الفارغة إلى المطبخ وتغسلها ثم تعيدها مرة أخرى، أخيرًا حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف أحضرت صحفة شاي وكيك، وهو علامة في أستراليا على قرب انتهاء الحفل، وحالًا بدأ الضيوف في الانصراف، وذهبت (مويرا) و(دوايت) لتوديع الطبيب وزوجته إلى خارج المبنى، ثم عادا إلى المنزل، قال القائد البحري:

- ليلة لطيفة.

الجو في الحديقة دافئ ولطيف بعد الجو الخانق في المنزل، والليل هادئ جدًّا، ويظهر من بين الأشجار الشاطئ متلألئًا تحت بريق النجوم، قالت الفتاة معلقة:

- الجو حار جدًّا هناك، سأبقى قليلًا هنا قبل النوم كي أهدأ.
- من الأفضل أن أحضر لك غطاءً.
- بل أحضر لي كأسًا من البراندي يا (دوايت).

ذهب إلى الداخل، ثم خرج بعد فترةٍ وفي يديه كأسان، وجدها جالسة على شفا الشرفة في الظلام، أخذت منه الكأس بكلمة شكرٍ ودعته للجلوس بجوارها، إن الجلوس في الحديقة بعد هذا الضجيج يعتبر مصدر راحةٍ له، فقال:

- بالتأكيد أمر لطيف أن تجلس في هدوءٍ لفترة.
- إلى أن يبدأ البعوض في القرص.
- لا أعتقد أنه سيأتي مع وجود هذه الرياح، لن أنام حتى لو رقدت على السرير، سأتقلب طوال الليل، هل ظللت ساهرة ليلة أمس؟
- والليلة التي قبلها.
- أحيانًا تتطلب النوم مبكرًا.
- ما الفائدة؟ ما الفائدة من أي شيء.

لم يرد عليها فاستطردت:

- لماذا التحق (بيتر) بالغواصة (سكوربيون) يا (دوايت)؟
- إنه ضابط اتصالات جديد معنا.
- ألم يكن معكم واحد من قبل؟
- لا، لم يكن لدينا ضابط اتصالات قط.
- إذًا لمَ عينوا الآن واحدًا؟
- لا أدري، ربما سنبحر في المياه الأسترالية، ليس لدي معلومات، ولكن هكذا أسمع، يبدو أن القائد آخر من يعلم.
- إلى أين ستذهب؟

تردد لحظة، ثم أجاب:

- يردد الناس إنها إلى (بورت مورسبي).
- لكنها بعيدة جدًّا، ولا أعتقد أنك تستطيع الذهاب إليها، أتستطيع؟
- أحيانًا، على المرء أن يذهب ويرى.
- هل يمكن للمرء أن يظل على قيد الحياة هناك؟
- لا أظن إن لم يكن في غرفةٍ مغلقة تمامًا، مع وفرةٍ من الهواء والماء، ولذلك تم تجنيد (بيتر) فهو أعلم بهذه المناطق.
- لم يحدث أي إلقاءٍ للقنابل في الجنوب، فلماذا يأتون لنا، أليس هناك من يمنع هذا؟ هل من العدل أن نموت لأن هناك دولًا بعيدة عنا بآلاف الأميال تريد أن تحارب؟

مرت فترة من الصمت ثم استأنفت:

- ليس معنى ذلك أنني أخاف الموت يا (دوايت).. فكلنا سنموت، لكن لا أترك أستراليا مهما حدث.

ووقفت ثم قالت مستطردة:

- اطلب لي مشروبًا آخر يا (دوايت).
- لا، ينبغي أن تنامي الآن.
- إذًا سأذهب وأحضرها بنفسي.

ودخلت المنزل، وسمع صوت اصطدام الكؤوس، عادت وفي يدها كأس كبيرة مملوءة ويطفو فوق سطحها قطعة كبيرة من الثلج، ثم بادرت:

- كان من المفترض أن أذهب إلى لندن، فقد كنت أنوي أن أقضي ستة شهور في أوروبا.

وأخذت جرعة من الكأس، لكن بسرعة بصقتها في انزعاج.

- ما هذا الذي أشربه؟

فاقترب منها، وأخذ منها الكأس قائلًا:

- إنه ويسكي.
- آه، سيقتلني بعد البراندي.

وتجرعته كاملًا، وألقت بقطعة الثلج بعيدًا، ثم راحت تضحك بشكلٍ هستيري.

- (ماري).. كانت خائفة من أن تنفجر بالبكاء عندما رأيت الرضيع وملابســـه على الحبل، مثلما فعل قائد الطيران الذي جاء لزيارتهم منذ فترة، اجعليه مشغو....وول

وبدت كلماتها في الغموض والهذيان، وأخذت تترنح، فاســـتندت على الشرفة..

- هذا ما قالته لي، ولا لحظة ملـــل، حذار أن يرى الطفل... فربما يبكي...

وبدأت الدموع تنساب على وجنتيها، مستطردة:

- لم تضع في اعتبارها أنني التي يمكن أن أبكي، لا أنت.

ســـقطت في الشـــرفة، وهي تنتحب من البكاء، تردد قائد الغواصة، ثم ذهب إليها ولمـــس كتفيها ثم عاد أدراجه، لا يدري ماذا يفعل! دخل المنزل، ووجد (ماري) في المطبخ تنظف وترتب ما خلفه الحفل، فقال لها بشيءٍ من الخجل:

- مدام (هولمز).. من فضلك، هل يمكن أن تلقي نظرة على (مويرا ديفيدسون)؟ لقد شربت كأسًا كاملة من الويسكي بعد البراندي، وربما تحتاج من يضعها في سريرها لتنام.

2

لا يأخذ الأطفال في اعتبارهم حفلات أيام الآحاد ومنتصف الليل؛ فمن الساعة السادسة صباحًا، استيقظت أسرة (هولمز) وبدأت في العمل وكان (بيتر) على الطريق بدراجته ومقطورتها ذاهبًا ليحضر اللبن والقشدة، ظل مع المزارع مدة يناقش محور المقطورة الجديدة، وعمود الجر، وقال له:

- يجب أن أثبت حضوري غدًا، هذه آخر مرة سأحضر لآخذ اللبن.
- لا بأس، سأتولى أنا الأمر، سأعطي اللبن إلى السيدة (هولمز) يومي السبت والثلاثاء.

عاد إلى المنزل، وحوالي الساعة الثامنة حلق ذقنه وتحمم ثم ارتدى ملابسه وبدأ يساعد (ماري) في إعداد الإفطار، ظهر القائد (دوايت) في الساعة التاسعة إلا ربع، وبادر (بيتر) بقوله:

- كان حفلًا لطيفًا، لم أستمتع بقدر ما استمتعت به.
- هناك جيران يتسمون بالرقة واللطف في المنطقة، وإن كنت أعتذر عما حدث من (مويرا).. نادرًا ما تفقد وعيها بهذا الشكل.
- بسبب الويسكي، هل استيقظت؟

- لم أرها هذا الصباح.

وجلس الثلاثة على مائدة الفطور، وقال (بيتر):

- اليوم حار، فهل لك في ممارسة السباحة هذا الصباح؟
- اعتدت أن أذهب إلى الكنيسة صباح الأحد، فهل هناك كنيسة إنجيلية بالقرب من هنا؟

فقالت (ماري):

- إنها على بعد ميلٍ تقريبًا من هنا، الصلاة في الساعة الحادية عشرة.
- إذًا سأذهب مشيًا، هل يتوافق هذا مع ما تفعله؟

فقال (بيتر):

- بالطبع يا سيدي، فعليَّ أن أفعل بعض الأمور قبل أن أذهب إلى الغواصة، لذا لن أذهب معك.
- بالتأكيد، سأعود في الوقت المناسب للغداء، وآخذ القطار في الساعة الثالثة.

سار إلى الكنيسة، وكان لديه وقت كافٍ حتى أنه وصل الصلاة قبل موعدها بساعة إلا ربع، وأعطاه مساعد الواعظ كتاب الصلاة، وكتاب الترانيم، جلس في المقاعد الخلفية لأنه لا يعرف قواعد الكنيسة، فيتسنى له أن يراهم حين يركعون وحين يقفون، ورتل الصلاة التي تعلمها في طفولته.

الكنيسة صغيرة مثل كنيسته في (كونتيكت).. حتى أنها تحمل نفس الرائحة.

من المؤكد أن (مويرا ديفيدسون) مضطربة، لقد شربت كثيرًا، ولكن بعض الناس لا يتقبلون الأشـياء كما هي، وبالرغـم من ذلك فهي فتاة لطيفة، أعتقد أن (شارون) ستحبها، في هدوء الكنيسة أخذ يفكر بأسرته ويتخيلها، فهو رجل بسـيط جدًّا، سـوف يرجع إليها في سـبتمبر، بعد رحلته، سوف يراها مرة أخرى في غضون تسعة شهور، ألا تشعر عندما يعود إليها، أنه كان منقطعًا أو نسي الأشياء المهمة في حياتها؟ لا بد من أن (جونير) كبر قليلًا، فالأطفال يفعلون ذلك في المرحلة نفسـها، من المؤكد أنه كبر على (الكاب) الجلد والملابس، كبر ذهنيًّا وبدنيًّا، ذلك هو الوقت الذي ينبغي أن يكون له قصبة صيد، ويتعلم الصيد، يجب أن يحصل على واحدةٍ في عيد ميلاده، يوم 10 يوليو، ولكنه لا يستطيع أن يأخذها معه، غير أن الأمر يستحق المحاولة فربما استطاع، أما (هيلين) فعيد ميلادها 17 أبريل، سـوف تبلغ السادسة، يجب أن يأخذ لها هدية معه في سبتمبر، سـوف تفهمها (شـارون) ظروفه في ذلك اليوم، بأن والدها في رحلةٍ بالبحر وسـوف يأتي بعد عيد ميلادها، أخذ يفكر بينما يركع ويقف مع المصلين، وأحيانًا يقف لينشـد بعض الترانيم، وإن كان في معظم الوقت غارقًا في التفكير بأسرته، خرج من الكنيسة بعد الصلاة وهو صافي الذهن، لا يعرف أحدًا ولا أحد يعرفه، ابتسـم له القس في الفناء ورد الابتسامة، وسـار في طريقه إلى المنزل تحت دفء الشمس

الســـاطعة، وكل ما يشغل تفكيره هو (سكوربيون) وما تتطلبه من تموين واختبارات، قبل أن ينزل بها إلى البحر.

عندمـــا وصل إلى المنـــزل، وجد (ماري) و(مويرا) تجلســـان على كرســـيي استرخاء في الشرفة ويجوارهما الطفل في عربته، عندما وصل إليهما وقفت (ماري) وقالت له:

- الجو حار، فلتخلع معطفك، هل أعجبتك الكنيسة؟
- نعم.

وجلس على حافة الشرفة بعد أن خلع معطفه مردفًا:

- لديكم مصلون مواظبون، لا يوجد مقعد شاغر في الكنيسة.
- ليس الأمر كذلك دائمًا، دعني أحضر لك مشروبًا، ماذا تفضل؟
- أي مشروبٍ غير مسكر.

ونظر إلى الكأسين اللتين أمامهما ثم سأل:

- ماذا تشربان؟

فردت (مويرا):

- عصير ليمون وماء، لا تقل شيئًا!

فضحك، وقال:

- أنا أيضًا أريد أن أشرب هكذا.

فذهبت (ماري) إلى المطبخ لتحضر المشـــروب، بينما استدار نحو (مويرا) وسألها:

- هل تناولت الإفطار؟
- نصف موزة، وكأس براندي، لم أكن على ما يرام.
- بسبب الويسكي، وهذا خطأ.
- هل هناك أخطـــاء أخرى؟ لم أدرِ ماذا قلت لك في الحديقة بعد الحفل! هل أخذتني إلى غرفة النوم؟

فهز رأسه بالنفي.

- هذا عمل مدام (هولمز).

فابتسمت ابتسامة باهتة.

- فاتتك فرصة، عليَّ أن أشكر (ماري).
- ويجب أن أفعل أيضًا، فهي سيدة محترمة.
- تقول أنك مغادر هذا المساء، ألا مكثت معنا لنأخذ جولة سباحةٍ أخرى؟
- لدي كثير من الأعمال في الغواصة، ولا بد أن كمية من الرســـائل سأجدها أمامي.
- أعتقد أنك من النوعية التي تعمل بجدية، سواء اضطررت لذلك أم لا.

فضحك ونظر إليها..

- ينبغي أن أفعل ذلك، هل لديك عمل؟

فرفعت الكأس وقالت:

- هذا، فهو ما كنت أفعله منذ أمس.
- أحيانًا العمل الرتيب يبعث على الملل.
- الحياة مملة دائمًا، وليس أحيانًا، مملة طوال الوقت.
- أنا محظوظ لأنه لدي الكثير لأفعله.

فنظرت إليه وقالت:

- هل يمكنني أن أحضر وأرى الغواصة الأسبوع القادم؟
- لا، لا يمكنك، سنبحر الأسبوع القادم.

وعندما شعر أن رده فظ؛ أردف:

- هل تحبين الغواصات؟

فقالت بدون اكتراث:

- لا، ولكن فكرت أن أراها لو لم تكن مزعجة.
- سيســعدني أن أريك الغواصة، ولكن ليس الأسبوع القادم، أود أن تنزلي وتتناولين معي الغداء عندما تستقر الأمور ولا نكون في عجلةٍ كخليــة النحل، يوم هادئ أريك فيه كل شــيء، ثم نذهب بعدها لتناول العشاء في أي مكانٍ بالمدينة.
- عظيم، متى هذا اليوم؟ إنني أتطلع إليه.

فكر لحظة ثم قال:

- لا أستطيع أن أحدد الآن، فهناك جولات لا بد منها في البحرية، على العموم إذا أعطيتني رقم تليفونك سأتصل بك قبل يوم الجمعة وأخبرك بالموعد.

فأعطته رقم التليفون، ودونه معه، ثم قالت له:

- تتصل قبل العاشرة مناسب جدًّا، لأنني أقضي معظم السهرات في الخارج.

بعد الغداء أخذت (مويرا) القائد في عربتها إلى المحطة حيث كانت هي شخصيًّا ذاهبة إلى بيتها، وفي فناء المحطة قالت له:

- وداعًا يا (دوايت).. لا ترهق نفسك في العمل، وأكرر اعتذاري عما حدث مني أمس، بشأن الشرب.

فابتسم وقال:

- خلط المشروبات هو الذي سبب ذلك، فليكن لك درسًا.

فضحكت وقالت بصرامة:

- لا شيء سيكون لي درسًا، سأفعل ذلك اليوم وغدًا وهكذا.
- إنه جسمك.
- هذه هي المشكلة، إنه جسمي، فلو شاركني فيه أحد لاختلف الأمر، لكن لا وقت، يا له من أمرٍ سيئٍ للغاية!
- سأراك.
- هل فعلًا ستفعل؟

- بالتأكيد، سأتصل بك كما قلت لك.

استقل القطار الكهربائي، بينما سارت هي لمسافة عشرين ميلًا حيث منزلها، وصلت هناك في الساعة السادسة، وفكت طقم الفرس، وأدخلتها الإسطبل، وساعدها أبوها في إدخال العربة، وتقديم دلو ماءٍ للفرس وبعض العلف، أما أمها فكانت تجلس في الشرفة المغطاة بسلك تمارس الخياطة، وقالت:

- أهلًا يا عزيزتي، هل استمتعت بوقتك؟
- (ماري) و(بيتر) أقاما حفلًا صغيرًا، وإن أرهقاني قليلًا.

تنهدت أمها، فهي تعلم أنه لا فائدة من المجادلة، ثم قالت لها:

- نامي مبكرًا، لقد تأخرت في النوم لعدة ليالٍ.
- أظنني سأفعل ذلك.
- ماذا عن الأمريكي؟
- لطيف، هادئ ورجل بحرية.
- متزوج؟
- لم أسأله، وإن كنت أظنه متزوجًا.
- ماذا فعلت هناك؟

كظمت الفتاة غيظها من الاستجواب، والوقت أقل من أن تضيعه في الجدل، فاستقرت على أن تخبرها ببعض الأشياء وتحجم عن بعضها مثل (الستيان) وما حدث في الحفل.

- لقد ذهبنا للسباحة بعد الظهر.

ســـار الكابتن (تاورز) إلى الميناء، ثم انطلق إلى سيدني، كان يشغل كابينتين بينهما باب داخلي، إحداهما تســـتخدم كمكتب، أرسل رسولًا إلى الضابط الذي في الخدمة بالغواصـــة، ظهر الضابط (هيرتش) وفي يده حزمة من الإشـــارات، أخذ الإشـــارات وبدأ فـــي قراءتها، معظمها حـــول أعمال روتينيـــة، ولكن ما لفت نظره رســـالة تخبـــره أن موظفًا مدنيًّا من منظمـــة الكومنولث للبحوث العلمية والصناعية ســـيأتي إلى الغواصة لأغراضٍ علمية، سيكون الموظف تحت قيادة ضابط الاتصال الأســـترالي في الغواصة، اسم الموظف (أوســـبورن).. فأمسك القائد بالإشارة في يده وسأل الضابط الشاب:

- قل، هل تعرف شيئًا عن هذا الموظف؟
- إنـــه هنا بالفعل يا افندم، لقد وصل في الصباح، وأخذته إلى عنبر الطعام، ثم طلبت من ضابط الخدمة أن يوفر كابينة له حتى الصباح.

فرفع القائد حاجبيه..

- حسنًا، ماذا تعرف؟ كيف يبدو؟
- يبدو طويلًا ونحيفًا، كما أن شعره بني خفيف، ويرتدي نظارة.
- عمره؟
- يكبرني بقليل، يعني تحت الثلاثين.
- بدلًا من الزحام في عنبر الطعام، أرى أن نوفر له مكانًا مع الكابتن (هولمز).

- حسنًا يا افندم.

وتدارس القائد بعض الأعمال الروتينية التي جاءت بالإشارات مع الضابط، ثم أرسل الضابط إلى السيد (أوسبورن) ليحضر إلى مكتبه، عندما وصل الموظف إلى المكتب طلب منه الجلوس، وأعطاه سيجارة، ثم أمر الضابط بالانصراف وقال:

- أهلًا بك يا سيد (أوسبورن).. هذه مفاجأة، علمت بها توًّا، مسرور لمعرفتك.
- أرجو ألا يكون قرارًا متسرعًا، فلم أعلم به إلا في اليوم السابق.
- هكذا الوضع في مثل هذه الأمور، على أي حالٍ، ما اسمك كاملًا؟
- جون سيمور أوسبورن.
- متزوج؟
- لا.
- حسنًا، على الغواصة، أو أي مركبةٍ أخرى، تناديني الكابتن (تاورز).. وأحيانًا بـ «يا افندم».. أما بعيدًا عن الخدمة فاسمي (دوايت) لك، وليس للضباط المستجدين.

فابتسم أوسبورن وقال:

- تمام يا افندم.
- هل سبق وأن عملت في غواصة؟

- لا.
- ربما تجد بعض الأشـــياء متكدســـة، ولكن ستعتادها، ستنام في كابينة الضباط وتتناول معهم الطعام في عنبر الطعام.

وعندما نظر إلى البذلة الأنيقة التي يرتديها، أردف:

- تحتاج بعض الملابس، عندما يأتي الكابتن (هولمز) غدًا، سيوفر لك ملابس من المخازن، فهذه البذلة لا تناســب العمل على الغواصة، لأنها ستتلف.
- أشكرك يا سيدي.

مال القائد بكرســيه إلــى الخلف، وتأمل العالــم، ووجهه الهزيل، الذكي، والقوام غير الفارع.

- أخبرني، ما المفترض أن تفعله في هذه المركبة؟
- آخذ الملاحظات، وأســجل مســتويات الإشعاع خارج وداخل الغواصة.
- وهل تعتقد أن مستوى الإشعاع سيزيد في الغواصة؟
- لا أظن، وآمل ألا يحدث ذلك، وأشك أنه يحدث إلا في حالاتٍ قصوى، ومن الأفضل مراقبتها، وسأخطركم بأول إشارةٍ لأي ارتفاع.
- بالتأكيد.

ثم بدآ يناقشـــان أمــورًا فنية متنوعة، معظم الأجهــزة التي أحضرها (أوســبورن) معه متحركة ولا تحتاج إلى تثبيتٍ في السفينة، ارتدى في المساء (أفرول) أعاره إياه الكابتن وصحبه إلى داخل الغواصة ليفحص

المكشـــاف المثبت على المنظار الأفقي فـــي المؤخرة وصياغة برنامج لمعايرته على الجهاز القياسي، ونفس الشيء بالنسبة إلى مكشاف غرفة التحكم، وإجراء بعض الأعمال الهندســـية علـــى أحد أنابيب الطوربيد لأخذ عينات مـــن المياه، كان الظلام قد حل عندما عادوا إلى ســـيدني لتناول العشاء في عنبر الطعام الفخم.

فـــي اليوم التالـــي كان هناك اضطـــراب في النشـــاط، عندما حضر الكابتـــن (بيتر) في الضحى كانت أول مهامـــه الاتصال بأحد الأصدقاء في قسم العمليات وبدا أنه من اللياقة أن يخبر القائد عن معرفة الضباط الأستراليين العامة تحت قيادته، لقد قضوا الليلة في سيدني، ثم اتجهوا إلى الغواصة صباح يوم الثلاثاء.

بعد أداء بعض المهام في غضون ســـاعتين، أعلـــن القائد (دوايت) استعداده للقيام بالتجارب البحرية، وانطلقوا في البحر، أمضوا كل فترة ما بعد الظهر في القياســـات الإشـــعاعية، من بارجة تحمل موادًّا مشعة بجوارهم، وسجل (أوســـبورن) القراءات في أجهزته، وقد صعد ونزل من برج القيادة، انتهت التجارب في الساعة الخامسة، وغادروا البارجة إلى السفينة.

ظلوا على الســـطح طـــوال الليل وأبحروا جهة الغـــرب، في الفجر غادروا كاب بانكز في جنوب أســـتراليا، وغاصوا لمسافةٍ عميقة لتجربة المنظار الأفقي، وفي الســـاعة العاشـــرة من يوم الأربعاء استطاعوا أن يروا المدينة خلال المنظار، بعد عشـــر دقائق أمرهم القائد بالصعود إلى الســـطح، وفي مســـاء الخميس غادروا كينج أيلاند وعادوا إلى مكانهم

في ويليامزتاون، رســوا بجوار حاملات الطائرات في الوقت المناسب لتناول الفطور يوم الجمعة، مع وجود أشياءٍ بسيطة للإصلاح.

في صباح ذلك اليــوم، جاء عضو البحريــة الأول، نائب الأدميرال الســيد (ديفيد هارتمان) ليتفحص الســفينة الوحيدة التي تحت قيادته والتي تستحق الاهتمام، اســتغرق هذا حوالي ساعة، وقضى ربع ساعة مــع (دوايت) و(بيتر) في المكتب لمناقشــة التعديلات المقترحة على مشروع العملية غادر بعد ذلك للقاء رئيس الوزراء في ميلبورن.

في ذلك المساء اتصل (دوايت) بـــ (مويرا) كما وعدها

- حســنًا، لقد عدنا ســالمين، كانت هناك أشــياء بســيطة وقمنا بإصلاحها.
- هل يعني ذلك أنني أستطيع أن أحضر؟
- يسعدني ذلك، لن نغادر قبل يوم الاثنين.
- أشتاق إلى رؤيتها يا (دوايت).. سأحضر غدًا، أو يوم الأحد.

فكــر للحظات، لو أنهم ســيغادرون يوم الاثنين، فســيكون الأحد مشغولًا.

- أرى أن غدًا مناسب أكثر.

فكرت بدورها بســرعة، عليها أن تعتذر عن حفل ســازرلاند، ولا سيما أنها ستكون مملة.

- وأنا أفضل غدًا، هل آتي إلى محطة (ويليامز)؟
- هذا أفضل وسيلة، سأقابلك هناك، في أي قطارٍ ستحضرين؟

- لا أعرف المواعيد، ولنقل أول قطارٍ بعد الحادية عشرة والنصف.
- حسنًا، لكن لو أنني مشــغول، سأرسل (هولمز) أم (أوسبورن) ليقابلك.
- هل تقول (جون أوسبورن)؟
- نعم، أتعرفينه؟
- نعم، أسترالي من منظمة البحث العلمي.
- نعم، شاب طويل يرتدي نظارة.
- تربطنــي به قرابة، فعمته متزوجة من أحــد أعمامي، هل هو في مجموعتك؟
- بالتأكيد، لقد انضم إلينا كمدنيٍّ في البحث العلمي.
- إنه غريب الأطوار، مجنون تقريبًا، سيدمر لك الغواصة.

فرد ضاحكًا:

- إذًا تعالي قبل أن يفعل ذلك.
- لكم أحب ذلك يا (دوايت).. أراك صباح السبت.

قابلها في المحطة صباح اليوم التالي، فلم يكن لديه عمل محدد في الســفينة، جاءت في ملابس بيضاء.. (جونلة) بيضاء بها طيات، وبلوزة بيضاء مزركشــة بخيوطٍ ملونة، وحذاء أبيض، إنها تســر من ينظر إليها، ولكن شعر بالقلق بعض الشيء عندما استقبلها، لأنه لم يكن يدري كيف

سيأخذها وسط هذا التكدس من الآلات الملطخة بالزيوت وهي ترتدي هذه الملابس الأنيقة!! وكان عليه أن يخرج بها في المساء.

- صباح الخير يا (دوايت).. هل انتظرت طويلًا؟
- بضع دقائق، هل بدأت الرحلة مبكرًا؟
- ليس كآخر مرة، أبي أوصلني إلى المحطة، واستقللت أول قطارٍ بعد التاسعة، أعطني كأسًا قبل الغداء يا (دوايت).
- العم (سام) يمنع ذلك في السفينة، ويسمح بأي عصيرٍ أو كوكا.
- حتى في سيدني؟
- حتى في سـيدني، غير مسموح أن تشـربي مشروبًا كحوليًّا بينما يشرب الضباط كوكا.

فنظرت حولها وقالت:

- أريد أن أشـرب كحولًا، كما تقول، قبل الغـداء، لا أعتقد أنك تريدني أن أقـع في نوبة صراخٍ أمـام ضباطك، أكيـد يوجد فندق في المنطقة، اطلب لي براندي قبل الغداء، قبل أن نذهب إلى السفينة.
- حسنًا، هناك فندق بجوارنا، هيا بنا.

سـارا معًا إلى الفنـدق، وراح يلتفت حوله، ثـم أدخلها إلى صالة السيدات.

- ألم تأت هنا من قبل؟
- لا، براندي؟

- نعم، دوبل بالثلج، وقليل من الماء، ألن تأتي؟
- لم أدخل من قبل في مثل هذا المكان.
- ألا تخرج للشرب عندما لا يكون لديك شيء تفعله؟
- اعتدت أن أفعل ذلك في البداية، وكنت أذهب إلى المدينة، لكن أقلعت عن ذلك، إذ لم يكن شيئًا مرضيًا.
- ماذا تفعل في المساء عندما لا تكون في البحر؟
- أقرأ مجلة أو كتابًا، وأحيانًا نذهب إلى السينما.

حينما جاء النادل طلب لها براندي ولنفسه ويسكي، فقالت معلقة:

يبدو أن الأمر غير صحي، سأذهب إلى الحمام، انتبه لحقيبتي، استطاع أن يخرجها بعد كأسي براندي وذهبا إلى سيدني، آملًا أنها تحسن التصرف أمام الضباط، وبالفعل كانت وقورة ولطيفة مع كل الأمريكيين، ما عدا (أوسبورن).. لأنها تصرفت معه بطبيعتها.

- أهلًا يا (جون).. ماذا تفعل هنا؟
- أنا من طاقم السفينة، مراقب علمي، أزعج الآخرين.
- أخبرني الكابتن (تاورز) بذلك، هل ستظل معهم لعدة أيامٍ متواصلة؟
- يبدو ذلك.
- هل عرفتهم بعاداتك؟
- عذرًا؟

- حسنًا، لا علاقة لي بهذا.

واســتدارت نحو الكابتــن لنجرين، وتناولت عصيرًا، ثم ســلكت ســلوكًا جذابًا في عنبر الطعام، بينما كانت مشغولة، جذب القائد ضابط الاتصال جانبًا.

- لا يمكن أن تنزل إلى داخل الغواصة بهذه الملابس، تســتطيع أن تتصرف في (أفرول)؟

فأومأ (بيتر):

- سأتصرف في بذلة (أفرول) ولكن أين ستغير ملابسها؟
- أليس لديك أي فكرة؟
- الكابينة الخاصة بك يا افندم، فلن يزعجها أحد هناك.
- لن أنتهي من إزعاجها.
- ستنتهي يا افندم.

تناولــت الغداء مع الأمريكيين على طــرف طاولةٍ طويلة، وتناولت معهم القهوة بعد الظهر، وانصرف الضباط الصغار وظلت مع (دوايت) و(بيتر).. ثم وضع (بيتر) بذلة (أفرول) نظيفة على المنضدة قائلًا:

- هذه هي البذلة الأفرول.

تنحنح (دوايت) وقال:

- من المحتمل أن يكون المكان ملوثًا بالشحوم أسفل في الغواصة، يا آنسة (ديفيدسون).

- (مويرا).
- حسنًا.. (مويرا).. أخشـــى أن يتسخ هذا الفستان الجميل أسفل الغواصة.

فبسطت البذلة وقالت باندهاش:

- ينبغي أن أغير كل ملابسي، أين يمكنني ذلك؟
- في كابينتي، أعتقد لن تنزعجي هناك.
- مثلما حدث في القارب؟

فضحك القائد، وأردفت:

- إذًا خذني إليها يا (دوايت).. لا بد أن أجرب كل شـــيءٍ ولو مرة واحدة.

ســـار بها (دوايت) إلى الكابينة الخاصة بـــه، وعاد ينتظرها في غرفة الانتظـــار، في الكابينة الصغيرة راحت تنظر حولها بفضول، هناك بعض الصور، أربع صور منها عبارة عن امرأةٍ ذات شـــعرٍ أســـود، وصبي في الثامنة أو التاسعة، وبنت تصغره بعامين تقريبًا، وصور أخرى عند منصة القفز في حمام ســـباحة، وأخرى في حديقـــة، ربما تكون حديقة منزله، لظهور ســـيارةٍ في الخلف ومنزلٍ أبيض، الصـــور جميلة، حدقت فيها باهتمام، الأمر صعب، لكن هكذا الأيام، الأسى لا يفيد، بدلت ملابسها وتركتها مع حقيبتها على الســـرير، ثم نظرت عابســـة إلى مظهرها وهي تنظر في المرآة بتجهم، وخرجت من الكابينة ثم توجهت حيث وجدت مضيفها، وبادرت قائلة:

- إنني أبدو بشعة، أتمنى أن تعوض غواصتك هذا المنظر.

أمسك بذراعيها وسارا وقد رد:

- إنها أفضل قطعة في البحرية الأمريكية.

فكبحت تعليقها بأنها ربما تكون الوحيدة، فمن غير اللائق تجريحه، أخذها إلى سلمٍ خشبيٍّ، فممر ضيق، ثم إلى منصة الربان، وبدأ يشرح لها الغواصة، إنها تعرف شيئًا قليلًا عن السفن، لكن لا تعرف شيئًا عن الغواصات، وبالرغم من ذلك كانت تفاجئه بأسئلةٍ ذكية مثل:

- عندما تهبطون إلى أسفل، لماذا لا تدخل المياه إلى ماسورة الصوت؟

- لأن هذا المقبض ينغلق.

- وإذا نسيت؟

- هناك واحد آخر.

وأخذها عن طريق بابٍ سحريٍّ إلى غرفة التحكم، نظرت خلال المنظار ورأت المدينة وما حولها، ثم عادت ليثير تحفظها فوضى العنبر والماكينات فسألته:

- ماذا تفعلون بشأن الروائح؟ ولو أردتم طهو المحشي؟

- لسنا مضطرين لذلك، فليس من الضروري المحشي الطازج، فالروائح تتعلق في الجو لفترة، ومزيل الروائح يعالج المشكلة، مع تجديد الهواء ينتهي الأمر في غضون ساعةٍ أو ساعتين.

ثـــم ذهب بها إلى مقصورة صغيرة، كانـــت كابينة خاصة به من قبل، وقدم لها كوبًا من الشاي، وسألته بينما ترتشف:

- هل أتتك أوامر بالعملية يا (دوايت)؟
- نعم، إلى كارنيز، وبورت مورسبي، ودارون ثم نعود إلى هنا مرة أخرى.
- ليس هناك أحد على قيد الحياة في هذه المناطق، أيوجد؟
- لا أدري، هذا ما سنكتشفه.
- هل ستنزلون إلى الأرض؟
- لا أعتقد، فهذا يعتمد على مســتوى الإشعاع، سنظل على عمق المنظار، وربما لا نغادر هيكل الســفينة إذا كانت الأحوال سيئة للغاية، ولهذا سنأخذ (جون أوسبورن) معنا لقياس مستويات الخطورة.

قطبت جبينها، وقالت:

- ولكن إذا لم تصعد إلى الســطح، فكيف تعرف أن هناك من على قيد الحياة؟
- سنقترب من الشاطئ لأقصى درجةٍ ممكنة وننادي خلال مكبر الصوت.
- وكيف ستسمع من يلبي النداء؟
- هنــاك ميكرفــون معلق في المكبر، نســتطيع ســماعه وإن كان بالكاد...

فحدقت به وسألته:

- هل تعرض أحد من قبل للإشعاع، يا (دوايت)؟
- نعم، إن كان متعقلًا، ولا يتعرض إلى مخاطر، لقد مررنا بالتجربة لفتـــرةٍ أثناء الحرب، ظللنـــا تحت الماء، وحملناهـــم دون الحاجة إلى الصعود إلى السطح.
- أقصد مؤخرًا، هل تعرض أحد منذ أن توقفت الحرب؟
- هناك سفينة ســوردفيش زميلة لنا، أبحرت لتمسح كل المناطق ولكن لم يصلني التقرير بعد، طلبت نســخة من الكاتبة، غير أن السرعة بطيئة بالراديو.
- إلى أي مدى ذهبت؟
- معظم المناطــق المعنية من نيويورك حتــى القنال الإنجليزي، ولكـــن لم تبحر أبعد من ذلك، وألقت نظرة على بعض المدن الأخرى، لكن كادت تنفد منها المؤن، وصار طاقمها في حالةٍ مزرية، لذلك عادت إلى ريو.
- هل وجدت أحدًا على قيد الحياة، يا (دوايت)؟
- لا أظن، وإلا لسمعنا عن ذلك.

أخذت تحدق في الممرات الضيقة خارج الستار الذي بمثابة جدران للكابينة، والشبكات المعقدة من الأنابيب والكابلات، وقالت:

- هل يمكنك تخيلها يا (دوايت)؟
- تخيل ماذا؟

- كل هذه المدن والحقول، والمزارع بدون أحد، ولا شـــيء على قيد الحياة، أنا لا أستطيع استيعابها.
- ولا أنا، لذلك أريد أن أجرب، وأفضل أن أتخيلهم كما هم.
- بالطبع لم أرهم من قبل، فلم أخرج من أســتراليا، ولن أفعل في هذه الأيام، فقد سمعت عن ذلك كثيرًا خلال الأفلام والكتب.
- ولا أعتقــد أن تصور ذلك مريح، فحتى رجل الكاميرا لن يعيش إذا أراد أن يصور، لا أعرف شــيئًا عن منطقة الشمال، ومن الأفضل ألا تعرفي، فما أصعب أن تشاهدي رجلًا يموت، لا أحد يعرف إلا الله.
- هذا أكبر مما أستوعب.
- وأيضًا مما أســتوعب، ولا حتى بلورة الفكرة، وأحسب أن هذا افتقار إلــى التخيل، وإن كنــت لا أريد أن أتخيل أكثر مــن هذا، فهذه المناطــق حية في نظري، مثلمــا تركتها، وأريد أن تظــل كما هي حتى سبتمبر، تريدين كوبًا آخر من الشاي؟
- لا، أشكرك.

صعدا إلى ســطح الســفينة ثانية، وتوقفت عند منصة الربان لتحك ساقها، وتتنفس هواء البحر المتجدد، وعلقت:

- إنه الجحيم بعينه أن تظلوا هكذا لفترةٍ طويلة، إلى متى ســتظلون تحت الماء في هذه الرحلة؟
- لن نظل وقتًا طويلًا، ستة أو سبعة أيام.
- إنه وضع غير صحي.

- حقًّا، فلدينا مصباحان لأشعة الشمس، وإن كانا غير الشمس على السطح، لكن الأثر النفسي هو الأسوأ، معظم الرجال وإن كانوا يتحملون أي شيءٍ آخر فإنهم لا يتحملون هذا، الأمر يحتاج نفسية متماسكة وهادئة.

فكرت كليًّا وهي تحسب أن هذا يتناسب وشخصيته، فقالت:

- هل كلكم هكذا؟
- المفترض، وإن كان معظمنا.
- ضع عينيك على (جون أوسبورن).. أعتقد أنه ليس كذلك.

نظر إليها بدهشة، لم يكن لديه أدنى فكرة عن ذلك، ولقد اجتاز العالم المدني تجربة، لكن عندما ذكرت ذلك قال:

- سأفعل، شكرًا لاقتراحك.

وصعدا في الممر الضيق إلى سيدني، ثم وجدا في حظيرة الطائرات بعض الطائرات مطوية الأجنحة، فتأملت لحظة وقالت:

- لا أظن أن شيئًا من هذه سيطير مرة أخرى، هل تتقد؟
- لا أعتقد.
- هل هناك طائرات تطير؟
- لم أسمع بطائرةٍ حلقت، فهناك نقص في تموين الطائرات.

سارت معه إلى المقصورة بهدوءٍ لافت واكتئاب، لكنها عندما بدلت ملابسها، انتعشت مرة أخرى.

هذه السـفن المروعة الرهيبة، وهذا الواقع المروع الرهيب! كانت مصرة على الخروج كي تشـرب وتسمع موسيقى وترقص، قبل المرايا وقبل صور زوجته وأطفاله، كان أحمر الشفاه غامقًا، ووجنتاها نضرتين، وعيناها متلألئتين، تخلصي من هذه الحالة! واخرجي من هذه الجدران الصلبة الجامدة، وانطلقي بسـرعة، ليس هذا بعالمها، انطلقي إلى عالم الرومانسـية، والعالم المتخيل، والبراندي الدوبـل! اخرجي من هذه الحالة، وعودي إلى العالم الذي تنتمين إليه، خلال البرواز نظرت إليها (شـارون) بتفهم وتقرير، أتى إلى عنبر الطعام ليستقبلها فلما رآها صاح إعجابًا:

- أوااه، ما هذه الروعة؟!

فابتسمت بسرعةٍ وردت:

- أشعر أنني رائعة، دعنا نخرج إلى الهواء المنعش، هيا نذهب إلى ذلك الفندق، ثم نذهب إلى مكانٍ نرقص به.

- أي مكانٍ تريدينه؟

وتركها مع (جون أوسبورن) ثم ذهب ليرتدي ملابس مدنية، فقالت لـ (جون):

- خذني إلى أعلى يا (جون).. وإلا اختنقت لو ظللت هنا.

- لا أعرف الطريق إلى السطح، فأنا جديد هنا.

وجدا سـلمًا منحدرًا إلى أعلي يؤدي إلى برج إطلاق النار، فصعدا وسألا أحد المجندين، حتى وصلا إلى السطح في نهاية المطاف، فوق

السطح الفسـيح الرحب تسطع الشـمس دافئة، وزرقة البحر، والرياح المنعشة، فقالت:

- شكرًا للرب أنني لست هنا.
- أفهم من ذلك أنك غير مغرمة بالبحرية.
- حسنًا، هل أنت تشعر بالمتعة؟

ففكر مليًّا وقال:

- نعم، يبدو الأمر ممتعًا جدًّا، رؤية الموتى خلال المنظار، يجعلني أفكر في شيءٍ أكثر إمتاعًا من المتعة.

سارا خطوة أو اثنتين في صمتٍ وأخيرًا قال:

- كلهـا معرفة، على المرء أن يحاول ويكتشـف ما حدث، فربما يكون كل شيءٍ مغايرًا لما يفكر، ربما امتص شيءٌ ما العناصر الإشعاعية، شـيء حدث في نصف الحياة التي لا نعرفها، حتى لو لم نكتشف شيئًا فهو أمر جيد، فلا يزال يوجد ما يمكن اكتشـافه، وإن كنت لا أعتقد أننا سنكتشف شيئًا جيدًا، أو يبعث على الأمل، وبرغم ذلك، فالبحث متعة في حد ذاته.
- هل ترى أن اكتشاف الأشياء السيئة متعة؟

فقال بحزم:

- نعم، بعض المباريات ممتعة حتى لو خسـرتها، حتى لو عرفت أنك ستخسر من قبل البداية، فاللعب متعة في ذاته.
- مفهومك عن المتعة والمباريات غريب.

- مشـــكلتك أنك لا تواجهين الأمــور، فكل هذا حدث ويحدث، لكنك لا تتقبلينه، يجب أن تواجهي حقائق الحياة يومًا ما.

فقالت بنبرةٍ غاضبة:

- حسنًا، سأواجهها، سبتمبر القادم، إذا كان كل ما تقولونه صحيحًا، فهذا وقت كافٍ لي.

فنظر إليها بابتسامة..

- خذيهـــا بطريقتك، لكنني لا أعول على ســـبتمبر كثيرًا، قد يكون قبل أو بعد سبتمبر بثلاثة شهور تقريبًا، قد يحدث في يونية على ما يعرف الجميع، وربما أشتري لك هدية عيد الكريسماس.

فقالت بصرامة:

- ألا تعرف؟

- لا أعرف، فلا شـــيء مثل هذا حدث في التاريخ من قبل، ولو أننا نعرف ما كنا لنناقشه هنا.

- إن قلت كلمة أخرى سأدفع بك إلى الماء.

وهنا ظهر القائد يرتدي بذلة زرقاء أنيقة:

- تساءلت أين أنتما، وخمنت أنكما هنا.

فقالت:

- آســـفة يا (دوايت).. كان من المفترض أن أترك رسالة، احتجت إلى بعض الهواء النقي.

وعلق (جون أوسبورن) قائلًا:

- من الأفضل أن تحترس يا افندم، فهي في حالةٍ مزاجيةٍ سـيئة، لو كنت مكانك لابتعدت عنها خشية أن تعضني.

- إنه يزعجني، كألبرت والأسد، هيا بنا يا (دوايت).

فقال العالم المدني:

- تصبح على خير يا افندم، أراك في الصباح.

فاستدار القائد والفتاة ثم هبطا السلم، وبينما يسيران في الممر الضيق سألها:

- كيف كان يزعجك يا حلوتي؟

- في كل شـيء، دعنا نحتسي مشروبًا قبل القطار يا (دوايت).. أنا أشعر بارتياحٍ إذا فعلت.

دخلا إلى الفندق نفسه، وبينما يتناولان المشروب سألها:

- كم لدينا من الوقت، هذا المساء؟

- آخر قطار يتحرك الحادية عشرة والنصف، لا بد أن أستقله، فأمي ستغضب لو قضيت الليلة معك يا (دوايت).

- لا أريد أن تغضب، هل من أحد سينتظرك هناك؟

- لا، لقد تركنا الدراجات في المحطة هذا الصباح.

بعد أن انتهت من شرب البراندي الدوبل، قالت:

- اطلب لي كأسًا ثانية، يا (دوايت).

• سـأطلب لك كأسًا أخرى، ثم سـنتوجه إلى القطار بعدها، لكن وعدتني أننا سنرقص.

• وها نحن لها، لقد حجزت طاولة في مرقص ماريو، لكن أجرجر قدميَّ بلطفٍ عندما أكون سكرانة.

• لا أريد جرجرة، بل أريد رقصًا.

تناولت الكأس التي مدها إليها..

• أنت شـديد الدقة، لكن لا تشاكسني، فهذا يزعجني، لأن معظم الرجال لا يعرفون كيف يرقصون!

• أنـا واحد منهم، لقد اعتدت الرقـص عندما كنت في الولايات، لكنني لم أمارس الرقص منذ أن اندلعت الحرب.

• أعتقد أنك تعيش حياة مقيدة جدًّا.

اسـتطاع أن يخرجها من الفنـدق بعد الكأس الثانية، وسـارا تجاه المحطة تحت أضواء المسـاء، فوصلا إلى المدينة بعد نصف سـاعة، فتمشيا في الشارع وقالت:

• لم يزل الوقت مبكرًا، دعنا نتمشى.

وضع ذراعها في ذراعه ليعبر بها وسط زحام مساء السبت، الفاترينات ممتلئة بالبضائع، لكن بعضها غير مفتـوح، المطاعم والمقاهي مكتظة بالزبائن، البارات مغلقة، لكن الشوارع تعج بالسكارى، كان التأثير العام واحدًا من الابتهاجـات الصاخبة والمنطلقة، لم يكـن هناك مرور في الشوارع العريضة إلا للترام، والناس المتدفقة في الشوارع، بأحدها يقف

رجل إيطالي يعزف بالأكورديون عزفًــا رائعًا، والناس حوله يرقصون، بعد خطواتٍ من ســينما ريجال سقط أمامهما رجل على الأرض منكبًّا على ركبتيه ويديه، مندفعًا نحو المجاري، لم يلتفت إليه أحد، اقترب منه رجل شرطة وقلبه ثم مضى، قال (دوايت) معلقًا:

- لديهم وقت كبير هنا أثناء المساء.
- ليس هناك أســوأ من هذا، أســوأ مما كانت عليــه بعد الحرب مباشرة.
- أعلم هذا، وقصدت أنهم تعبوا من هذا، مثلما فعلت.
- إنه يوم السبت، لكن الوضع هادئ في الأيام العادية، كالأيام قبل الحرب تقريبًا.

وتمشيا إلى المطعم، واســتقبلهما المدير بحرارة، فهو يعرفها، إنها تأتي مرة على الأقل في الأسبوع، كما يعرف أنه قائد الغواصة الأمريكية، وقد جاء عدة مرات، أعد لهما طاولة في ركنٍ بعيد عن مسرح الموسيقى، قال (دوايت) بنوعٍ من التقدير:

- إنهم أناس يتســمون بالرقة، لا آتي كثيــرًا، وإن جئت لا أمكث طويلًا.
- أنا أحضر بصفةٍ مستمرة.

ثم أطرقت تفكر وقالت:

- تعرف أنك رجل محظوظ.
- لماذا؟

- لديك عمل يشغلك طوال الوقت.

لم يجل بخاطره من قبل أنه محظوظ، فقال ببطءٍ:

- حقًّا، فيبدو أنه لا يوجد لدي وقت لأتسكع طليقًا.
- أنا لدي وقت، لأفعل ذلك.
- ألا تعملين، أليس لك عمل محدد؟
- إطلاقًا، أحيانًا أذهب بالعربة إلى المزرعة، وأحرث الأرض، هذا كل ما أفعله.
- ظننتك تعملين بالمدينة في وظيفةٍ ما.

فردت بسخرية:

- من المفترض أن أكون هكذا، لكن ليس ذلك بالأمر السهل، لقد تشرفت بدراسة تاريخ الأعمال قبل الحرب مباشرة.
- أعمال؟
- لقد أخذت دورة في الاختزال والكتابة على الآلة الكاتبة، لكن ما الفائدة من دراسة سنة؟ لم أستطع أن أنهي الدورة، ولو فعلت فليس هناك وظيفة.
- تقصدين أن سوق العمل في انحدار؟

فأومأت بالإيجاب.

- كثير من أصدقائي بلا عمل، فالناس لا يعملون كما اعتادوا، وما عادوا يحتاجون سكرتارية، نصف أصدقاء أبي تقريبًا توقفوا عن

الذهاب إلى أعمالهم، وظلوا في البيوت كالمتقاعدين، لقد تم غلق العديد من المكاتب.

- أعتقد أن هذا منطقي، فالرجل من حقه أن يفعل ما يريد في الشهور الأخيرة، إذا استطاع أن يدبر أموره بالنقود.
- والفتاة أيضًا من حقها حتى لو كان ما تريده مختلفًا عن قيادة ثورٍ في المزرعة لنثر روث البهائم.
- ألا يوجد عمل إطلاقًا؟
- لا شيء بتاتًا، لقد بذلت ما بوسعي، وكما ترى فقدت مهارتي في الكتابة.
- يمكنك استعادتها، اذهبي واستكملي دورتك.
- وما الفائدة، إذا لم يكن هناك وقت، ولا استخدام لها؟
- شيء تفعلينه بدلًا من البراندي الدوبل.

فعلقت وهي تنقر بأصابعها فوق الطاولة:

- عمل من أجل العمل، يا له من مضيعة!
- أفضل من الشرب من أجل الشرب فقط، ولا يسبب لك دوارًا من الخمر.

فقالت بانفعال:

- اطلب لي براندي يا (دوايت).. ثم دعنا نرى إذا كنت تعرف ترقص أم لا!

ســـارا إلى حلبة الرقص، وهو يشعر بالأســـى من أجلها، لقد كانت في حالةٍ مزاجيةٍ غاضبة، بينما هو منغمس في همومه الخاصة، لم يجل بخاطره قط أن الشـــباب غير المتزوج، يصابـــون بالإحباط هذه الأيام، لقد أعد نفسه ليجعل الأمســـية لذيذة بالنسبة لها، بالحديث عن الأفلام والمسرحيات الغنائية التي شاهدها كلاهما، وعن الأصدقاء المشتركين، لقد أخبرته ذات يوم؛ أن (بيتر) و(ماري) يتسمان بالظرف، إنها مجنونة بالبستان، لقد استأجرا هذه الشقة لمدة ثلاث سنوات، فزرعت الحديقة لتنمو إلى السنة المقبلة.

ابتسم..

- أعتقد أنها على حق، من يدري؟!

وبدأ يدير دفة الحديث إلى بر الأمان مرة أخرى..

- هل رأيت داني كاي في فيلم بلازا؟

كان الحديث عن الســـباحة والتجديف أيضًـــا من المواضيع الآمنة، فتحدثا عن ذلك لفترة، وبعد أن رقصا مرة أخرى، قالت:

- سندريللا! يجب أن أبدأ التفكير في القطار، يا (دوايت).

قام بدفع الحســـاب بينما كانت في غرفة تغييـــر الملابس، ثم قابلها بعد ذلك عند الباب، في هذا التوقيت كانت الشوارع ساكنة، والمطاعم والمقاهي قد أغلقت أبوابها، لم يكن إلا الســـكارى يترنحون أو يميلون للنوم على الأرصفة، فجعدت أنفها وقالت:

- يجب أن يفعلوا شـيئًا حيال هذا الوضع، لم يكن بتاتًا هكذا قبل الحرب.
- إنها فعلًا مشـكلة، لقد وصل الحال إلى السفينة، على المرء أن يفعـل ما يريد طالمـا لا يزعج الآخرين، فبعض النـاس يضطرون إلى الخمور، لاسيما بهذه الأيام.

ثم لمح رجل شرطة، فأردف:

- هذا علـى الأقل ما يعتقده رجال الشـرطة، إنني لـم أر واحدًا مخمورًا تم القبض عليه بسبب الخمر.

توقفت في المحطة كي تشكره وتتمنى له ليلة سعيدة

- لقد كانت أمسـية جميلة، والنهار أيضًا، أشكرك على كل شيءٍ يا (دوايت).
- وأنا استمتعت فعلًا، لم أرقص منذ سنة مضت.
- لم تكن سيئًا، هل تعرف متى ستتجه إلى الشمال؟
- لا، ليس بعد، سننطلق إلى جولتنا يوم الاثنين وربما نعرف بعدها.
- اتصل بي بمجرد عودتك يا (دوايت).
- بالطبع.
- يجب أن أذهب، وإلا فاتني القطار، تصبح على خير.
- تصبحين على خير.

وقف يشـاهدها حتى اختفت بين الزحـام، منظرها من الخلف، في فسـتانها الصيفي الخفيف، لم تكن مختلفة عن (شـارون) أم أنه نسي فخلط بينهما؟ لا، إنها تشـبه (شارون) في مشيتها، ليس في شيءٍ آخر، ولعل هذا هو سـبب حبه لها، فهي تشـبه زوجته في جانبٍ ما، عاد إلى مقره في ويليامزتاون، ذهب إلى الكنيسـة صباح الأحد، كما اعتاد كلما سـنحت الظروف، وفي الساعة العاشـرة صباح الاثنين، قابل الضابط (بيتر هولمز) بدار البحرية، منتظرًا لدى المكتب الخارجي ليقابلا عضو البحرية الأول، السير (ديفيد هارتمان).. فقال لهما السكرتير:

- لن يسـتغرق دقيقة، ما أعلمه أنه سـيأخذكما إلى مكتب حكومة الكومونولث.
- فعلًا؟

فأومأ الضابط.

- لقد طلب سيارة..

رن الجرس، فدخل الضابط الشاب إلى المكتب الداخلي، وعاد بعد لحظة..

- تفضلا.

دخلا المكتب، وقف نائب الأدميرال لتحيتهما..

- صباح الخيـر كابتن (تاورز).. صباح الخيـر كابتن (هولمز).. رئيس الوزراء يريـد أن يتحدث معكما قبل انطلاقكما، سـنذهب إلى مكتبه حالًا، لكن قبل أن نذهب إليه أود أن أعطيكما هذا.

وســلم (دوايت) تقريرًا من مكتــب القيادة عن رحلته إلى شــمال الأطلنطي، وقال:

- ادرسه جيدًا سيعينك في رحلتك.

تركوا المكتب واستقلوا وســيلة كهربية أخذتهم سريعا في الشوارع الســاكنة إلى مكتب الكومونولــث، وفي دقائق قليلة وجدوا أنفســهم جالسين مع رئيس الوزراء على طاولةٍ واحدة، إذ قال:

- أردت أن أراكم قبل أن تبحروا في رحلتكم لأحدثكم عن الغرض من هذه الرحلة، ولأتمنى لكم حظًّا ســعيدًا، والغرض كما تعلمون هو تقرير عن هذه المناطق التي ســتبحرون إليها ومعرفة إمكانية وجود أي كائنٍ حيٍّ ســواء كان بشــرًا أم حيوانًا، وإذا أمكــن جمع معلومات عن النباتات والطيور البحرية هناك.

فقال (دوايت):

- هذا صعب يا سيدي.
- أعلم أنه صعب، لكن المحاولة، وأعرف أن معكم عالم مدني.
- نعم السيد (أوسبورن).

مر رئيس الوزراء بيده على وجهه، وهــي حركة من قبيل العادة، ثم أردف:

- أنا لا أريدكم أن تجازفوا، فلا بد أن تعودوا ســالمين والســفينة سليمة، والأمر كله يرجع إلى تقديركم، في حدود هذه التعليمات، وبناءً على مستوى الإشعاع نريد المعلومات، وإذا أمكن الهبوط على الأرض.

فهز الأدميرال رأسه..

- لا أعتقد.

أضاف رئيس الوزراء:

- ممنوع أن تأخذوا أي فردٍ في ســفينتكم مهما كانت الظروف إلا بعد إذنٍ من الإدارة عن طريق إشــارة الراديــو، فأنتم تعرفون أنه يتحتم عليكم أن تتعرضوا لأي شيءٍ مصاب بالإشعاع، واضح؟

- تمامًا، يا افندم.

فوقف رئيس الوزراء وقال:

- أتمنى لكم حظًّا سعيدًا، وسنلتقي بعد عودتكم.

3

بعد تسعة أيام، ظهرت الغواصة (سكوربيون) على السطح، وبرز المنظار على الضوء الشاحب في (ساندي كاب) عند خط عرض أربعة وعشرين، ظلت تحت الماء لمدة ربع ساعة وتفقد الكابتن وضع السفينة، وتفحص (أوسبورن) مستوى الإشعاعات والبحر بأجهزته، وانفتح باب الطوربيد الأمامي والخلفي ودارا حول الغواصة، وتم ترتيب حبل الإنقاذ وصعد جميع الطاقم إلى السطح في هواء الصباح المنعش، ليستمتعوا بأشعة الشمس، شعر الطاقم بالجوع الشديد، فبمجرد أن أعلنوا عن الإفطار، هرعوا إلى عنبر الطعام، وصعد بدورهم الطباخون إلى السطح لينالوا قسطًا من أشعة الشمس والهواء المنعش، وعندما خفت الرقابة، صعد مزيد من الرجال إلى السطح، واتخذت السفينة وضعها الطبيعي وأبحرت نحو الجنوب، وأقيمت سارية الراديو وأبلغوا بالإشارة عن وضعهم، وبثت الإذاعة وراحوا يستمتعون بالموسيقى التي اختلطت بطنين التوربينات والآلات، وهما على السطح، قال (بيتر) لـ (دوايت):

- أرى هناك ناقلة وقود، يا افندم.
- نعم، إنها ناقلة وقود.

بالفعل كانت هناك ناقلة في المياه بين كيرنز ومورسـيبي، إنها على سـفينة، الناقلة فارغة، والسفينة مثقلة بحصى الاتزان، وهي مسجلة في أمسـتردام، أبحروا حولها، ونادوا في مكبر الصوت، لكن لا استجابة، نظروا إليهـا بالمنظار، رأوا القوارب معلقة في أماكنها ويكسـو الصدأ هيكل السـفينة، ولا يوجد بها أحد على قيد الحياة، يتضح أنها من بقايا الحـرب، انجرفت إلى مياه المحيط، بالإضافـة إلى الطقس، لا يمكن فعل أي شيء حيالها، فمستوى الإشعاع مرتفع، فلا يستطيعون الصعود إليها، ولو حتى عدلوا جوانبها الثقيلة، بعد مرور سـاعة، تركوها حيث وجدوها، وصوروها خلال المنظار، كانت هي السـفينة الوحيدة التي وجدوها خلال الرحلة، قال ضابط الاتصال:

- سيؤول أمرها إلى تقرير في قراءة (جون) الأمينة عن الإشعاعات.

فقال القائد:

- هذا بالنسبة إلى حجمها، لكن رأينا ذلك الكلب!

فعلًا لن يكون التقرير سـهلًا في كتابتـه، لأن ما رأوه وعرفوه خلال الرحلة قليل جدًّا، لقد اقتربوا من مدينة كارينز، من السطح داخل هيكل السـفينة، فمسـتوى الإشـعاع أعلى من أن يخرجوا فوق الهيكل، لقد سـلكوا طريقهم بين الشعب المرجانية بحرصٍ ليصلوا إليها، لكن ظلوا على بعد، لأن (دوايت) رأى أنه من الخطورة الاقتراب في الظلام، فلما اقتربوا بعد ذلك بدت لهم المدينة خلال المنظار طبيعية، سابحة في أشعة الشمس، ورأوا الشوارع المصطفة بالمحلات، والفيلات الأنيقة القائمة على أعمدة أربعة، وكانت هناك سـيارات مركونة في الشوارع، ونظروا

إلى أحواض السفن فلم يجدوا شيئًا سوى قلة من القوارب الراسية، وعلى الرغم من اقترابهم من الشاطئ فالمنظار لم ير الكثير بسبب الحواجز المعترضة له، وبدت المناطق المواجهة للماء ساكنة كأنه يوم أحد، وفي خضم كل هذا، ظهر كلب أسود ضخم وراح ينبح على المرفأ، ظلوا في هذا الموضع لأكثر من ساعتين، وهم ينادون بصوتٍ عالٍ خلال مكبرات الصوت، لكن لم يكن هناك أي رد، فالمدينة نائمة، استداروا بالسفينة قليلًا حتى رأوا فندق ستراند والمحلات التجارية، وما زالوا ينادون، دون إجابة، وأخيرًا استسلموا وعادوا ليجتازوا الشعب المرجانية قبل حلول الظلام، باستثناء القياسات الإشعاعية التي أخذها (جون أوسبورن).. لم يحصلوا على شيء، فالشمس تسطع في الشوارع، والأشجار تملأ الهضاب، والشرفات تحجبها الستائر، مكان هادئ للعيش به، رغم أنه لا يسكنه إلا كلب، وكانت مدينة موريسبي مثل مدينة كارينز، وكذلك مدينة دارون، بعد أن مكثوا بشاطئ كل واحدة ونادوا خلال المكبر مثلما فعلوا في المدينة السابقة، ولا إجابة لأي نداء، ليس لديهم أي معلوماتٍ غير استنتاج أن الناس في المدن ماتوا بشكلٍ منظم، مثلما علق (جون أوسبورن).

- هكذا تفعل الحيوانات، تزحف إلى أي فجوةٍ لتموت، من المحتمل أنهم ماتوا فوق الأسرة.

فقال الكابتن:

- يكفي هذا.
- حقًا.

- حسنًا، لا أريد أن نتكلم بخصوص هذا مرة ثانية.

لقد تركوا مدينة دارون، كما تركوا كارينز، ومورسيبي، وعادوا من مضيق توريس، واتجهوا جنوبًا تحت الماء إلى ساحل كوينزلاند، كان عناء الرحلة ظاهرًا عليهم، فحديثهم بينهم صار نادرًا، حتى مرت ثلاث ليالٍ على تركهم مدينة دارون، صعدوا إلى السطح وجددوا نشاطهم، وبدأوا يفكرون فيما سيقولونه عن رحلتهم عندما يصلون إلى ميلبورن، تناقشوا في ذلك بعد الغداء، وهو يدخنون في عنبر الطعام، فقال (دوايت):

- عمليًّا، لم تجد السفينة (سواردفيش) أي شيءٍ، سواء في الولايات أو أوروبا.

فتناول (بيتر) تقريرًا مهترئًا، من الخزانة التي خلفه وتصفحه، رغم أنه قرأه أكثر من مرة طوال الرحلة.

- لم أفكر بهذا، فعلًا من الناحية العملية لا يوجد معلومات.
- لقد بحثوا في الشاطئ مثلنا، لكن لا أحد يعرف ماذا حدث هناك، ولا حتى في النصف الجنوبي.
- حقًّا.
- هناك أشياء لا ينبغي لأحدٍ أن يراها.

فقال (أوسبورن):

- فكرت في ذلك ليلة أمس، هل جال بخاطرك أنه لن يرى أحد كارينز مرة أخرى، ولا مورسيبي، ولا دارون؟

فنظروا إليه، وهم يقلبون الفكرة، وقال الكابتن:

• لا أحد سـيرى أكثر ممـا رأينا، من يسـتطيع الذهاب إلى هناك سـوانا؟ وحتى نحن لن نذهب إلى هناك مجـددًا، على الأقل في هذه الآونة.

فقال (دوايت):

• هذا صحيح، لا أعتقد أنهم سيرسلوننا هناك مرة أخرى، لم أفكر فـي الأمر بهذا الشـكل، لكن أنت على حق، فنحـن آخر من رأى هذه المناطق، وعمليًّا لم نر شيئًا.

تقلقل (بيتر) وقال:

• هذا تاريخ، ألا يكتب أحد عن هذا التاريخ؟

فعلق (جون):

• لم أسـمع بأحدٍ يكتب عن هذا، لكن سأبحث، وإن كنت لا أرى أهمية في كتابة ما لن يقرأه أحد.

فقال الأمريكي:

• ومع ذلك لا بد من كتابته، حتى لو سـيقرأ بعد ذلك بشهور، فأنا شـغوف بقراءة تاريخ هذه الحرب، فرغم أنني شاركت في جزءٍ منها إلا أنني لم أقرأ عنها، على أي حالٍ دائمًا أعد نفسي للأشياء التي أعرفها.

• ما نوع هذه الأشياء يا افندم؟

• بداية، كم قنبلة تم إلقاؤها، أعني قنبلة نووية؟

- سجلت أجهزة قياس الهزات حوالي أربعة آلاف وسبعمائة هزة، ولأن الأجهزة ضعيفة، فهناك أكثر من هذا العدد.
- كم هزة قوية، يعني تنم عن قنبلةٍ نووية، أو هيدروجينية؟
- معظـــم هذه الهزات القوية كانت في الحرب الروســية الصينية، معظمها استخدمت عنصر الكوبالت.

فسأل (بيتر):

- لِمَ فعلوا ذلك؟ أعني لِمَ استخدموا الكوبالت؟

فهز العالم المدني كتفيه، وقال:

- لا أستطيع أن أخبرك إلا بأنها حرب إشعاعات.

فقال الأمريكي:

- أنا أخبرك، فقد حصلت على دورةٍ في القيادة، قبل الحرب بشهر، فأخبرونا بما يمكن أن يتم بين روســيا والصيــن، وارتبط الأمر بالمياه الدافئة في روســيا، فلم يكن لدى روســيا ميناء لا يتجمد في الشتاء إلا أوديســا، وهذا على البحر الأسود، وللخروج منه إلى بحر الشمال يلزم العبور من مضيقين تحت قوات الناتو في ذلك الوقت وهما؛ الفوسفور، وجبل طارق، وباســتخدام كاســحات الجليد، وأن هدف روســيا هو شنغهاي.

فسأل العالم:

- وهل الصناعات السيبيرية لديهم، تتيح فعل ذلك؟

• نعم، ومن أجل نقلها بالقطار أنشأوا مدنًا جديدة، ولكن أخبرونا أيضًا أن عدد سكان الصين ثلاثة أضعاف سكان روسيا، في حين أن روسيا تمتلك مساحات شاسعة غير مأهولة بسبب قلة السكان، وأن الصناعة الصينية تطورت في العشرين سنة الأخيرة مما جعل روسيا تخشى من هجومٍ صيني، غير أن روسيا تستطيع أن تجعل الصين تقوم بإخلاء المنطقة الشمالية لو أنها نظمت إسقاط القنابل

فالتفت (بيتر) وسأل العالم المدني:

• كم من الوقت يمضي حتى يعمل الناس في شنغهاي؟

• ليس قبل خمس سنوات، لكن ما موقف الصين؟

• الصين هدفها ليس قتل الروس، لكن إرجاع روسيا لتكون زراعية كما كانت، وأن تغطي روسيا بالغبار الذري، وإن كان هناك شيء في صالح روسيا وهو أن الصين ليس لها أصدقاء ولا حلفاء سوى روسيا! كما أخبرونا في دورة القيادة.

جلسوا يدخنون في صمتٍ لبضع دقائق، ثم قال (بيتر):

• وهذا في رأيك الذي اشتعل في نهاية المطاف؟ أعني بعد الهجمات الأصلية التي شنتها روسيا على واشنطن ولندن؟

فنظر إليه (جون) و(دوايت) الذي قال:

• لم تضرب روسيا واشنطن إطلاقًا، وأثبتوا ذلك في النهاية.

فحدق فيهما قائلًا:

• أقصد أول هجومٍ فعلي.

• هذا صحيح، أول هجومٍ فعلي كان من قاذفي قنابل روس، لكنهم تسلحوا من مصر، لقد انطلقوا من القاهرة.

• هل أنت متأكد؟

• نعـــم، لقد حصلوا على الواحدة التي نزلـــت في بورتوريكو في طريق العودة، واكتشـــفوا أنها مصرية بعد أن ضربنا لينجراد وأوديســـا والمنشـــآت النووية فـــي خاكيف، ومولوتوف، وكيوبيشـــيف، كل هذا حدث في لمح البصر.

• هل تقول أننا ضربنا روسيا عن طريق الخطأ؟

• هذه حقيقة يا (بيتر).. وإن لم يتم الاعتراف بها علنًا، فهي حقيقة، الأولى كانت في نابولي، وهؤلاء كانوا الألبان، وواحدة على تل أبيب، ولا أحد يدري من ألقى بها، ثم تدخل بعد ذلك البريطانيون والأمريكيون وقاموا باستكشاف القاهرة، وفي اليوم التالي أرسل المصريون القاذفات التي يمكن استخدامها؛ ســـتة إلى واشنطن، وسبعة إلى لندن. بعد ذلك لم يعد هناك كثير من رجال الدولـــة الأمريكيين أو البريطانيين على قيد الحياة.

أومأ (دوايت):

• سمعت أن القاذفين كانوا روسًا، وعليهم علامات روسية، وهذا محتمل.

فقال الأسترالي:

• يا إلهي! هل هكذا ضربنا روسيا؟

- هذا ما حدث.

فقال (جون):

- بذلك يفهم أن واشـــنطن ولندن من الأبرياء، فالقرارات يتخذها القادة العسكريون في حالة الاستنفار، ويأخذونها بسرعة قبل أي هجوم، الأمور كانت في منتهى التوتر مع روسيا، بعد قنبلة الألبان، واكتشاف أن الأجهزة روسية.

- يضطر الإنســـان أن يتخـــذ قرارًا في دقائـــق، إلا أنهم في كانبيرا يعتبرون هذا خطأ.

- إذا كان خطأً، لماذا لم يوقفوه، لماذا استمروا؟

- من الصعب إيقاف الحرب بعد أن قتل كثير من رجال الدولة.

فقال العالم:

- المشـــكلة هي أن الأشياء المميتة زهيدة الثمن، فقنبلة اليورانيوم الأصلية تبلغ قيمتها خمسين ألف جنيه، وكل دولة تافهة كألبانيا يمكنها أن تمتلك منها الكثير، وكل دولةٍ لديها هذا الكم تعتقد أنها تستطيع هزيمة دولة كبرى بهجومٍ مفاجئ، وهذه هي المشكلة.

- والســـبب الثاني؛ الطائرات، فروسيا أعطت لمصر طائرات كثيرة على مدى ســـنوات، ومن ثم فعلت لندن مع إسرائيل والأردن، والخطأ الأكبر أنهم أعطوا هذه البلدان طائرات طويلة المدى.

فسأل (بيتر):

• حسنًا، كانت الحرب بين روسيا والقوى الأوربية، فمتى دخلت الصين؟

فأجاب الكابتن:

• لا أعتقد أن أحدًا يعرف على وجه الدقة، لكن الصين دخلت بصواريخها والأسلحة الإشعاعية ضد روسيا، مستغلة الفرصة، ربما لم تعرف مدى استعداد روسيا من الأسلحة الإشعاعية ضد الصين، ولكن كل هذا مجرد تخمين، فمعظم المعلومات لم تصلنا هناك ولم تصل جنوب أفريقيا، كل ما نعرفه أن الأمر وصل إلى الضباط الصغار في معظم البلدان.

فابتسم (جون) ساخرًا:

• ميجور شان لين.

• ومن (ميجور شان) هذا؟

• لا أحد يعرف غير أنه ضابط في الطيران الصيني، ترقى قرب نهاية الحرب إلى تولي القيادة، كان رئيس الوزراء على اتصالٍ به محاولًا إيقاف كل شيء، كان لديه صواريخ على مستوى الصين كلها، وكمية من القنابل، وربما كان نظيره الروسي مثله، على أي حالٍ لم أسمع اسم روسيا مميزًا.

ساد الهدوء لفترةٍ، قطعه (دوايت):

- بالتأكيد كان الموقف صعبًا جدًّا، فهذا الفتى يمتلك في يديه أسلحة يشن بها الحرب، وأظن أن الموقف كان مشابهًا في معظم الدول، بعد أن قتل رجال الدولة، مما جعل الحرب من الصعب إيقافها.

- بلا شك، لم تقف إلا بعد أن نفدت القنابل، وصارت كل الطائرات غير صالحة للاستخدام.

فقال (دوايت) بلين:

- يا إلهي! لا أدري ما الذي ينبغي لي أن أفعله لو أنني مكانهم.

فقال العالم:

- أظنك كنت ستتفاوض.

- مع عدوٍّ ضرب الولايات المتحدة وقتل رجالها؟ بينما معي أسلحتي في يدي؟ هل أتوقف وأستسلم؟ نعم ذهني متفتح لكن... لا أدري، لو أن هذا الأمر انتقل لي ماذا كنت سأفعل!

فقال العالم وهو يتمطى، ويتثاءب:

- وهم كانوا كذلك، يا له من أمرٍ سيئ! على أي حالٍ لا تلوموا الروس، فلم تفعل ذلك دول عظمى، بل دول غير مسؤولة.

فابتسم (بيتر هولمز) ابتسامة عريضة..

- الأمر صعب علينا جميعًا.

- لديك ستة شهور إضافية، تزيد أو تنقص قليلًا، بأي حال، أنت تعرف أنك ستموت في وقتٍ ما، والآن تعرف متى؟!

هكذا علق (جون) وأضاف ضاحكًا:

- حقق ما تستطيعه فيما تبقى لك من عمر.
- أعرف ذلك، لكن المشكلة أنني لا أستطيع أن أفكر في شيءٍ أريد أن أفعله أكثر مما أقوم بفعله الآن.
- محبوس في هذه الغواصة اللعينة؟
- هذا صحيح، إنها مهنتي.
- لا أتخيل، لكنك تريد أن تتحول مسلمًا ويكون لك نساء.

فضحك قائد الغواصة.

- ربما يمتلك شيئًا ما هناك.

فهز ضابط الاتصال رأسه.

- فكرة جيدة، لكن ليست عملية، فـــ (ماري) لن تقبلها.

وتوقف عن الابتسام ثم قال:

- المشكلة أنني لا أعتقد أنه سيحدث، هل تعتقد أنت؟
- ليس بعد الذي رأيته أنت.
- لا، لو رأينا أي ضرر....
- لا أتخيـــل ذلك، لكنكم أنتم الذيـــن في الخدمة، لا فرق لديكم، أما أنا فلا...
- نفترض أنني لا أتخيل مطلقًا، فأرى أنها نهاية العالم.

فعلق (جون أوسبورن) ضاحكًا:

- لن تكون نهاية العالم، هي فقط نهايتنا نحن، أما العالم فسيستمر بدوننا، وأعتقد أنه سيستمر بشكلٍ أفضل.

فرفع (دوايت تاورز) رأسه..

- أعتقــد أن هذا صحيح، فلا يبدو أن الضــرر كبير على كارينز أو مورسبي.

توقــف عن الكلام قليلًا وتأمل الأشــجار المورقــة التي رآها على الشــاطئ خلال المنظار والنخل الباســقات تحت أشــعة الشمس، ثم أضاف:

- ربما كنا أكثر سخفًا من أن نستحق هذا العالم.
- هذا صحيح تمامًا.

ويبدو أنهم لم يجــدوا ما يقوله أكثر من ذلك عــن هذا الموضوع، فصعدوا إلى السطح ليدخنوا في أشعة الشمس والهواء المتجدد.

مرروا مقدمة الســفينة من مدخل ميناء سيدني بعد فجر اليوم التالي واتجهوا جنوبًا إلى مضيق باس، وفي صباح اليوم التالي كانوا في خليج بورت فيليب، وأرسوا الســفينة بجوار حاملة الطائرات في ويليامز في الظهر، كان عضو البحرية الأول في اســتقبالهم وصعد إلى سكوربيون، قابله (دوايت تاورز) في الممر وقدم له التحية، فرد له التحية ثم سأل:

- حسنًا أيها القائد، ما أخبار الرحلة؟
- لــم نصادف أي عقباتٍ يا افندم، العملية ســارت وفقًا للأوامر، لكن أخشى أن تجد النتائج محبطة.

- لم تحصل على معلوماتٍ كافية؟
- مســـتوى الإشعاع عالٍ، لم نســـتطع الظهور شمال خط عشرين عرض.
- هل لديك أي حالاتٍ مرضية؟
- حالة واحدة، حصبة، لا يوجد أي إشعاعات.

نزل كلاهما إلى كابينة القائد الصغيرة، وبسط (تاورز) التقرير، الذي عبارة عن ورق (فولسكاب) مكتوب بالرصاص.

- ســـأكتبها بالآلة الكاتبة في سيدني، لكن ما يحمله التقرير، أننا لم نجد شيئًا إلا قليلًا جدًّا.
- لم يوجد أي مظاهر للحياة؟
- لا شـــيء على الإطلاق، بالكاد رأينا كارنيز ومورسيبي بالمنظار، ولم نر داروين تقريبًا بسبب التلال.

أخذ الأدميـــرال يقلب الـــورق المكتوب بالرصـــاص ويتوقف هنا وهناك، ولاحظ قائلًا:

- هل توقفتم عند كل مكانٍ وقتًا كافيًا؟
- خمس ساعات تقريبًا، ونادينا بمكبر الصوت.
- دون إجابة؟
- لا يا افندم.
- ولا طيور بحر؟

- ولا طائر، لكن رأينا كلبًا في كارنيز.

بعد أن مكث الأدميرال عشرين دقيقة، قال قبل أن يهم بالانصراف:

- حسنًا، سلم التقرير بأسرع ما يمكن، وأرسل لي نسخة على مكتبي، وإن كانت النتائج مخيبة للآمال غير أنك بذلت أقصى ما في وسعك.

- قرأت يا افندم تقرير السفينة (سواردفيش).. فلم تذكر أكثر مما ذكرنا.

ثم تردد قليلًا وأردف:

- لدي اقتراح، أود أن أطرحه.

- ما هو يا كابتن؟

- مستوى الإشعاع ليس بالمرتفع جدًّا، على حسب قياس العالم المدني، ويمكن لو أن شخصًا ارتدى بذلة وقاية وما يلزمها واستقل زورقًا ثم ينزل ليأتي بأي معلومات.

- سيصير تطهيره أمرًا بالغ الصعوبة، إن لم يكن مستحيلًا، لكن على أي حالٍ سأعرض الأمر على رئيس الوزراء، فهو اقتراح قائم.

وتوجه الأدميرال إلى غرفة التحكم قبل صعوده إلى السطح، فقال الأمريكي:

- هل يمكن منح إجازة على الشاطئ يا افندم؟

- هل يوجد أي إصلاحات؟

- شيء لا يذكر.
- إذًا عطلة لمدة عشرة أيام، سأرسل إشارة بذلك.

اتصل (بيتر) بـــ(ماري) بعد الغداء:

- أهلًا حبيبتي، ســأكون الليلة في البيت، أنا بصحةٍ جيدة، لســت أدري الموعــد بالضبط، فلدي تقرير يجــب أن أنتهي منه أولًا، وبعدها سأحضر، لا تقلقي بشأن استقبالي، سأمشي من المحطة إلى البيت.
- جميل أن أسمع صوتك مرة ثانية، لن تتناول العشاء في الخارج.
- لا تتعبي نفسك، سأصنع بعض البيض لنفسي.
- سأعد طعامًا في الإناء، وأبقيه حتى تحضر.
- بالمناسبة، عندنا حالة حصبة، وأنا في حالة حجرٍ صحيٍّ تقريبًا.
- أوووه عزيزي، لقد أصابتك الحصبة من قبل.
- منذ أن كنت في الرابعة، والطبيب قال لي يمكن أن أصاب بها مرة ثانية، فترة الحجر ثلاثة أسابيع، هل أصبت بالحصبة من قبل؟
- عندما كنت في الثالثة عشرة.
- إذًا لن تصابي بها مرة أخرى، فأنت بأمان.
- وماذا عن جنيفر؟
- سأسأل الطبيب، وعلى أي حال سأبتعد عنها.
- وأنا سأسأل طبيب الأطفال.

أنهـى المكالمة وذهب إلى عمله، بينما تفرغـت (ماري) للهاتف، اتصلت بالسيدة (فوستر) لتحضر لها اللحم والبصل، واتصلت بالطبيب الذي أخبرها بإمكانية إصابة (جينيفر) بالحصبة وعليها أن تحترس، ثم اتصلت بـ (مويرا ديفيدسـون) التي اتصلت بها ليلة أمس لتستفسر عن الغواصة، اتصلت بها (ماري) في وقت الشاي في المزرعة.

- عزيزتي، هم عائدون، اتصل بي (بيتر) توًّا من السـفينة، مصابون بالحصبة.

- مصابون بماذا؟

- حصبة، كالتي أصابتك عندما كنت صغيرة في المدرسة.

فانطلقت ضحكة رنانة بشكلٍ هستيري، فقالت (ماري):

- الموضوع لا يستحق الضحك، أنا قلقة على (جينيفر) قد يصيبها (بيتر).. لقد أصيب بها مرة، لكن يصاب بها مرة أخرى، شيء مقلق.

- آسفة يا حبيبتي، موضوع غريب، هل له علاقة بالإشعاع؟

- لا يا عزيزتي.. (بيتر) قال لي أنها مجرد حصبة.

ضحكت (مويرا) مرة ثانية، وقالت:

- إن ما يفعلونه من إبحار لمدة خمسـة عشـر يومًا، ثم يكتشفون موتى بالإشعاع، ولا يصابون إلا بالحصبة! سأل (دوايت) عن هذا، هل وجدوا أي شخصٍ على قيد الحياة؟

- لا أدري، لــم يقل لي (بيتر) شــيئًا عن هذا، ليــس مهمًّا، المهم هو (جينيفر) أخبرني الدكتور (هالوران) أنه يمكن أن تصاب بالعدوى، وسيظل (بيتر) ناقلًا للعدوى لمدة أسبوعين.
- يجب أن ينام ويتناول طعامه في الشرفة.
- لا تسخري يا عزيزتي.
- حسنًا، تنام (جينيفر) في الشرفة.

فقالت أمها:

- الذباب والناموس، وربما تأتي قطة وتنام على وجهها وتخنقها، إنها تفعل ذلك.

أردفت (مويرا):

- ضعي ناموسية على سريرها.
- ليس عندي ناموسية.
- أظــن أننا نمتلك واحــدة، اعتاد أبي اســتعمالها عندما كان في كويزلاند، وبها فتحات.
- فتشي عنها يا عزيزتي، أرجوك، إني خائفة من القطة.
- سأذهب وأبحث عنها حالًا، وإذا وجدت سأرسلها في البريد، أو أحضرها بنفســي، هل ستقوما بدعوة القائد (تاورز) مرة أخرى، إذ أنهم في عطلة.

• لا أعــرف، ربما لا يرغبان في ذلك بعد وجودهما معًا طوال هذه المدة، هل تريدين أن نقوما بدعوته؟

قالت الفتاة بعدم اكتراث:

• شيء لا يعنيني.

• عزيزتي!

• كفي عن إزعاجي، وعلى أي حالٍ هو متزوج.

قالت (ماري) وهي في حيرة:

• لا يمكن يا حبيبتي، ليس الآن.

• هــذا كل ما تعرفينه، مما يجعل الأمر أصعب، ســأذهب وأفتش عن الناموسية.

عندما عاد (بيتر) في المساء، وجد (ماري) غير مهتمة بكارنيز، لكنها قلقة بشأن (جينيفر).. لقد اتصلت بها (مويرا) مرة أخرى وأخبرتها أنها أرســلت ناموســية، وإن كانت (ماري) عثرت على قطعة قماش شاش وأسدلتها على سرير عربة (جينيفر).. وهكذا قضى ضابط الاتصال أول ليلة في صنع ناموسية مؤقتة لـــ (جينيفر).

• متأكد يا (بيتر) من أنها تستطيع التنفس بسهولة.

فعل (بيتر) ما يطمئنهــا، ورغم ذلك قامت ثلاث مرات ليلًا لتطمئن على الطفلة، وأنها ما زالت على قيد الحياة، اهتمت بالجانب الاجتماعي في الغواصة عن الجانب الفني.

• هل ستدعو القائد (تاورز) مرة أخرى؟

- حقيقة لم أفكر في الموضوع، هل تريدين أن ندعوه؟
- أنا أعتز به، و(مويـــرا) تعتز به جدًّا، فهو يبدو لها لطيف وهادئ، لكنك لن تقول.
- لقـــد اصطحبها في نزهـــة، وقاما بجولةٍ على الســـفينة، بالتأكيد عطلته وضيعت وقته.
- اتصلـــت ثلاث مرات خـــلال غيابكما، لم تكـــن تطمئن عليك بالطبع.
- ربما كانت تشعر بالملل.

كان عليـــه أن يذهب إلـــى المدينة فـــي اليوم التالـــي ليقابل (جون أوســـبورن) في القيادة البحرية ومع رئيس البحث العلمي، انتهى اللقاء ظهرًا، وأثناء خروجه من المكتب، أخبره العالم:

- بالمناسبة هناك لفافة خاصة بك.

وقدم له لفافة ورق بنية اللون مربوطة بخيط، وأردف:

- ناموسية، طلبت مني (مويرا) أن أعطيها لك.
- تحتاجها (ماري) بشدة.
- ماذا ستفعل بشأن الغداء؟
- ليس لدي فكرة.
- تعال معي إلى نادي (باسترول كلوب).

اتسعت عينا الضابط الشاب، إنه فخم وباهظ الثمن.

- هل أنت عضو هناك؟
- دائمًا عزمت على أن أكون عضوًا هناك قبل أن أموت.

استقلا الترام إلى النادي الذي في الطرف الآخر من المدينة، لقد زار (بيتر) النادي من قبل مرة أو مرتين، وتأثر جدًّا به، وهو مبنى قديم بالنسبة لأستراليا، أكثر من مائة سنة، تم بناؤه في الأيام الخوالي على غرار أفضل نادي بلندن في ذلك الوقت، احتفظ بطرازه القديم والتقليدي؛ إنجليزي أكثر من الإنجليزي، يقدم أطعمة من القرن التاسع عشر بأسلوب القرن العشـــرين، كان أفضل نادي في الكومونولث قبـــل الحرب، ولم يزل، تركا قبعتيهما في الصالة، واغتســـلا فـــي دورة المياه العتيقة قبل التوجه إلـــى رواق في الحديقة، حيث يوجد عدد كبير من الشـــخصيات العامة التي تجاوزت منتصف العمر تتحدث في الشـــؤون العامة، لوح من بين المجموعات شخصية مرموقة وتقدمت نحوهما، قدمه (جون) بأنه عمه (دوجلاس فراود).. كان الســـير (دوجلاس فـــراود) فريقًا في الجيش، وتقاعد قبل الأحداث مباشرة، انزوى من الحياة العامة إلى عزبة خاصة صغيرة يربـــي فيها بعض المواشـــي ويحاول أن يكتـــب مذكراته، منذ عشرين سنة وما زال يحاول رغم فقدانه للحماس، إذ تحولت اهتماماته لبعض الوقت إلى زراعة الحديقة ودراسة الطيور الأسترالية، لم يتبق من عاداته الاجتماعية سوى الغداء الأسبوعي في نادي (باسترول كلوب).. لم يزل قوامه ممشوقًا رغم الشعر الأبيض والوجه الأحمر، رحب بحفيد أخيه ببشاشة.

- أهلًا (جون).. علمت ليلة أمس أنكم قد عدتم، رحلة موفقة؟

- جيدة، لكن لم نعثر على شيء، ولقد أصيب أحدنا بالحصبة.
- حصبة! أفضل من الكوليرا، آمل ألا يكون أحدكما، هيا لنحتسي مشروبًا.

نهضا وسارا معه إلى طاولته، بادره (جون):

- شكرًا لك أيها العم، لم أتوقع أن أراك هنا اليوم، أحسب أنك تأتي الجمعة.
- هذا منذ ثلاث سنوات، أخبرني الطبيب أنني إن لم أتوقف عن شرب البورت، فلن يضمن حياتي أكثر من عام.
- وماذا فعلت؟
- ما زلت أشرب، لآخر قطرة، وصرت أحضر هنا ثلاث مرات في الأسبوع، فأنا أفضل أن أموت شاربًا عن موتي بالكوليرا! تقول أنه لم يصب أحدكم بالكوليرا.
- أخذنا كل احتياطاتنا، وكنا تحت الماء معظم الوقت.
- هذه وسيلة جيدة للحماية، هل هناك أحد على قيد الحياة في كوينزلاند؟
- لا يوجد في كارينز، أما تاونسفيلد فلا أعرف.
- لقد انقطع الاتصال عن تاونسفيلد، لكن سمعنا أنها ابتليت بالإصابة.

ثم وجه كلمة إلى (بيتر):

- ما رأيك بالخدمة في سفينةٍ أمريكية؟
- جميلة جدًّا يا سيدي، مختلفة تمامًا عن الأسترالية، ولأول مرة أكون في غواصة، والصحبة لطيفة جدًّا.
- ليسوا مكتئبين، ولا أرامل؟
- لا، معظمهم صغار السن، ولا أعتقد أنهم متزوجون، إلا القبطان فهو متزوج بالطبع.

فأومأ الرجل العجوز، واحتسى كأسًا أخرى، ثم قال متسائلًا:

- القبطان، أليس هو (تاورز)؟
- نعم يا سيدي، أتعرفه؟
- جاء هنا مرة أو اثنتين، وقدموه لي.. (بيل ديفيدسون) أخبرني أن ابنته تعرفه.
- نعم قابلته في منزلي.
- أرجو ألا تكون دفعته لشيءٍ خطأ.

في تلك اللحظة كانت تتصل بالقبطان هاتفيًّا في حاملة الطائرات:

- أنا (مويرا) يا (دوايت).. ما الذي سمعناه عن إصابة أحدكم بالحصبة؟

خفق قلبه لما سمع صوتها.

- صحيح، لكن هذه معلومات محظورة.
- بمعنى؟

- سرية، لو أن مركبة أمريكية تعطلت للحظة لا نخبر بها إطلاقًا.
- جميع الآلات تتوقف لأي ســـبب! وأرى أن سكوربيون واحدة أصيبت بالحصبة، فهل هذا بسبب ســـوء الإدارة؟ هل تعتقد أن السفينة بها قبطان كفء؟
- أستطيع أن أقول أنه ليس بها قبطان جيد، دعينا نلتقي في مكانٍ ما ونناقش الأمر، فأنا غير راضٍ عنه.
- هل ستذهب إلى منزل (هولمز) هذا الأسبوع؟
- لم يطلب مني ذلك.
- هل لو طلب منك ذلك ستلبي الدعوة؟ هل أكلمه؟
- لـــن تجديه الآن، فهو يتناول الغداء مع (جون).. أعتقد في نادي باسترول.

أنهت المكالمة مع (دوايت) ثم اتصلت بـــ (بيتر) في النادي قبل أن يغادر، وتحدثت في الموضوع مباشـــرة، وطلبت منه أن يدعو (دوايت تاورز).

انتظرته في المحطة بعربتها كما فعلت في المرة السابقة، عندما خرج من المحطة حياها وسألها:

- ماذا عن الرداء الأحمر؟

كانت ترتدي بنطال كاكي، وقميص كاكي، ملابس عملية مثل العامل الحاذق، سارا معًا إلى حيث العربة وركباها، ثم قالت له:

- ماذا عن الذهاب إلى فندق باير قبل منزل (هولمز)؟

- كما ترين.

وصلا إلى الفنـــدق، وربطت اللجام في رف الســـيارة، واتجها إلى صالة السيدات، طلب لها براندي دوبل، وطلب لنفسه ويسكي.

- هيا قل ما عندك يا (دوايت).
- قبـــل أن نتحرك قابلنـــا رئيس الوزراء، اصطحبنـــي للقائه عضو البحرية الأول، تحدثنا عن مواضيع شتى، وطلب منا أن نمسح المناطق ونرى من على قيد الحياة، لكننا لم نعثر على شيء.
- هل انزعج رئيس الوزراء من هذه النتيجة؟
- لست أدري، لم أقابله.

أخذت رشفة من كأسها، ثم سألته بنبرةٍ جادة:

- لم تجـــدوا أي مخلوقاتٍ على قيد الحيـــاة، هل يوجد هناك أي شخصٍ على قيد الحياة؟
- لست أدري، على وجه التحديد، فكي نعرف لا بد أن ينزل أحدنا على الأرض ببذلة حماية ويكتشـــف ذلك، كان علينا أن نفعل ذلك في تلك المرة.
- تلك المرة؟ هل تذهبون مرة أخرى؟
- أعتقد ذلك، لم تصلنا تعليمات لكن لدي إحساس به.

ثم أخذ يحكي لها عن رحيل الســـفينة (ســـواردفيش) ورحلتها في شـــمال الأطلنطي، وكيف أنها لم تصل إلى نتائج مرجوة، وأنهم ليسوا

أقــل منها، وعليهم أن يقوموا بالرحلة، لأنهم لــم يعثروا على أي نتائج مفيدة في الرحلة الأولى، وقفت بعدم اتزان، ثم قالت:

- اطلب لي كأسًــا أخرى يا (دوايت).. أريد أن أنتعش، أذهب إلى مكانٍ ما، أرقص، لا أريد أن نجلس هنا نحلم ونفكر فيما هو آت.
- أنــتِ على حق، لذا اشــربي كأســك، وهيا نذهــب إلى منزل (هولمز).. ثم نذهب بعد ذلك للإبحار.

لما وصلا وجدا (ماري) و(بيتر) قد أعدا عشاءً في نزهةٍ خلوية، ليس لأنها زهيــدة الثمن وأكثر متعة، لكن كانت تعتقد (ماري) أنه كلما ابتعد الرجال عن البيت، صارت (جينيفر) أكثــر أمانًا من العدوى بالحصبة، ذهب (دوايت) و(مويرا) بعد ظهر ذلــك اليوم إلى نادي التجديف بعد غداءٍ خفيف، ليلحق بهما (بيتر) و(مــاري) بعد ذلك على الدراجتين، بدأ ســباق القوارب بشــكلٍ معقول هذه المرة، انتهى السباق بدون أي متاعب، واحتلوا المركز الســادس، وبعدها اتجها إلى الشاطئ ليتناولا بعض المشــروبات والكيك مع (بيتر) و(ماري).. ثم ســارا بعد ذلك ليجلسا على الرصيف ليشاهدا الشمس وهي تغيب، بينما انشغل (بيتر) و(ماري) في إعداد العشاء، جلســا على الدرابزين، يشاهدان الأضواء الوردية تنعكس على صفحة المياه الصافية، ويستمتعان بدفء المساء، فسألته:

- أخبرني يا (دوايت) عن رحلة الســفينة (سواردفيش).. هل قلت أنها ذهبت إلى الولايات المتحدة.

- نعم، وذهبت إلى كل مكانٍ في السواحل الشرقية.
- ألم يكن ذلك خطيرًا؟
- هناك حقــول ألغام فــي كل ميناء، ومداخــل الأنهار، وكذلك بطول الســاحل الغربي، ويجب أن نعرف خريطة كل ذلك حتى نستطيع الإبحار.
- وهل وجدوا في المناطق التي مسحوها أحدًا على قيد الحياة.
- لا يا حلوتي، لقد تغيرت جغرافية كل شيءٍ تمامًا.

ســاد الصمت لفترة وهما يدخنان ويشــربان، بينما الشــمس تغيب رويدًا رويدا.. وسألته مجددًا:

- أين ذهبت بعد ذلك، قلت لي نيولندن؟
- نعم، وهي منطقتهم، فكلهم يعيشون بهذه الأماكن.
- وأنت؟ أين تسكن أنت؟
- في المكان نفسه، على بعد خمسة عشر ميلًا من نيولندن.
- لا تتكلم إذا لم تكن ترغب في ذلك.

فحدق بها وقال:

- لا يعنيني أن أتكلم، لكن لا أريد أن أزعجك، ولن أبدأ في البكاء حينما أرى الطفلة.

وابتسم، بينما هي احمرت خجلًا، وقالت:

- عندما بدلت ملابسي في كابينتك، رأيت بعض الصور، فهل هذه هي أسرتك؟
- نعـــم، زوجتي وطفلاي.. (جونير) فـــي المرحلة الابتدائية بينما (هيلين) في الحضانة.

ولعلمها بأن أســـرته تمثل شــيئًا ثمينًا له، فرأت أنها ينبغي أن تتكلم عنها برفق.

- ماذا تحب أن يكون (دوايت)؟
- أن يلتحق بالأكاديمية البحرية مثلي، فهو يحب الســـباحة، نحن نسكن قرب الشاطئ، وفي الوقت نفسه لا أعرف شيئًا أفضل منها، ربما ترين أنني مجنون بهذه الأفكار
- لا، لست أراك مجنونًا.

نهضت من على الدرابزين الذي يجلســـان عليه، كما فعل هو وسارا معًا على الرصيف.

4

في صباح اليوم التالي (الأحد) استيقظ كل فرد في منزل (هولمز) بحالةٍ جيدة، على عكس الأحد السابق الذي قضاه معهم القائد (تاورز).. فقد ذهبوا إلى النوم بعد أمسيةٍ لطيفة، غير مثارين بالحفل، سألت (ماري) على الإفطار ضيفهم إذا كان سيذهب إلى الكنيسة، معتقدة أنه كلما استطاعت أن تبعده عن البيت أكثر قل احتمال تعرض (جينيفر) لعدوى الحصبة، فقال:

- أريد أن أذهب لو أنه مناسب.

- بالطبع مناسب، افعل ما تريده، فقط فكرت في أن نتناول الشاي في النادي بعد الظهر، إذا لم تكن مرتبطًا بأي شيءٍ آخر.

فهز رأسه وقال:

- يمكن أن أمارس السباحة مرة أخرى بعد الظهر، لكن ينبغي أن أكون في السفينة الليلة في أي وقت، بعد العشاء مثلًا.

- ألا تستطيع أن تقضي الليلة معنا حتى الصباح؟

فهز رأسه، عالمًا بقلقها تجاه الحصبة.

- يجب أن أعود الليلة.

خرج إلى الحديقة بعد انتهاء الوجبة مباشــرةً كي يدخن ســيجارة، وكي يريح ذهن (ماري).. وجدته (مويرا) هناك بعد مساعدتها في غسل الأطباق، وجلست بجواره على أريكة تطل على الخليج.

- هل ستذهب إلى الكنيسة؟
- نعم.
- أيمكنني الذهاب أيضًا؟

فاستدار برأسه ونظر إليها مندهشًا.

- أوه، بالتأكيد، هل تذهبين بانتظام؟
- نادرًا، ومن الأفضل أن أذهب، فربما لا أشرب كثيرًا.

فأطرق قليلًا، وقال بتردد:

- قد يكون، لا أعلم أن هذا له علاقة بذلك.
- هل أنت متأكد من أنك لا تريد أن تذهب بمفردك؟
- أوه، لا، أنا أحب صحبتك.

أثناء خروجهما إلى الكنيســة، كان (بيتــر) في الحديقة يروي بعض النباتات قبل سخونة الشمس، جاءت زوجته حالًا، وسألته:

- أين (مويرا)؟
- ذهبت إلى الكنيسة مع الكابتن.
- (مويرا)؟ تذهب إلى الكنيسة؟
- صدقي أو لا تصدقي، هذا ما حدث.

فوقفت في صمتٍ لدقيقة، وأخيرًا قالت:

- أتمنى أن يكون خيرًا.

- ولمَ لا؟ فهو رصين وهـــي لا بأس بها عندما تعرفينها عن قرب، ربما يتزوجان.

- هناك شيء مضحك في الأمر، أتمنى أن يكون خيرًا.

- على العموم هذا ليس من شأننا، فكثير من الأشياء الغريبة تحدث هذه الأيام.

أومأت برأسها، وبدأت تتمشى في الحديقة بينما هو يقوم بالري، ثم قالت:

- كنت أفكر يا (بيتر).. هل يمكننا أن نخرج هاتين الشـــجرتين من هنا؟

فجاء ونظر إليهما معها، وقال:

- أسأل صاحبة العقار، لماذا تريدين أن تخرجيهما؟

- لا يوجد مكان لزرع نباتات باهظة الثمن في (الكشـــك) فلنخرج هاتين الشـــجرتين ونقطع التعريشـــة، فيمكننا أن نقيم مطبخ حديقة من هنا إلى هنا - أشارت بيدها - وبذلك ســـنوفر جنيهًا كل أسبوع بزراعة احتياجاتنا بالإضافة إلى المتعة.

فراح يعاين الشجرتين، وقال:

• يمكنني قطعهما، وفيهما وفرة من حطب الوقود، طبعًا لن يجفا هذا العام، فلنكدسه لمدة سنة، لكن المشكلة الوحيدة هو كيفية نقل جذع الشجرة، فهو ضخم جدًّا.

• هما شجرتان فقط، أستطيع مساعدتك، استمر في القطع فيهما وأنت في الخارج، لو استطعنا إخراجهما هذا الشتاء، وحفر الأرض، سأزرع النباتات في الربيع، وسنحصل على الخضروات في الصيف القادم، بازلاء وفاصوليا، وقرع عسل، وأصنع مربى قرع عسل.

فتفحص الشجرتين من أعلى إلى أسفل، وقال:

• فكرة جيدة، إنهما ليستا كبيرتين، من الأفضل لو أخرجنا الصنوبر.

• وهناك شيء آخر أود أن أفعله، أريد أن أزرع شجرة صمغية هنا ستكون مورقة في الصيف.

• بالطبع الشجرة الصمغية تعكس منظرًا جميلًا مع زرقة البحر، ويمكننا رؤيتها من نافذة غرفة النوم.

وتوقف متأملًا اللون القرمزي اللامع مع زرقة البحر الداكنة مع سطوع الشمس.

• بالتأكيد سيكون إحساسًا رائعًا أثناء ازدهارها، أين تودين زرعها؟

• هناك في هذه البقعة، وعندما تنمو يمكننا أن نجلس تحتها، ذهبت إلى مشتل ويلسن، لديه مجموعة أشجار صمغية رائعة، ثمن الواحدة خمسة شلنات، هل تعتقد أنه يمكننا أن نزرع واحدة هذا الخريف؟

• أرى أننا نزرع اثنتين، فإذا ماتت إحداهما استفدنا بالأخرى.

وهكذا راحا يناقشـــان ويخططان لزراعة النباتات لمدة عشر سنوات إلـــى الأمام، فمر الصباح بســـرعة، لما عادت (مويـــرا) و(دوايت) من الكنيســـة كانا لا يزالا في الحديقة، فقاما بدعوتهمـــا ليأخذا رأيهما في الخطوط العريضة لمطبخ الحديقـــة، وبعد قليل ذهب (بيتر) و(ماري) إلى داخـــل المنزل ليحضر الأول المشـــروبات، ولتجهز الثانية الغداء، نظرت الفتاة إلى الأمريكي وقالت:

- لابد أن هناك طرفًا قد أصابه الجنون، فإما هما أو أنا.
- لماذا تقولين ذلك؟
- لأنهما لن يكونا هنا بعد ستة شهور، ولن أكون هنا، ولن يحتاجوا خضروات العام القادم.

وقف (دوايت) صامتًا وهو يطل على البحر.

- ومـــاذا إذًا؟ ربما لن يصدقا ذلك، فقد يفكـــرا بأخذها معهما إذا رحـــلا، المهم هو أنهما يخططان لحديقة، فلا تفســـدي عليهما التفكير بقولك (مجانين).
- لـــن أفعل، فلا أحد يعلم ماذا ســـيحدث، فكل واحد مجنون من وجهة نظر أخرى.
- أنت على حق تمامًا.

جاءت المشـــروبات، وأغلقت المناقشـــة، وبدأ الغداء، بعد الغداء، قامت (ماري) بتوجيه الرجلين إلى الحديقة، ظنًّا أنهما يســـببان عدوى،

واشتركت مع (مويرا) في غسل الأواني، وهما جالسان على الأريكة في الحديقة، سأل (بيتر) (دوايت):

- هل سمعت أي شيءٍ عن وجهتنا القادمة يا افندم؟

نظر إليه الأمريكي باهتمامٍ، وقال:

- لا شيء، هل تعرف أنت؟
- لا شـــيء على وجه التحديد، لكن ما سمعته في المؤتمر جعلني أسأل عما ستأتي به الرياح.
- ماذا سمعت؟
- يقال ســـيتم تزويدنا بأجهزة لاســـلكية أخرى، فهل سمعت شيئًا كهذا؟
- لا، لكن لدينا أجهزة راديو وفيرة.
- ربما لتحديد الاتجاهات بشـــكلٍ أكثـــر دقة عندما نغوص تحت الماء.
- ليس مع وجود أجهزتنا، لكن لم يريدوا أن نفعل ذلك؟
- حقيقـــة لا أدري، لـــم يكن هذا على جـــدول الأعمال، كان هذا مجرد كلام في الغرف الخلفية.
- يريدون أن نقتفي أثر الإشارات اللاسلكية.
- صدقني لا أعرف.

شرد الأمريكي مع سحابات الدخان المنبعث من سيجارته وقال:

- سيتل!
- ما هذا يا افندم؟
- تأتي بعض إشـــارات بالراديو من مكانٍ بقرب ســـيتل، أما زالت تبث؟
- ليس لدي أدنى فكرة، هل تقصد أنه يوجد من يدير الأجهزة

فهز كتفيه..

- قد يكون، إذا كان الأمر كذلك، فهناك شـــخصٌ ما لا يعرف كيف يبعث الإشارات، فأحيانًا تكون الإشارة مجموعة من الكلمات، وأحيانًا كلمة غير مشـــفرة، وأحيانًا مختلطة بغير انتظـــام، كما يفعل طفل يلعب بمحطات البث.
- وهل هذا مستمر دائمًا؟
- لا أظن، متقطعة، وعلى ما أعتقد آخر إشارة كانت في الكريسماس.

فقال ضابط الاتصال:

- هذا يعني أنه ربما يكون هناك شخص على قيد الحياة.
- هذه كلها احتمالات، فلا يوجد إشـــارة بدون قوةٍ تحرك الأجهزة كموتور ضخم، وهو يحتاج شابًّا لتشغيله.
- وهل تعتقد أننا سنذهب إلى هناك؟
- مـــن المحتمل، فهذه إحدى النقاط التي يريدون معلومات عنها، يريدون أن يعرفوا كل المعلومات عن محطات الراديو الأمريكية.

- هل لديك شيء يعضدك؟
- لا شيء سوى المحطات البحرية.

ذهبوا بعد الظهر إلى الشاطئ للاستحمام، وتركوا (ماري) في المنزل مع الطفلة، بينما كانت مستلقية على الرمل الدافئ بين الرجلين، سألت (مويرا):

- (دوايت)! هل تعرف أين (سواردفيش) الآن؟
- لم أسمع عنها شيئًا، آخر مرة سمعت عنها لما كانت مونتيفيديو.
- وأين مونتيفيديو، من المفترض أن أعرفها ولكن نسيت.
- في أورجواي، في الساحل الشرقي لأمريكا الجنوبية.
- وهل تسير بسرعة لهذا الحد؟
- لا أدري، ليس هناك معلومات.

فضحك (بيتر):

- سيعرفون عندما تأتي هنا، ثم سينقرون على الزجاج.

فقطبت جبينها:

- ينقرون على الزجاج؟
- ألن تسمعي عن ذلك من قبل؟
- لا.

- لقــد أخبرنــي (جون أوســبورن) أمس أن هناك شــخصًا يهتم بالتاريخ، وبما يحــدث لنا، يصنعون ذلك بطوب زجاجي، حيث تكون الكتابة في المنتصف.

وهنا اعتدل (دوايت) مهتمًّا، وقال:

- لم أسمع ذلك من قبل، ماذا يصنعون بالطوب؟
- يضعونه فوق جبل كوسيســكو، أعلى قمة في أســتراليا، فإذا ما خلا العالم من السكان، سيصدون هناك، وهو في الوقت ذاته ليس بعيد المنال.
- هل يفعلون ذلك؟
- هكذا أخبرني (جون).. لديهم غرف خرسانية منشأة هناك، مثلما في الأهرام.

فسألت الفتاة:

- وإلى متى سيستمر هذا؟
- لا أدري، إنهم يكتبون التاريخ في صفحات ويضعونها بين قوالب الطوب، حتى إذا جاء من بعدهم آخرون، يقرأون.

فقالت:

- وربما من يأتي من بعدهم لا يعرفون كيف يقرأون هذه الصفحات.
- إنهم يكتبونها بطريقة الرسم، مثلًا يرسمون قطة ويكتبون حروفها فيعرفون أن هذه الحروف تعني (قطة).

- لن يكون هناك قطط، فلن يعرفوا أن هذه قطة.
- لا أدري فعلًا، ربما (جون) يعرف، أو يكتشف ذلك.
- من باب الفضول الذي لا معنى له، فلا تأثير له علي أو عليك.

وأضافت متظاهرة بالارتعاب:

- لا تقل لي إنهم يحتفظون بالجرائد، لن أحتمل هذا.

اعتدل (دوايت) وجلس على الرمل، وقال:

- كل هذه المياه الدافئة الجميلة ستضيع هباءً، أظن يجب علينا أن نستغلها.

فوقفت (مويرا) وقالت متفقة معه:

- يجب أن نستفيد منها.

فتثاءب (بيتر):

- اذهبا واستغلا الماء، أما أنا فسأستغل الشمس.

تركاه مستلقيًا على الرمل ونزلا إلى الماء معًا، بينما يعومان، قالت:

- إنك تسبح بسرعة.
- كنت أسبح كثيرًا عندما كنت أصغر.
- وهل تسبح حاليًّا كثيرًا؟
- ليس في السباق، الشيء الذي يجب أن تقلعي عنه فورًا، ما لم تسبحي كثيرًا وتحافظي على التدريب، الماء الآن أكثر برودة مما كان عليه عندما كنت صبيًّا، ليس هنا بالطبع، ولكن في ميستيك.

- هل ولدت في ميستيك؟

هز رأسه بالنفي.

- لا، ولدت في مكانٍ يدعى (ويســتبورت).. كان أبي طبيبًا هناك، وجراحًا في الحرب العالمية الأولى، ثم استمر في ويستبورت.
- كم عمرك يا (دوايت)؟
- ثلاثة وثلاثون، وأنت؟
- يا له من ســؤالٍ ســمج! أربعة وعشــرون، وهل (شارون) من ويستبورت؟
- يعني! أبوها يمتلك بيتًا في ويستبورت، يقضون فيه الصيف.
- إذًا قابلتها هناك.
- نعم، فتى قابل فتاة.
- من المؤكد أنك تزوجت صغيرًا.
- بعد التخرج مباشــرة، كنــت في الثانية والعشــرين، ملازمًا في فرانكلين، وكانت (شــارون) في التاســعة عشــرة، لم تنته من دراستها الجامعية إطلاقًا، وكنا رتبنا لذلك منذ ســنة قبل الــزواج، اجتمع أهلنا وعندما رأوا أننا لن نغير رأينا، قرروا أن يدعمونا فترة.
- هل أعطوا لكما مصروفًا؟
- لمــدة ثــلاث أو أربع ســنوات، ثم توفيت لي عمــة بعد ذلك، وترقيت، وكنا مستعدين.

سبحا حتى وصلا إلى الرصيف وجلسا يستمتعان بأشعة الشمس قليلًا، ثم رجعا إلى (بيتر) على الشاطئ، وجلسا يدخنان، ثم ذهبا ليغيرا ملابسهما، وعادا إلى الشاطئ ليجففا أرجلهما بأشعة الشمس، ويقوما بتنظيفهم من الرمل، وبدأ (بيتر) يرتدي جوربيه، فقالت الفتاة:

- تصور أنك تمشي بجوربٍ كهذا!

فقال الكابتن:

- عند الإصبع الكبير فقط، ولا يظهر.

فمالت وأمسكت بقدمه، وقالت:

- هناك غير الإصبع، ثقوب في الكعب.
- لا يظهر، لاسيما عندما أرتدي الحذاء.
- أليس هناك من يرتقه لك؟
- كنت أقوم بذلك بنفسي، لكن كنت مشغولًا، وإن كنت غالبًا أتخلص منها وأشتري أزواجًا جديدة.
- أوه، وهناك زر ساقط من قميصك.
- وهذا أيضًا لا يظهر، لأنه في أسفل القميص ويختفي تحت الحزام.
- إنك تبدو بحالةٍ مزرية، لو أن الأدميرال رآك بهذه الحالة سيقول إن السكوربيون في حاجةٍ إلى كابتن جديد.
- لن يرى ذلك، إلا إذا جعلني أخلع بنطالي.

- لقد أخذت المحادثة خطًّا غير مجدٍ، أعطني كل جواربك لأرتقها لك.
- هذا لطف منك، لكن لا داعي، فسوف أشتري مجموعة جديدة.
- هل ستجد؟ أبي لم يجد، فقد قال إن بضائع كثيرة اختفت، منها حتى المناديل.

فقال (بيتر):

- حاولت أن أشتري زوجًا من الجوارب، فلم أجد مقاسي، واضطررت أن أشتري أكبر قليلًا.

فاستغلت (مويرا) هذه النقطة..

- متى اشتريت آخر مرة؟
- من الشتاء الماضي.

فتثاءب (بيتر) وقال:

- دعها يا افندم تصلحهم لك.
- سأكون ممتنًا جدًّا.

ونظر إلى الفتاة:

- سأتعبك، أستطيع أن أقوم بذلك بنفسي، مع علمي بأنك ستكونين أفضل.
- لا عليك، هات كل ما يحتاج إلى إصلاح، بما فيهم هذا القميص، هل الزر موجود؟

- أظنني رميته؟
- كن حريصًا، ولا ترم أي زر ينفصل.
- لو اســـتمررت في الكلام بهذا الشكل ســـآتي بجميع ما يحتاج إصلاحًا، سأدفنك في الثياب.
- هات كل ما عندك ولو ملء عربة، فســـأعطيهم لأمي كي توزعهم على الجيران، بالمناســـبة الأدميرال يســـكن بجوارنا، وربما يكون من نصيب زوجته ملابسك الداخلية.
- ساعتها ستكون سكوربيون في حاجةٍ إلى كابتن جديد حقًّا.
- إننا ندور في حلقةٍ مفرغة، هات ما عندك وســـتعرف حينئذ أنني أستطيع أن أجعلك أدميرال حقيقي.
- اتفقنا، وكيف أحضرها لك؟
- إنك في عطلة.
- مـــن حين لآخر يجب أن تحضرهم لي في برويك، وتمكث معنا ليلتين، هل تستطيع قيادة الثور؟
- لم أفعل قط، لكن أحاول.
- أبي معه عربة يقودها حصان اسمها (الأمير).. لكنه لن يسمح لك بلمسها، فلا بد أن تمتطي ثورًا.
- وما المفترض أن أفعل بالثور؟

- تـرش الروث، فهنـاك بقرة تجر محراثًا وأنـت بجوارها تحثها وتوجهها بـ (اللجام) إنها عملية مفيدة للأعصاب.
- بالتأكيد، ولماذا تفعلين ذلك؟
- من أجل الكلأ، فالبعر لو ترك في الأرض سـيختلط بشكلٍ سيئ بالعشب وتصبح رائحته نتنة فلا تأكله الماشية، وكان أبي قديمًا يستخدم المحراث، أما الآن فنستخدم الكاسحة والثور.
- وكم تبلغ مساحة المزرعة؟
- حوالي خمسمائة فدان، نربي فيها الماشية والبقر الأسكتلندي.
- وتقصون صوف الغنم.
- مضبوط.
- ومتى ستقصون صوف الغنم؟ لم أره من قبل.
- في أكتوبر، لكن أبي يريد أن يقدمه هذا العام لأغسطس.

وانحنى ليلبس حذاءه، وقال بتأثر:

- رائع، لم أزر مزرعة منذ وقتٍ طويل، أود لو أقضي يومًا أو اثنين، لو تحملتموني.
- سيسر أبي بك جدًّا.
- سأحضر معي ثيابي التي في حاجةٍ إلى تصليح.
- لن أسامحك إذا لم تحضر سوى الجوارب.

في مســـاء نفس اليوم أوصلته إلى المحطة بعربتها، وأثناء نزوله من العربة، قالت له:

- ســـأنتظرك يوم الثلاثاء في محطة برويـــك بعد الظهر، اتصل بي لأعلم موعد وصولك، وإلا سأنتظرك حوالي الساعة الرابعة.
- ســـأتصل بك، هل حقًّا تقصديـــن أن أحضر كل ثيابي المحتاجة إلى تصليح؟
- لن أسامحك إذا لم تفعل.
- سيحل الظلام أثناء ذهابك إلى البيت، كن حريصًا على نفسك.
- إلى اللقاء، تصبح على خير يا (دوايت).

اتجهت بالعربة إلى مســكنها، وأخذ يرقبها حتــى انزوت واختفت عن مدى البصر، عندما وصلت إلى البيت كانت الســاعة العاشرة ليلًا، استقبلها أبوها عندما سمع صوت الحصان، وساعدها في فك الحصان وركن العربة في مكانها، وقالت:

- دعوت (دوايت) ليقضي معنا يومين، وسيأتي يوم الثلاثاء.

فنظر إليها بدهشة:

- هنا؟
- نعم، قبل أن ينطلق إلى رحلةٍ أخرى، هل تمانع؟
- لا، ليس لدي مانع، إنما أخاف أن يشـــعر بالملل، كيف سيقضي اليوم؟

- أخبرته أنه سيحرث الأرض، شيء للتسلية، فرجل يقود غواصة تعمل بالنووي، بالتأكيد يستطيع قيادة محراثٍ بسيط.

بعد أن دخلا إلى المنزل، أخبر في آخر الليل أمها بالزائر القادم، فاندهشت.

- تعتقد أن هناك شيئًا ما يحدث؟
- لا أدري، لكن أرى أنها تعتز به جدًّا.
- لم تدع رجلًا للإقامة منذ فترةٍ طويلة، من قبل الحرب، منذ فوريست.
- نعم، لكنها لم تعد تتذكره، أو تتحدث عنه، وسررت لأنه انتهى هذا الموضوع.
- أتمنى أن تتزوج، وتستقر ويصبح لها أطفال.
- عليها أن تسرع، إذا كنت تودين رؤية ذلك.

وصل يوم الثلاثاء، واستقبلته في المحطة بعربتها، عندما خرج من المحطة استنشق بعمقٍ الهواء الدافئ، وعلق على هذا الجو قائلًا:

- المكان هنا خلاب، أين ستتجهين.

فأشارت نحو الشمال..

- من هنا على بعد ثلاثة أميال تقريبًا، بعد المروج الخضراء.

كان في يده حقيبة، ألقى بها في العربة تحت المقعد الذي جلس عليه بجوارها وهي تقود العربة، وعندما رأت الحقيبة قالت:

- هل هذا كل ما لديك لتصلحه، وقل الحقيقة.
- بصدق، هذا كل ما لدي.

وسارا بالعربة بين أشجار البلوط والزان، وهو منشرح بالمناظر.

- لكم أحب رؤية هذه الأشجار.
- هناك منها الكثير حول المزرعة.

سارت العربة على الإسفلت الخالي، فأخذ الحصان يسير الهوينى، وهنا قالت:

- هذه هي المنطقة التي نتمشى بها.

نزل معها من العربة، وتمشيا معًا إلى التل، يقود الحصان، بعد اختناق المركبة، وحرارة السفينة، صار في هذه المنطقة الهادئة ذات الهواء المنعش، خلع الجاكت ووضعه على العربة وفك الياقة وسار حيث أصبحت المناظر خلفة ممتدة بالخضرة، وتنتشر فيها الخمائل والأشجار الفردية.

- إنك محظوظة لأنك تسكنين في منطقةٍ مثل هذه.
- أكيد، فالحياة بعيدًا عن هنا مملة، بالمناسبة، هل يوجد مثل هذه المناطق في أمريكا وإنجلترا؟
- يوجد مثلها الكثير في الولايات المتحدة، أما إنجلترا غير ملم بها تمامًا، وإن كنت لم أعهد أجمل منها مطلقًا.

ركبا العربة مرة أخرى، ودخلت العربة بوابة كبيرة، أدى ممر قصير بين أشجار الصنوبر إلى منزلٍ خشبيٍّ كبير نسبيًا مدهون باللون الأبيض،

ومتداخل مع بعــض مباني المزرعة التي في الخلف، وله شــرفة كبيرة فــي الواجهة مصقولة نوعًا ما، اتجهت الفتــاة متجاوزة المنزل إلى فناء المزرعة، فقالت: «آســفة لأنني أخذتك إلى الباب الخلفي، فالفرس لا تتوقف لاسيما إذا كانت بقرب الإسطبل».

عامل المزرعة اســمه (لوو) وهو العامل الوحيد في المزرعة، جاء ليساعد في أخذ الحصان، وجاء والد (مويرا) لاستقبال (دوايت) الذي عرفته بــه، تركوا العربة والحصــان للوو، وذهبوا إلــى المنزل لمقابلة مدام (ديفيدســتون).. بعد قليل تجمعوا جميعًا في الشرفة ليجلسوا في شــمس المساء الدافئة، وليحتسوا مشروبات ســريعة قبل العشاء، تطل المزرعة على منظرٍ ريفي لخمائل ومراعي متعرجة، ومن ورائه ســهول ممتدة، لمــرة ثانية أبدى (دوايت) إعجابه بالمناظر الريفية، فقالت مدام (ديفيدستون):

- نعم جميلة هنا، لكن لا تقارن بريف إنجلترا.
- هل ولدت في إنجلترا؟
- أنا؟ لا، ولدت هنا في أستراليا، فجدي جاء إلى سيدني، واشترى أرضًــا في ريفيرينا، بعض أفــراد العائلة ما زالوا هنــاك، لقد زرتها مرة واحدة، في 1948 بعد الحرب العالميــة الثانية، كانت إنجلترا جميلة، لست أدري كيف هي الآن.

وتركت الشرفة مع (مويرا) للاعتناء بالشاي، بينما ظل (دوايت) مع أبيها، الذي عرض..

- هل أصب لك كأس ويسكي أخرى؟
- لا واحدة تكفي لي.

ظلا في الشمس الدافئة وهما يشربان، ثم قال راعي الماشية:

- أخبرتنا (مويرا) عن رحلةٍ بحريةٍ قمت بها منذ فترةٍ وجيزة إلى الشمال.
- لم نجد شيئًا كثيرًا.
- قالت لنا ذلك.

وأضاف لمضيفه:

- لا تستطيع أن ترى شيئًا من الواجهة المائية خلال المنظار، لا تبدو أنها قصفت بالقنابل، أو أي شيءٍ آخر، إنها كما هي، غير أنه لا يوجد فيها بشر.
- أصيبت بالإشعاع؟
- كلما اتجهت شمالًا ازداد الأمر سوءًا، ففي كارنيز، ربما يعيش المرء أيامًا قليلة، أما داروين، فلا حياة فيها بالمرة.
- متى كنت في كارنيز؟
- منذ أسبوعين.
- أعتقد أن كارينز أسوأ الآن.
- هذا صحيح، والإشعاع سيصل لمستوى معين على كل العالم.
- يقولون سيصل هنا في سبتمبر.

- هذا كلام صحيح، وسيستمر الانتشار بمعدل منتظم، أعتقد كل المناطق التي على خط عرضٍ واحد ستتعرض في الوقت نفسه.

صب السيد (ديفيدستون) كأسًا أخرى لنفسه..

- على أي حالٍ ستصل إلينا في النهاية.
- لو سارت على المعدل نفسه.

وظلا في صمتٍ لفترة، وفي النهاية سأل مربي الماشية:

- ماذا ستفعل؟ هل ستستأنف الرحلة؟
- لست أدري، لم تصلني أوامر بعد.
- هل ستتحرك لو الأمر لتقديرك؟
- لا أقرر بمفردي، فهناك ضباط معي مرتبطون بزوجاتٍ وبيوت، ومن الصعب أن آخذهم بمجرد رغبتي في ذلك، ما لم يكن هناك ضرورة، ليس من الحكمة أن تصدر أوامر ستقابل بالعصيان.

وساد الصمت مرة أخرى، قطعه راعي الماشية:

- من الأشياء التي تحيرني، هو قلة عدد المهجرين، فلم يأت من الشمال إلا القليل.
- أهكذا الوضع؟ أعلم أنك لا تجد موضع قدم في ميلبورن.
- لكن ليس العدد الذي توقعته.

- بسبب كلام رئيس الوزراء الذي كان لاستعادة الثقة، وعلى أي حالٍ ليس من الراحة ترك بيتك لتحيا ببلدٍ آخر في خيمة أو سيارة، كما سيحدث هنا بعد شهرٍ أو اثنين.
- سيظل بعضهم في بيوتهم ولو أصيبوا بالإشعاع، لكن قل لي، أليس هناك علاج من هذا الإشعاع؟
- بل يوجد، إذا ابتعدت عن منطقة الإشعاع، ودخلت مستشفى تخلصك من أثر الإشعاع، وقد حدث هذا مع كثير من المصابين في مستشفى ميلبورن.
- رؤية لطيفة، هل أصب لك ويسكي؟
- أشكرك، أظنني سأصب لنفسي.

وقف وصب لنفسه كأسًا، ثم قال:

- تعرف أنني معتاد الفكرة، فسوف أتعامل معها بهذا الشكل، كلنا سنموت عاجلًا أم آجلًا، والمشكلة دائمًا أنك غير مستعد للموت، لكن الآن أعرف النهاية، وأنه لا محالة آتٍ، فلأكن مستمتعًا حتى آخر أغسطس، ثم بعد ذلك إلى البيت! أفضل من أن أصبح مريضًا منذ سن السبعين حتى التسعين.
- أنت رجل بحري واعتدت هذا، غيري.
- هل ستخلي سكنك؟ وتذهب إلى أي مكانٍ آخر؟
- أنا؟ لا، لن أفعل، سأستقبله هنا في الشرفة وفي يدي كأس، أو على سريري، الكل هنا يفكر بنفس الطريقة.

ظلا في الشــرفة حتى غروب الشــمس إذ جاءت (مويرا) تدعوهما إلى الشــاي، ودخلا إلى المنزل. تلا ذلك يومــان مريحان لــ (دوايت تاورز).. أعطــى ثيابه المحتاجــة للتصليح إلى المرأتيــن اللتين قامتا بأخذهم منه وتصنيفها، وانشــغلتا بتصليحها، ســاعات النهار يقضيها مع الســيد (ديفيدســتون) في المزرعة من الفجر حتى الغروب، عرفه بفــن إزالة الصوف من بعض المناطق في الغنم، وجرف الروث وحمله في عربة اليد وبعثرته في الحقل الصغير بالإســطبل، وقضى ســاعات طويلة يمشــي بجانب الثور في المرج، التغيير أنعش صحته بعد الحياة المقصورة في الغواصة والســفينة الأم، كل يوم ينام مبكرًا، وينام بعمق، ويستيقظ منتعشًا.

فــي آخر يوم من إقامته، بعد الإفطار، وجدته (مويرا) واقفًا عند باب حجرةٍ صغيرة بجوار حجرة الغســل، تســتخدم الآن لتخزين الأثاث، ومنضدة المكــواة، والأحذية طويلة الرقبة، والأشــياء المتبقية من كل صنف، يتأمل التشكيلة التي في الداخل، فقالت له:

- نضع هنا كل شيءٍ بعد أن نقوم بترتيب البيت وتنظيفه، ونقول أننا سنبيعها في السوق الخيرية، ولا نفعل.
- لدينا واحدة مثلها، لكن ليس مملوءة بهذا الشــكل، ربما لأننا لم نمكث هناك طويلًا، لمن هذا التروسيكل؟
- إنه لي.
- أكيد كنت صغيرة عندما استخدمته.

فنظرت إليه وقالت:

- يبدو صغيرًا الآن، لكنني كنت في الرابعة من عمري حينئذ.
- وهناك عصا بهلوان أيضًا.

مد يده وتناولها، فأحدثت صوت صفير من الصدأ.

- منذ سنين لم أر عصا البهلوان، كان الناس مهووسين بها عندما كنت ببلدتي.
- كانت موضة واختفت وعادت مرة ثانية، كثير من الأطفال يمتلكونها حاليًّا في المنطقة، كانت لأخي من قبلي، مثل التروسيكل والدراجة، إنه يكبرني بعامين.
- وأين هو الآن؟
- في إنجلترا.

ونظر حوله فرأى زلاجة ماء وأشياء أخرى، فقال:

- يا لها من أشياء!
- ما زلت أستخدم زلاجة الماء، أو بالأدق كنت أستخدمها حتى نشبت الحرب، اعتدنا أن نذهب كل صيف إلى بارون هيدز، وكانت أمي تؤجر نفس المنزل كل سنة.

ووقفت في صمت، تتذكر المنزل الصغير المشمس الذي بجوار ملاعب الجولف، والرمال الدافئة، وتيارات الهواء التي كانت تندفع نحوها وهي تركب القارب.

- كانت لدي مجرفة خشب أبني بها قلاعًا على الرمال، إنه أمر ظريف أن تنظر في أدوات اللعب عندما كنا صغارًا ونتذكر هذه الأيام، وكيف كانت تبدو أشكالنا في تلك الفترة.
- يمكن أن أتخيلك وأنت في السابعة تلعبين بعصا البهلوان.
- وأستشيط غضبًا كل لحظة!

وقفت تتأمل تلك الأشياء التي في الغرفة، وقالت في هدوء:

- ما كنت أترك أمي تتصرف في أدوات لعبي، قلت أنني سأحتفظ بها كي يلعب بها أبنائي، والآن لا أمل في شيء.
- يا لسوء الحظ! للأسف ما زالت هذه هي الحقيقة.

سحب الباب وأغلقه على كثيرٍ من الآمال العاطفية.

- يجب أن أعود إلى السفينة هذا المساء، هل تعرفين مواعيد القطارات؟
- لا، لكن يمكن أن نتصل بالمحطة ونعرف، ألا يمكنك أن تبقى معنا يومًا آخر؟
- لكم أحب ذلك يا حلوتي، لكن هناك كمية من المهام ينبغي أن أنتهي منها.
- سأتصل وأعرف مواعيد القطارات، كيف ستقضي هذا الصباح؟
- أخبرت أباك أنني سأنهي معه الحرث.
- أمامي ساعة وأنتهي من أعمال المنزل وسألحق بك لنتمشى معًا.

• لكم أتوق لهذا.

بعد الغداء أعطوه ملابسه بعد تصليحها، وشكرهم على كل ما فعلوه معه، ورتـــب ثيابه في الحقيبة، ثم أوصلته (مويـــرا) إلى المحطة، هناك معرض للوحات دينية أســـترالية في المعـــرض الوطني، كانا قد رتبا أن يحضراه معًا قبل أن ينتهي؛ ســـيتصل بها، واستقل القطار إلى ميلبورن، عائدًا إلى عمله، وصل هناك حوالي الســـاعة السادسة، وكما توقع وجد كومة من الرسائل، من بينها مظروف مغلق، من العضو الأول بالبحرية، وعليه خاتم سري، فتحه فوجد مسودة أمر بعملية، ووجد رقعة مكتوب فيها أنه يتصل لتحديد موعدٍ معه للمقابلة، تفحص الأمر، لقد كان مثلما اعتقد إلى حدٍّ كبير، كان في مقدرة سفينته أن تنفذه، بافتراض أنه لا يوجد ألغام على الإطلاق في الســـاحل الغربي للولايات المتحدة، والذي بدا له افتراضًا جزئيًّا.

اتصل بـــ (بيتر هولمز) في منزله وأخبره:

• لقد وجدت مسودة بعملية على مكتبي من العضو الأول بالبحرية، ورسالة تفسيرية منه يريدني أن أذهب إليه، أود لو أنك تأتي غدًا للسفينة، لننظر الأمر معًا، ومن الأفضل لو جئت معي للأدميرال.

• سأكون على السفينة غدًا.

• حســـنًا، وإن كنت أكره أن آخذك مـــن عطلتك، ولكن للضرورة أحكام.

• لا شيء يعنيني، كنت أقطع شجرة.

في التاســعة والنصف صباحًا كان في حاملة الطائرات، جالسًــا مع القبطان (تاورز) في كابينته الصغيرة يقرآن الأمر، فقال:

- هذا تقريبًا ما كنت تعتقد أنه سيحدث يا افندم، أليس كذلك؟
- تقريبًا.

هكذا قال الربان، وانتحى إلى الطاولة الجانبية مردفًا:

- هذا كل ما لدينا من حقول ألغام، محطة الراديو التي يراد فحصها، المحدد موقعها في سيتل، ونحن مستعدون لهذا.

ورفع رسمًا تخطيطيًّا من على الطاولة..

- هذا المخطط الرئيسي لحقل الألغام، هكذا سنكون مهيئين لميناء بيرل هاربر، لكنهم لم يطلبوا الذهاب إلى هناك، أما خليج بنما، وســان ديجو، وسان فرانسيسكو، فإننا لا نمتلك شيئًا هناك.
- فلنخبر الأدميرال بهذا، وإن كنت أعتقد أنه يعلم ذلك، فهو منفتح جدًّا للمناقشة، لكنني أتساءل لماذا يريدون منا الذهاب إلى هناك.
- ربما نعرف ذلك عندما نقابله.

حــدق كلاهما في الرســوم التخطيطية وفكرا مليًّــا، ثم قال ضابط الاتصال أخيرًا:

- كيف ستذهب؟
- ســنبحر فوق الســطح إلى خط عرض ثلاثين، شمال نيوزلاند، حتى نصل خط عرض واحد وعشــرين، وهذا يؤدي بنا إلى كاليفورنيا،

وأعتقـد أنه ينبغي أن نلقي نظرة على بيرل هاربر في طريقنا، ثم نستـمر حتى نصل إلى فريندليلاندز أو جنوبها بقليل.

- وكم من الوقت سنبحر تحت الماء؟

فتناول القبطان ورقة من على المكتب..

- حاولت أن أستكشف هذا ليلة أمس، ولكن لا أظن أننا سنمكث طويلًا في أي فترة مثل المرة الماضية، قل حوالي اثني عشـر ألف ميل، أي ستمائة سـاعة، خمسة وعشـرين يومًا، أضف يومين للاستكشاف والتأخير، أي سبعة وعشرين يومًا.

- وقت طويل تحت الماء.

- سوارديفيش أبحرت أكثر من ذلك، اثنين وثلاثين يومًا، المهم أن نأخذ الموضوع بسلاسةٍ وهدوء.

حدق ضابط الاتصال في الرسـم التخطيطي ووضـع إصبعه على الشعب المرجانية ومجموعة الجزر جنوب هاواي.

- لن يكون هناك كثير من الهدوء عندما نصل إلى هذا، وسيأتي في نهاية الرحلة.

- أعرف ذلك.

ووقف الاثنان يتدارسان الرسومات لمدة نصف ساعة، وأخيرًا قال الأسترالي:

- ستكون رحلة مثيرة، نحكيها لأحفادنا.

فنظر القبطان وابتسم..

• هذا صحيح تمامًا.

انتظر ضابط الاتصال في الكابينة حتـــى يتصل القبطان بالأدميرال، وتحدد الموعد في صباح اليوم التالي، رأى (بيتر) أنه لا ضرورة للمبيت، فاتفق أن يقابـــل القبطان في مكتب الأدميرال قبل الموعد، فأخذ القطار عائدًا إلى بيته، وصل هناك قبل الغداء، وامتطى دراجته وشعر بالحرارة الشديدة، ارتاح عندما تخلص من الزي الرسمي وتحمم، وجد (ماري) مهتمة جدًّا ببراعة الطفلة في الحبو.

• لقد تركتها في الصالة، وذهبت إلى المطبخ لتقشـــير البطاطس، فوجدتها أمام المطبخ، يا لها من شـــيطانة صغيرة! إنها تحبو لمسافاتٍ طويلة.

جلس الاثنان على مائدة الغداء، فقال:

• علينا أن نشتري روضة ألعاب، ذات السياج الخشبي، التي يمكن لفها.

• كنـــت أفكر في ذلـــك، واحدة ذات صف مـــن الخرز على أحد جوانبها، مثل العداد.

• ألا تعرفيـــن أحدًا من الجيران توقف عـــن إنجاب أطفال ولديه واحدة يستغني عنها.

• كل السيدات من جيراننا، ما زلن ينجبن أطفالًا.

• سأبحث وأرى ماذا أفعل.

لم تتوقف عن التفكير بالطفلة إلا قبيل انتهاء الغداء، وسألت (بيتر):

- ماذا عن القبطان (تاورز)؟
- تلقى مســودة أمر بعملية، إنها ســرية، فلا تتكلمي بها، يريدون أن نبحر إلى المحيط الهادئ؛ بنما، وسان ديجو، وسان فرانسيسكو، ثم العودة عن طريق هاواي.

لم تكن على علم بجغرافية الأماكن، فسألت:

- إنها مسافة طويلة.
- نعم، ولكن لا أعتقد أننا ســنقطعها كلها، فـ (تاورز) ضد ذهابنا إلــى خليج بنما، لأنه ليس معه خريطة للألغام، لأننا لم نذهب إلى هناك سنختصر المسافة لآلاف من الأميال وتظل الرحلة على الرغم من ذلك طويلة.
- كم من الوقت ستأخذ؟
- لم أحسبها بالضبط، حوالي شهرين، إنه يريد أن يقلل من الإبحار تحت الماء.
- كم من الوقت ستبحر تحت الماء يا (بيتر)؟
- سـأبحر سبعة وعشرين يومًا.
- إنها مسافة مهولة.
- ليست قياسية، لكنها مدة طويلة على الحرمان من الهواء المتجدد، لن نبحر قبل أن تخلو السفينة من الحصبة، وهذا لن يكون قبل منتصف الشهر القادم.

وأثار ذكر الحصبة قلقها..

- أرجو ألا تأخذها (جينيفر).

وأمضيا فترة مـــا بعد الظهر في الحديقة حيث اســتأنف (بيتر) قطع الشـــجرة، لم تكن ضخمة، لكنها أتعبته في نشرها وربطها بحبلٍ كي لا تقع على المنزل، بحلول وقت الشـــاي كان قد شذب فروعها وقلمها، وكدسها بعيدًا ليستخدمها في نار الشتاء، وواصل عمله في نشر الحطب إلى قطع، جاءت (ماري) بالطفلة إلى الحديقة ووضعتها على ســجادة ودخلت المنـــزل لتعد صحفة الشـــاي، ولما رجعت وجــدت الطفلة تحركت أكثر من عشـــرة أقدام وممســـكة بقطعة لحاء شجر لتضعها في فمها، فعاتبت (بيتـــر) على عدم مراقبته لها، وطلبت منه أن يراقبها حتى تعود إلى الإناء.

- إنه لأمر غير حسن، يجب أن نحصل على حظيرة للعب.
- بعـــد لقائي مع الأدميرال ســـأذهب وأحاول العثور على واحدة، وإن لم نجد يمكن أن نربط حول وسطها حزامًا مربوطًا بحبلٍ في وتد.
- لا يا (بيتر).. يمكن أن تلفه حول رقبتها وتشنق نفسها.

هدأها، إذ اعتاد تهمة أنه أب قاســـي القلب، وأمضيا الســـاعة التالية في اللعب مع طفلتهما، وشـــجعاها على الحبو، ثم أخذتها إلى الداخل لتحممها وتناولها العشاء، بينما استأنف (بيتر) قطع الحطب.

قابل الربان في صباح اليوم التالي في الإدارة البحرية، ودخلا الاثنان إلى مكتب الأدميرال الذي رحب بهما بحرارة، ودعاهما للجلوس..

- حسنًا، هل اطلعتما على مسودة العملية التي أرسلتها لكما.

فقال القبطان:

- درسناها بشكلٍ وافٍ.
- فما انطباعك العام؟
- حقل الألغام، بعض الأهداف التي ذكرتها ملغمة.
- لدينا معلومات كافية عن بيرل هاربر، ومداخل سيتل، ولكن ليس لدينا أي شيءٍ عن المناطق الأخرى.

وأخذوا يتدارســـون معًا التفاصيل لفترة من الوقت، وفي النهاية مال الأدميرال بكرسيه، وقال:

- الآن تكونـــت لدي صورة واضحة، والآن من الأفضل أن تعرفوا ســـبب كل ذلك، نوعًا من التفكير الغربي، هناك قسم من العلماء يعتقد أن الغبار الذري الذي في الجو سيتلاشـــى، تقل شدته بسرعة، والجدل القائم أن الأمطار في النصف الشـــمالي ستغسل الجو، إذا جاز التعبير، طبقًا لهـــذه النظرية يعني الغبار الذري سيســـقط على الأرض أو البحر بأسرع مما نتوقع، وفي هذه الحالة سيصبح النصف الشمالي غير مأهول بالسكان لقرون قادمة، أما النصف الجنوبي فلن تصل له هذه السحابات لذلك ستدب به الحياة، والأســـتاذ جورجينسن يتبنى هذه الفكرة بقوة، غير أن باقي العلماء ضدها، ويقولون إن جورجينسن متفائل، ولما كان غير مقبول أن نبعث الأمل في الناس بدون أساس، رأينا أنه من الأهمية، دراسة هذا الأمر.

فقال (دوايت):

- أرى ذلك صحيحًا يا افندم، فهو أساس الرحلة.

فأومأ الأدميرال:

- لذلك أرى رحلتك إلى الشـــمال هي استكشاف إذا كانت نظرية (جورجينســـن) صحيحة، فلو كانت كذلك فســـيكون بالإمكان النزول على الشـــاطئ، وإن كان التركيز ســـيكون مكثفًا على الأرض، لكن في البحر سيكون الأمر محتملًا.

فسأل (بيتر):

- هل هناك أي دعمٍ تجريبي يا افندم؟

هز الأدميرال رأسه..

- ليس كثيرًا، فالقوات الجوية أرســـلت أجهزة في الآونة الأخيرة، هل سمعت عنها؟

- لا، يا افندم.

- لقد أرسلت القاذفة فيكتور نحو الشمال حتى بحر الصين، جنوب شنغهاي، نعم ليست هذه مسافة بعيدة، ولكن بقدر ما استطاعت القاذفة، لذلك لم تكن الأدلة حاسمة، فما زال الإشعاع يزداد تجاه الشمال، وما زالت الألسنة الخفية تتحدث، واعتبر (جورجينسن) هذا نصرًا له، وقال أنه بوصولكم لخط عرض ستين سيكون الإشعاع قد قل بقدرٍ كبير.

وأعادوا تدارسهم للعملية وتقنياتها، وتقرر أن يزودوا بملابس واقية لصعود واحدٍ أو اثنين الســـطح في الحالات المتوسطة، ثم يتم التطهير في غرفة الهروب، ثم قال الأدميرال:

- حسـنًا، هذا يعد الإجراءات اللازمة بقدر مـا يعنينا، وأعتقد أن الخطوة التالية هـو عقد مؤتمر مع الأكاديميـة البحرية، وكل من يهمه الأمر، وأتمنى أن تنطلق إلى رحلتك آخر الشهر القادم.
- أرى ذلك مناسبًا، ولا يعوقنا شيء سوى الحصبة.

فضحك الأدميرال..

- مصير البشر في هذا العالم على المحك، ونحن تقيدنا الحصبة! حسنًا يا كابتن، أعرف أنك تبذل أقصى ما بوسعك.

بعد خروجهما من مكتب الأدميـرال افترقا.. حيث ذهب (دوايت) إلى مكتب عضو البحرية الثالث، بينما ذهـب (بيتر) إلى مكتب العالم (جون أوسبورن) وأخبر العالم بما عرفه هذا الصباح، فقال العالم بنفاد صبر:

- أعرف كل شيءٍ عن جورجينسن، هذه شطحات الرجل العجوز، مجرد تفكير التمني.
- معنى ذلك، لا تؤمن بما اكتشـفته القاذفة بتغير معدل الإشـعاع كلما اتجهنا إلى الشمال.
- لا أعترض على الدليل، وقد تكون نظرية جورجينسـن معقولة، ولكن لا أحد غيره يرى أنها مهمة.

نهض (بيتر) وقال مقتبسًا:

- سـأترك الحكماء يتجادلون، سأذهب وأشـتري روضة ألعاب لابنتي.

- من أين ستشتريها؟
- محلات ميريز.

فنهض العالم من على مكتبه وقال:

- سأذهب معك، أريد أن أريك شيئًا في شارع إليزابيث.

ســارا معًا في الشــوارع الخالية من المرور، حتى وصلا إلى منطقة الســيارات في المدينة، ودلفا إلى شارعٍ ضيق، أخرج (جون أوسبورن) مفتاحًا من جيبه، وفتح الباب على مصراعيــه، كان المكان مرأبًا لتاجر سيارات، تتراص السيارات في صفٍّ بجوار الحائط، بعضها غير مسجل، تغطيها الأتربة والقاذورات بإطــاراتٍ فارغة نائمة على الأرض، توجد في المنتصف سيارة سباق، لها مقعد واحد، مطلية بالأحمر، منخفضة، إطاراتها منتفخة، ومغســولة بعناية، وتلمع تحــت الضوء المنبعث من الباب، ويبدو أنها سريعة بشكلٍ خطير، فقال (بيتر):

- يا إلهي! ما هذا؟
- إنها فيراري، التي سابق بها دينزيتي العام السابق للحرب.
- كيف جاءت هنا؟
- اشتراها (جوني هاولز).. وشحنها إلى هنا، ولكن الحرب قامت فلم يسابق بها.
- ومن يمتلكها الآن؟
- أنا، لقد كنت شــغوفًا بالســيارات طوال حياتي، ولم يكن معي مال، وعندما عرفت أن (هاولز) هلك فــي إنجلترا، ذهبت إلى أرملته،

وعرضـــت عليها مائة جنيه، اعتقدت أنني مجنون، لكنها فرحت بالنقود وباعتها.

تجول (بيتــر) حول الســيارة الصغيرة ذات العجــلات الضخمة، تفحصها وقال:

- أتفق معها، بحق الجحيم ماذا ستفعل بها؟
- لســت أدري حتى الآن، لكنني أعلم أنني أمتلك أسرع سيارة في العالم تقريبًا.

لقد أدهشت الضابط البحري الذي قال:

- هل يمكن أن أجلس بداخلها؟
- تفضل.

فحُشــر في المقعد البلاســتيكي، ونقر بأصابعه على عجلة القيادة، أشعره المقعد الفردي بنوعٍ من السرور.

- هل قدتها على الطريق؟
- ليس بعد.

خرج منها مترددًا..

- ماذا ستفعل بشأن البنزين؟
- هي لا تشربه.
- ألا تستخدم بنزين؟

- تستخدم خليط أثير وكحول، لا يستخدم للسيارات العادية، لدي ثمانية براميل في الحديقة الخلفية عند والدتي، حرصت أن أشتريهم قبل شرائي للسيارة.

رفع غطاء السـيارة الأمامي، وراحا يتفحصـان الموتور، لقد قضى (جون أوسـبورن) وقت فراغه منذ أن عاد من الرحلة في تلميع وصيانة السيارة، لكم يحلم بأن يقودها على الطريق في غضون يومين، وإن قال: «هناك شيء واحد، وهو أنه لا يوجد مرور في الشوارع أخشاه.»

تركا السـيارة وأغلقا باب المرأب عند شارع ميوز، توقفا قليلًا وقال (بيتر):

- إذا انطلقنا بالرحلة بنهاية الشـهر القادم، سـنعود في بداية يونية، فكيف سيكون حال (ماري) وطفلتي في هذه الفترة؟

- هل تقصد الإشعاع؟

فأومأ ضابط البحرية، فوقف العالم وهو يفكر، وأخيرًا قال:

- ربما يأتي أسرع أو أبطأ من توقعاتنا، لكنه سيأتي يومًا ما، فلو سار بالمعدل نفسه سيكون في بريسبان في بداية يونية، أي على بعد ثمانمائة ميل.

عض (بيتر) شفته وقال:

- إنه أمر مثير للقلق، لا أريد أن أسـبب ذعرًا في البيت، لكن على الرغم من ذلك سأكون سعيدًا لو أنهما عرفا ماذا يفعلان في غيابي.

- قد لا تكون هناك على أي حال، فهناك مخاطر غير الإشـــعاع في هذا المسار، مثل الألغام والجليد، لا أدري ماذا نفعل إذا اصطدمنا بجبلٍ جليدي ونحن في أقصى سرعة، سنغوص.
- سأفعل.

فضحك العالم.

- حسنًا، دعنا على أمل، ونتمنى ألا يحدث، أريد أن أقود السيارة.

ونظر إلى الخلف على باب المرأب، وكرر (بيتر) قوله:

- إنه أمر مثير للقلق، عليَّ أن أفعل شيئًا ما حيال ذلك قبل أن نرحل.

وســـارا معًا في الشـــارع العمومي، والتف (أوسبورن) حول مكتبه، وسأل (بيتر):

- هل ستأتي في طريقي؟
- لا، ســـأذهب كي أشتري روضة ألعاب للطفلة، وإلا قتلت نفسها كما قالت (ماري).

افترقا، واتجه العالم إلى مكتبه وهو يشعر بالامتنان لأنه غير متزوج، بينما ذهب (بيتر) واستطاع أن يشتري روضة يمكن لفها، واستقل الترام إلى المحطة ووضعها فـــي المحطة ليأخذها فيما بعد بالدراجة، وذهب إلى الصيدليـــة التي يتعامل معها، ويعرف مديرهـــا ويعرفه، وطلب من الموظفة أن تستدعي الطبيب، وبالفعل جاء، فبادر (بيتر) قائلًا:

- أريد أن أتحدث معك على انفراد.
- أمرك.

وأخذه إلى معمل التركيبات..

- أريد أن أتحدث معك حول مرض الإشعاع.

لم تظهر أي تعبيرات على وجه الصيدلي..

- سأضطر إلى الذهاب في رحلةٍ بحرية في سكوربيون، الغواصة الأمريكية، وسنغيب لفترة طويلة، لن نعود حتى أوائل يونية بأقل تقدير.
- إنها رحلة ليست سهلة.
- هناك احتمال أننا لا نعود أبدًا.

بعد أن وقفا في صمت، قال الصيدلي:

- هل تفكر في مدام (هولمز) و(جينيفر)؟
- نعم، أخبرني بالأعراض.
- دوار، ثم قيء، وإسهال، ودم في البراز، وهذه الأعراض تزيد بشدة، قد يحدث تحسن خفيف، ولو حدث فمؤقت، ثم تحدث الوفاة الناتجة عن إرهاقٍ شديد للغاية.
- بعض الناس يقولون أنها تشبه الكوليرا.
- هذا صحيح.
- هل لديك عقاقير لها؟
- أخشى ألا تعالجها.
- لا، لم أقصد ذلك، أقصد تنهيها.

• لم يصرح بذلك بعد، ليس قبل أن يعلنوا عن ذلك، وسـنوزعها لمن يريـد، علاوة على بعض التعقيدات الدينية، لذلك سـيكون الأمر شخصيًّا.

• يجـب أن أجعل زوجتي تتفهم الوضع، فعليها أن تعتني بالطفلة، وربما لا أكون هنا، يجب أن أعالج كل هذا قبل أن أذهب

• يمكن أن أشرح كل ذلك لمدام (هولمز) عندما يأتي وقتها.

• ينبغي أن أقوم بذلك بنفسي لأنها ستنزعج.

• أكيد...... تعال معي إلى المخزن.

دخل غرفة خلفيـة مغلقة، يوجد صندوق تعبئة فـي أحد الأركان، الغطاء مرفوع نسبيًّا، الصندوق مملوء بعلب حمراء ذات حجمين، أخذ الصيدلي واحدة من كل حجم، وعاد، فتح الصغرى، بها قنينة بلاستيكية صغيـرة، بها قرصان أبيضان، فتحها وأخرج القرصين، ووضعهما بعيدًا بعناية، ثم وضع مكانهما قرصي أسـبرين، وأعاد القنينة البلاستيكية إلى العلبة الحمراء، أعطاها إلى (بيتر).

• هذه لأي شخصٍ يريد أن يتناول قرصًا، يمكنك أن تأخذها وتريها لمدام (هولمز).. قرص يسـبب الوفاة فورًا تقريبًـا، والثاني احتياطي، عندما يحين الوقت سنوزع هذا على من يريد.

• أشكرك شكرًا جزيلًا، وماذا عن الطفلة؟

أخذ الصيدلي العلبة الأخرى، وقال:

- للأطفال، أو الحيوانات الأليفة مثل الكلاب والقطط، يبدو الأمر أكثر تعقيدًا.

وفتح العلبة وأخرج (سرنجة) صغيرة.

- لدي واحدة مستعملة يمكن أن أضعها لك، اتبع التعليمات التي على العلبة، فقط احقنها تحت الجلد، وستنام على الفور.

ووضع الزائفة في العلبة، ثم أعطاها لـ (بيتر) مع الأخرى، أخذهما الضابط البحري وهو ممتن..

- أشكرك جدًا جدًّا، هل ستأتي وتأخذهم عندما يحين الوقت.
- نعم.
- هل هناك أي مقابل نقدي؟
- لا، إنها مجانًا.

5

مــن بين الثلاث هدايا التي أخذها (بيتــر) لزوجته هذه الليلة، كانت روضة الأطفــال أكثرهــا تقديرًا، فهــي جديدة، ومدهونــة بالأخضر الباستيل، مزركشة ولامعة، أقامها في الحديقة قبل أن يدخل المنزل، ثم نادى (ماري) لتراها، جاءت وتفحصتها بدقة، وتأكدت من ثباتها كي لا تشدها فتقع عليها..

- أتمنى ألا يزول الدهان، لأنها تمص كل شيء، كما تعرف فاللون الأخضر خطير جدًّا.
- ســألت عن هذا في المحل، فقيل لي إنه ليــس زيت بل دوكو، فعليها أن تضع أسيتون في فمها كي تزيله، لونها جميل.
- يتماشى مع لون ستائر حجرة نومها، إنها هدية جميلة.

ووضعت يدها حوله وقبلته، فرد القبلة بقبلة..

- سعيد لأنها أعجبتك.

ذهبت وجاءت بالطفلة، ووضعتها في الروضة، ثم جلسا في الحديقة بجوارها وهما يراقبانها ويريان رد فعلها للمكان الجديد، وراحا يدخنان،

ويتناولان مشروبًا سريعًا، وراحت تمسك بأحد قضبان الروضة بقبضتها الصغيرة.

• أخشـــى أن تكبر وتتعلـــم الوقوف اعتمادًا علـــى هذه القضبان، فتتقوس ساقاها.

• كلنا كبرنا في روضة مثل هذه ولم تتقوس أرجلنا، لا تقلقي.

نهضت (ماري) وأخذت الطفلة لتستحم وتعدها للنوم، وأخذ (بيتر) الروضة وأدخلها في حجرة نوم الطفلـــة، وأعد مائدة الطعام، ثم وقف في الشرفة وتحســـس العلبة التي في جيبه، وفكر كيف يقدم هذه الهدية لزوجته.

بعد أن تناول كأس ويسكي، وقبل أن يخلدا للنوم قال:

• هناك شيء أود أن أحدثك بشأنه قبل قيامي بالرحلة.

• وما هو؟

• موضوع مرض الإشـــعاع الذي يصيب الناس، هناك أشياء لا بد أن تعرفيها.

• أوه، هذا في سبتمبر، لا أريد أن أتكلم بشأنه الآن.

• لا بد من التحدث بشأنه الآن.

• لماذا الآن؟ يمكنك أن تخبرني بما تريد قبل موعده مباشرة، مدام هيلدرد، أخبرتني أن زوجها سمع بأنه لن يأتي لنا على الإطلاق.

• لا أعرف مع من تحدث زوجها، ليس هناك نبأ حقيقي بذلك، فهو آتٍ في سبتمبر، وربما قبل ذلك الموعد.

حدقت به ثم قالت:

- تعني أننا كلنا سنصاب به؟
- نعم، كلنا سـنصاب به، كلنا سـنموت بسـببه، ولهذا أردت أن أعرفك بعض الشيء عنه.
- إذًا أخبرني به قبل مجيئه مباشرةً.
- ربمـا لن أكون هنـا، وربما يأتي قبل الموعد، وربما تدهسـني حافلة، أو ما شابه.
- ليس هناك حافلة، تقود غواصة.
- كما تريدينها، لكنني سـأكون سعيدًا أثناء غيابي عندما أتأكد أنك تعرفين عنه شيئًا أكثر من الآن.
- حسنًا، هيا قل ما تريد.

قالتها متأففة، وراحت تدخن سـيجارة، وأخذ يفكر لدقيقة، ثم قال بعدها:

- كلنا سـنموت يومًا مـا، ولا أدري إذا كان الموت بهذه الطريقة أفضل من غيره، ستشعرين بالمرض، وستمرضين، وسيستمر المرض، ولن تتحسني، وتدريجيًّا تتدهور صحتك حتى تموتي.

نفثت دخانًا كثيفًا من السيجارة ثم قالت:

- وكم من الوقت سيستغرق ذلك؟

- لم أسأل، لكنه يختلف من فردٍ إلى آخر، يستغرق يومين أو ثلاثة، أسبوع أو اثنين على الأكثر.

ساد الصمت لفترةٍ قصيرة ثم قالت:

- يـــا لها من فوضى! إذا جاء فعلًا وأصـــاب الناس كلها في وقتٍ واحد، فلن يجد الشخص من يساعده، لا أطباء ولا مستشفيات.
- لا أعتقد هذا، إنها مسألة يمكنك أن تحاولي معها بمفردك.
- لكنك ستكون هنا يا (بيتر).
- نعم سأكون هنا، لكن أخبرك بذلك لاحتمال من ألف.
- ولو كنت بمفردي من سيعتني بـــ (جينيفر)؟
- دع (جينيفر) بعيدًا عن الموضوع الآن، سنتكلم عنها فيما بعد.

مال إليها ثم قال:

- المشـــكلة يا عزيزتي، أنه لا علاج لهذا المرض، لكنك لست في حاجة إلى أن تموتي في تلك الفوضى، يمكنك أن تموتي بشكلٍ لطيف إذا اشتدت الحالة سوءًا.

وأخرج من جيبه العلبة الحمراء الصغيرة، فنظرت إليها باســتغراب، وهمست:

- ما هذه؟

ففتح العلبة وأخرج القنينة البلاستيكية..

• هذه زائفة، وليست حقيقية، أعطاها لي الصيدلي جولدي كي أريك كيف تستخدمينها، فقط ابتلعيها بأي مشروب، وبعدها سترقدين، ثم تكون النهاية.

• تعني الموت؟

وماتت السيجارة بين أصابعها، فأردف:

• عندما تسوء الحالة جدًّا، فيكون هذا هو المخرج.

• وما هذه الحبة الأخرى؟

• احتياطية، لو فقدت الأولى أو رهبتها.

جلست في صمتٍ وعيناها تحدقان بالعلبة الحمراء، فاستطرد:

• عندما يأتي الوقت، سيخبرونك بكل هذا في اللاسلكي، ثم اذهبي إلى جولجي واطلبيها من الفتاة بدون روشتة، كي تستخدميها هنا في البيت، سوف تعطيها لك، وكل واحد يريد ذلك يأخذها.

مدت يدها ونفضت السيجارة الميتة، ثم تناولت العلبة الحمراء، وقرأت التعليمات المكتوبة عليها بخطٍّ أسود، ثم قالت:

• مهما كنت مريضة، لن أفعل ذلك يا (بيتر).. فمن سيرعى (جينيفر)؟

• كلنا سنتناولها، كل كائن حتى الكلاب والقطط، وأنا وأنت و(جينيفر) أيضًا.

• (جينيفر) تأخذ هذه؟

- للأسف كلنا سنأخذها.

فأرخت عينيها وصاحت بحدة:

- إنه عمل رهيب.
- كلنا سنلاقي نفس المصير، فهو أفضل من المعاناة بلا طائل، الأمر يحتاج إلى قليلٍ من الشجاعة، وهذا ما يجب أن تفعليه في عدم وجودي.

أخرج العلبة الثانية من جيبه، وراح يشرح لها كيف تستخدمها، فقالت بنبرةٍ حادة:

- تعلمني كيف أقتل (جينيفر)؟

يعرف أن هناك كثيرًا من المتاعب، لكن عليه أن يواجهها..

- نعم، هذا صحيح، لو أصبح الأمر ملحًّا، فعليك فعل ذلك.

فصرخت بشدة:

- أنت مجنون، لن أفعل شيئًا كهذا أبدًا، مهما كان مرضها، سوف أرعاها إلى النهاية، أنت فعلًا مجنون، والحقيقة أنك لا تحبها، أنت لم تحبها مطلقًا، إنها دائمًا مزعجة بالنسبة لك، لكنها ليست مزعجة بالنسبة لي، أنت المزعج، والآن وصلت لمرحلة أن تقول لي كيف أقتلها!

وقفت وهي تستشيط غضبًا، ثم أردفت:

- لو قلت كلمة أخرى سأقتلك!

لم يرها بهذا الغضب من قبل، فوقف وقال:

- افهميها بطريقتك، لكنك لســت مضطرة لاســتخدام أي شيءٍ بدون رغبتك.
- الموضوع به خدعة، تريد مني أن أقتل (جينيفر) وأقتل نفسي، كي يخلو لك الجو مع امرأةٍ أخرى.

لم يكن يتصور أن الموضوع سيكون بهذا الشكل، فقال بحدة:

- أنت حمقاء، كل هذا ســيحدث بعد موتي، لو أنني هنا سأفعلها لنفسي أولًا، أما أنت فلك الاختيار في فعلها، وعليك أن تفكري بالأمر جيدًا.

نظرت إليه في غضبٍ صامت، وهو يقول:

- هناك شيء آخر يجب أن تتعقليه، من المحتمل أن تعيش (جينيفر) أطول منك، لكنها ســتمرض وتتقيأ ولا تجد من يساعدها، وفي النهاية ســتموت، فهل تريدين لها أن تموت بهذا الشكل؟ فكري في الأمر ولا تكوني حمقاء.

وقفت في صمتٍ تام، فاعتقد أنها ســتقع على الأرض، لكنه كان في حالة غضبٍ أكبر من أن يساعدها، وبالرغم من ذلك قال:

- هــذا هو الوقت الذي يجب أن تظهري فيه نوعًا من الشــجاعة، وتواجهي المتاعب، استدارت وهرعت بعيدًا عن الغرفة، لم يذهب لها، لكن صب لنفسه كأسًا وخرج إلى الشــرفة، هؤلاء النساء الحمقاوات، يحتمين من الواقع بالعيش فــي عالمٍ من الأحلام، ولو أن المرأة تواجه الأمور بشجاعة لساعدت الرجل، لكن إذا عاشت في أحلامها لصارت

عبئًا عليه، بعد أن شـــرب كأسًـــا ثالثة دخل الغرفة ونـــام في هدوءٍ كيلا يزعجهـــا، وفي الثانية صباحًا، اســـتيقظ على صوتها وهي جالســـة في السرير وتنشج، فمد يده وهدأ من روعها، استدارت نحوه وقالت وهي تشهق:

- آسفة يا (بيتر).. لكم أنا حمقاء.

لم يتحدثا عن العلب الحمراء بعد ذلك، وفي الصباح وضع العلبتين في أجزخانة الأدوية التي في الحمام، حيث تكاد تراهما، وكتب معهما طرق الشرح، وكلمات حبٍّ اعتقادًا منه أنها ستقرأها بعد موته.

اســـتمر الصيف لطيفًا حتى دخل في مارس، لم يعد في سكوربيون أي حالات من الحصبة، وقطع (بيتر) الشـــجرة الثانية وبدأ يقيم المطبخ في الحديقة، بينما (جون أوســـبورن) جرب سيارته وقادها في الشوارع الخالية، لعدم وجود بنزين للسيارات، حتى البنزين المخصص للأطباء والمستشـــفيات تم استهلاكه، لم تعترض الشـــرطة (جون) وهو يسرع بسيارته، طالما لم يصب أحدًا، وهو لم يقتل أحدًا، لكنه أرعب نفسه، فهو لا يجيد حيـــاة المغامرات والمخاطرة، وكل ما يمكنه في حياته، كرجلٍ عالم، التنظير سواء في مكتب أو معمل، أما المجازفات فبالرغم من أنه فرح حينما جندوه في الغواصة لكسر الحياة الروتينية التي يعيشها، فقد كان يرتعب كلما غاصت الســـفينة، والرعب الأكبر الذي ينتظره عندما تبحر السفينة في المرة القادمة، وإن كانت محاولاته مع السيارة وتعرضه للخطر أكثر من مرة، خفف حدة رعبه من الرحلة.

عقد السير (ديفيد هارتمان) المؤتمر الذي عزم عليه، وحضره (تاورز) وضابط الاتصال، والعضو الثالث وسكرتير رئيس الوزراء، وافتتحه الأدميرال بإعرابه عن رغبته وتعليمات رئيس الوزراء بألا تعرض سكوربيون لأي خطرٍ في رحلتها، وأوضح بعد ذلك الصعاب التي تواجه السفينة، وأكد على ضرورة الحصول على المعلومات العلمية، وكيف أنه من الصعب التواصل معها نظرًا لوجودها تحت الماء ولضعف موجات الإرسال الخاص بها، ثم طلب من (تاورز) توضيح العقبات التي يمكن أن يواجهها، وكذلك ليتحدث عن حقول الألغام، وإشارات الراديو التي تبث من مناطق قرب سيتل بكلماتٍ معظمها غير مفهوم وإن وضحت منها كلمة أو اثنتان مثل: (المياه) و(الاتصال).. وقد فسر الأدميرال مثل هذه الكلمات بقوله؛ إن القرود لو لعبت بالآلة الكاتبة لتكونت مسرحية من مسرحيات شيكسبير، ثم ناقشوا تقنيات الراديو اللاسلكي، وقال (تاورز): «لو أن مستوى الإشعاع بسيط سننزل ضابطًا على الشاطئ ليرى النتائج الفعلية.»

فقال أحد الضباط: «أنا أتطوع لهذه العملية، لأنني اعتدت جغرافيتها.»

بعد انتهاء المؤتمر قابل (دوايت) (مويرا) لتناول الغداء، اختارت للقائهما مطعمًا صغيرًا في المدينة، وكان قد وصل قبلها، جاءت وفي يدها حقيبة صغيرة، رحب بها ودعاها لمشروب قبل الغداء، فاختارت براندي وصودا، نظر إلى الحقيبة وتساءل:

- تتسوقين؟

- أنا أتسوق؟
- آسف، إذًا ذاهبة إلى مكانٍ ما؟
- لا.

وأردفت وهي مستمتعة بفضوله:

- سأعطيك ثلاثة تخمينات.
- براندي؟
- لا، هذا أحمله بداخلي.
- سكين ورق، ربما ستمزقين بعض الصور الدينية لتعليقها في الحمام؟
- لا، يتبقى لك واحد.
- أدوات ترصيع.
- أنا لا أرصع، ولا أعمل أي شيءٍ للتسلية، عليك أن تعرف ذلك.
- حسنًا، أنت تكسبين، فما هو؟

فتحت الحقيبة، وقد جاءت المشروبات، وإذ بها كراسة، وقلم رصاص، وكتيب عن الاختزال، فنظر إلى هذه الأشياء الثلاثة، وصاح:

- هل تدرسين هذا؟
- وما الخطأ؟ لقد قلت لي ذلك من قبل.

فتذكر أنه قال لها ذلك بالفعل.

- هل تأخذين دورة؟
- كل صباح، الساعة التاسعة والنصف، تصور! كي أكون في هذا الموعد أستيقظ قبل الساعة السابعة.

- ولماذا تفعلين ذلك؟
- مجرد أن أفعل شيئًا، لقد ضقت بنثر الروث.
- منذ متى وأنت تفعلين هذا؟
- منذ ثلاثة أيام، وأتقدم فيه بإتقان.
- وهل تتعلمين الآلة الكاتبة؟
- وإمساك الدفاتر أيضًا، وكل ما يتعلق به.
- إذًا تنوين أن تعملي سكرتيرة شاملة.
- السنة القادمة سأعمل، لأنهم فصلوا مدرسين أثناء الحرب، وبدأوا الآن يستوظفونهم مرة أخرى، ونفس الوضع مع أساتذة الجامعة.
- لم أكن أعلم أن الوضع هكذا.

وعرض عليها كأسًا أخرى، لكنها رفضت، فتوجها إلى الغداء.

- هل سمعت بـ (جون أوسبورن).. لقد اشترى سيارة.
- طبعًا سمعت، وأراني إياها.
- إنه مجنون، إنه يقتل نفسه بها، بالمناسبة متى ستبدأون الرحلة؟
- في غضون أسبوع.
- أحسبها رحلة خطيرة.
- لا، ما الذي دفعك لقول هذا؟
- اتصلت بـ (ماري هولمز) أمس، ووجدتها قلقة بشأن شيءٍ ما أبلغها به.

- بشأن الرحلة؟
- ربما، لكن تقريبًا أيضًا عن عزمه بكتابة وصية.
- هذا شيء عادي، على كل واحد أن يكتب وصيته.

بعد أن احتسيا الحساء، جاء اللحم المشوي، فسألته مرة ثانية:

- لم تقل لي، أهي خطيرة؟
- قلت لك لا، لكنها طويلة حوالي شـــهرين، ونصف المدة تحت الماء، وهي مثلها مثل أي رحلة في الشـــمال، وهو أمر خطير أن تتجول في المياه في وجود إشـــعاعات، لاســـيما في غواصـــة، فهناك تغيرات فـــي قاع البحر، فيمكن أن تعلق في ســـفينة غارقة فجأةًفيجب الحرص والتأني، لكنني لا أقول إنها خطيرة.

فقالت برقة:

- صحبتك السلامة يا (دوايت).
- سنرجع بسلام، لأن الأدميرال يريد غواصته سليمة.

فمالت إلى الخلف وضحكت:

- أنت مشكلة! ما إن أشعر بعاطفةٍ حتى تثقب البالون.
- أنا لست بعاطفي، كما تقول (شارون).
- أهي تقول ذلك؟
- نعم، دائمًا تغضب مني.
- لن أقول أنني فوجئت، لكنني أتعاطف معها.

بعد أن انتهيا من الغداء، غادرا المطعـم، واتجها للمعرض الدولي لمشـاهدة معرض الصور الدينية، الصور مرسـومة بالزيت، ومعظمها بالأسـلوب الحداثي، تجولا في المعرض بيـن الأربعين لوحة، كانت الفتـاة مهتمة بينما الضابط البحري لا يسـتوعب الرسـومات، أثارت اللوحـات التي عن الحرب النقاش بينهما، فاللوحـة الفائزة عبارة عن المسيح بحزنه في خلفية المدينة المدمرة، فتأملتها وقالت:

- أعتقد أن هذه اللوحة تعبر عن شيءٍ ما، إنني أتفق تمامًا مع لجنة التحكيم.
- إنني أكرهها كراهيتي للجحيم.
- ماذا تكره بها؟
- كل شيء، فهي تبدو لي زائفة، لا يوجد هناك طيار يمكن أن يطير بهذا الانخفاض وحوله قصف بالقنابـل النووية الحرارية، وإلا احترق تمامًا.
- الخطوط والألوان رائعة.
- معك، لكن الموضوع زائف.

وانتحى جانبًا باشـمئزاز، كانت تعتقد أنه سـيعجب باللوحات لأنه يذهب إلى الكنيسة، وأردف بعد أن أمسك بذراعها:

- لو أنني رجل دين لتفهمتها، لكن للأسف لست برجل دين.

وبعد أن تركوا صالة العرض، سألته:

- ما رأيك في الرسم بشكلٍ عام، هل هو ممل؟

- لا، ليـس ممـلًّا، أحب اللوحات الغنية بالألـوان ولا تقصد أن تعلمك شيئًا، هناك رسام اسمه (رينوار).. أليس كذلك؟
- يوجد بعض اللوحات لرينوار هنا، تريد أن تشاهدها؟

ذهبا إلى صالة أخرى تعرض اللوحات الفرنسـية، وشاهدا لوحات لرينوار، وتوقف أمام لوحة تعبر عن نهر وبمحاذاته شارع مظلل بأشجار، وفي الجانب تصطف منازل ومحلات، فقال:

- هذه هي النوعية التي أحبها، وأقضي أمامها وقتي.

بعد أن أخذا أكثر من جولة بيـن صالات العرض، أبدت رغبتها في الرحيل لأن أمها ليسـت على ما يرام، ووعدتهـا بالعودة إلى البيت في وقت الشـاي، فذهب معها إلى المحطة بالتـرام، وبين الناس المندفعة التفتت إلى الوراء وقالت:

- أشـكرك على الغداء، وعلى نزهة ما بعد الظهر، أتمنى أن تكون الصور الأخيرة عوضت الصور الدينية.

فضحك، وقال:

- أكيد فعلت، ومسـتعد أن أعود وأشـاهدها مرة بعـد المرة، أما الصور الدينية فليست من النوعية التي تروق لي.
- إنك تذهب إلى الكنيسة بانتظام.
- أووه، هذا شيء مختلف.

منعها الزحام من الاستمرار في الجدل، فقالت:

- هل لنا أن نتقابل مرة أخرى قبل أن تنطلقوا؟

• سـأكون مشـغولًا طوال النهار في الأيام التالية، لكن يمكننا أن نذهب إلى السينما في إحدى الأمسـيات، وينبغي أن يكون قريبًا، لأننا سـنطلق بمجرد أن ننتهي من أعمال السفينة، وها نحن نعمل على قدمٍ وساق.

فاتفقا على اللقـاء يوم الثلاثاء التالي، ولوحت لـه تلويحة الوداع، وانتظر حتـى انزوت، لم يكن هناك ما يدفعه إلى الذهاب إلى السـفينة بسـرعة، فراح يتجول بين المحلات إلى أن توقـف أمام محل ألعاب رياضية، فدخله، في قسم الصيد قال للبائع:

• أريد عدة صيد باللف؛ قصبة، وبكرة، وخيط نيلون.

• هل لك شخصيًّا؟

هز الأمريكي رأسه..

- لا، هدية لصبي في العاشـرة، أول عدة صيد له، أريد نوعية جيدة، وخفيفة الوزن.

فأتى البائع بواحدة:

• هذه جيدة جدًّا.

• كم تمكث في الماء؟ أقصد للصدأ، فهو يعيش قرب البحر.

• طويلًا، نحن نبيع منها الكثير، لأنها صمدت في البحر.

وراح البائع ليحضر البكرة والخيط بينما (دوايت) يتفحص القصبة، ولف البائع القطع المطلوبة، وقال:

• هدية رائعة لصبيٍّ في هذا العمر.

- طبعًا، سيستمتع بها.

دفع ثمنها، ثم توجه إلى قسم لعب الأطفال مثل الدراجات والسكوتر وما شابه، وسأل البائعة:

- هل لديكم عصا البهلوان؟
- عصا بهلوان؟ لا أعتقد، سأسأل المدير.

وجاء المدير الذي رحب بالزبون، وقال:

- للأسف نفدت، آخر واحدة بعناها منذ أيام، لا يوجد عليها طلب هذه الأيام، أظنك تريدها هدية.
- لفتاةٍ في السادسة.
- لدينا سكوتر لسنها.
- شكرًا، لديها سكوتر، ألن تجلبوا عصا بهلوان مرة أخرى؟
- لقد طلبت طلبية، ومن المنتظر أن تصلنا، ولكن لا أدري متى.
- سآخذ جولة، وإن لم أجد سآتي هنا مرة ثانية، ربما تكون وصلت.

تجول في الشارع وسأل في أكثر من متجر، وذهب لأكثر من شارع، يبدو أنه كلما يئس من وجود عصا بهلوان في المحلات، ازداد إلحاحه على الحصول على واحدة.

في آخر ساعة من التسوق، وقف أمام محل مجوهرات، المحل معروف بالجودة، فوقف يتأمل وينظر إلى الفاترينة، سيكون الزمرد

والماس أفضل مع شـعرها الأسـود، دخل المحل، وقال للشـاب في معطفه الأسود الرسمي:

- أريد سـوارًا من ماس وزمرد، السـيدة سمراء وتحب أن ترتدي الأخضر، فهل لديك ما يناسب؟

فذهب الشاب إلى الخزانة وجاء بمجموعةٍ من الأساور.

- ها هي مجموعة، ما الثمن الذي يناسبك يا سيدي؟
- لا أدري، المهم يكون مناسبًا.
- هذا تبلغ قيمته أربعين جنيهًا، وذاك بخمسة وستين جنيهًا، أما هذا يا سيدي، فهو باهظ الثمن، لكن في غاية الأناقة.

أمسك (دوايت) بالسـوار، فعلًا جذاب، وليس لديها مثله في علبة مجوهراتها، نظر إلى بطاقة السـعر الملتصقة بالعلبة (مائتان وخمسـة وعشرون جنيهًا).. القطعة تتوهج وتلمع، فسأل:

- هل صناعة أسترالية أم أمريكية؟
- إنه جاء لنا على وجهٍ خاص من باريس يا سيدي.
- إذًا سآخذ هذا.

وتخيلها وهي ترتديه، فأردف:

- سأدفع بالشيك، سأمر عليك غدًا أو بعد غد لآخذه.

جاء بعد يومين وأخذ السوار، ووضعه في خزانةٍ صغيرة من الصلب في الغواصة حيث يضع بها أشياءه الخاصة.

في ذلك اليوم، أخذت مـــدام (هيكتور فرازر) كوبًا فضيًّا مكســـورًا لتلحمه في محل المجوهرات، وقابلت بالصدفة (مويرا ديفيدسون) التي تعرفها منذ الطفولة، بعد الظهر، أوقفتها وسألتها عن أمها، ثم قالت لها:

- تعرفين يا عزيزتي، القبطان (تاورز).. أليس كذلك؟
- نعم، أعرفه جيدًا، لقد قضى عطلة نهاية الأسبوع معنا.
- هل هو مجنون؟ أعتقد أن كل الأمريكيين كذلك.

فابتسمت الفتاة، وقالت:

- ليس أكثر جنونًا منا، فكل البشر مجانين هذه الأيام.. المهم، ماذا حدث منه؟
- كان يبحث عن عصا بهلوان في منطقة (سيموندا).
- عصا بهلوان؟
- وفي سيموندا بالذات! بالإضافة إلى أنه اشترى سوارًا قيمًا، باهظ الثمن، ربما يكون لك بشكلٍ ما.
- لم أسمع به، هذا ليس من عاداته.
- حسنًا، لا يمكن أن تعرفي شيئًا عن هؤلاء الرجال، ربما يفاجئك به ذات يوم.
- وماذا عن عصا البهلوان؟
- أخذ يبحث عنها في كل مكان، ولم يجدها.
- وما الخطأ في ذلك؟ ربما تكون هدية لفتاةٍ تناسبها.

- في سيموندا؟
- ربما يتودد إلى أرملةٍ ثرية ولديها طفلة، فالسوار للمرأة، والعصا للفتاة، فما الخطأ؟
- كلنا اعتقد أنه يتودد لك أنت.

فقالت الفتاة في هدوء:

- أنا التي كنت أتودد إليه، أستأذنك، سأبلغ أمي.

استدارت وأخذت طريقها غير أن موضوع عصا البهلوان شغلها طوال ما بعد الظهر، وحدثت نفسها: «لماذا جميع البشر قد أصابهم الجنون؟».. (ماري) و(بيتر) بالحديقة، وأبي ببرنامج مزرعته، و(أوسبورن) بسيارته، والسير (دوجلاس) بالنادي، و(دوأيت) بعصا البهلوان، وهي نفسها، ربما بـ (دوايت) (تاورز).

أرادت أن تساعده، فعندما عادت إلى المنزل اتجهت إلى غرفة الخزين، وأخرجت عصا البهلوان الخاصة بها، إنها تبدو قديمة وأكلها الصدأ، لكن قد تتجدد بالصنفرة والطلاء.

قابلته يوم الثلاثاء للسينما كما تواعدا، سألته عن أحوال الغواصة فأجابها بأن كل شيءٍ على ما يرام، وأنهم سيجرون تجربة عليها وربما انطلقوا بها آخر الأسبوع.

ظل طوال المساء شارد الذهن، كان لطيفًا وودودًا معها، غير أنها شعرت أنه يفكر في أشياءٍ أخرى، حاولت أن تخرجه من هذه الحالة لكنها فشلت، وظل هكذا حتى في السينما، كان عليه أن يشاركها

الاســـتمتاع، وأن يجعلها تقضي وقتًا طيبًا، لكن بدون رغبة حقيقية، بلا روح، حدثت نفسها قائلة: «أنا لا أتوقع أن يكون غير ذلك، وأمامه رحلة كهذه.»

بعد العرض، تمشـــيا معًا في الشـــوارع الخالية نحو المحطة، عندما اقتربا منها توقفت تحت أحد الأروقة، حيث قالت همسًا:

- توقف هنا يا (دوايت).. أريد أن أسألك عن شيءٍ ما.
- بالطبع، تفضلي.
- أنت قلق! هل من الغواصة؟
- لا يـــا حلوتي، قلت لك أن الأمر ليس خطيرًا، أنا آســـف لم أكن على ما يرام الليلة، لكنني قلق من شيءٍ آخر.
- عصا البهلوان؟

فنظر إليها باستغراب، وقال:

- وكيف عرفت ذلك؟
- لي عيوني! هل اشتريت هدية لـــ (جونير)؟
- نعم، عدة صيد، طبعًا تعتقدين أنني مجنون.
- لا، وهل حصلت على واحدة.
- لا، يبدو أنها نفدت من السوق.

• انظـــر، لقد ألقيت نظرة على عصـــاي، فوجدت الصدأ قد أكلها، وقديمة جدًّا، ولا تليق بأن تكون هدية، لكن أعدك أنني ســـأحصل على واحدة بالوقت الذي سترجع به، ستكون معي عندما تعود من الرحلة.

• هـــذا لطف منك، لكن لا عليكِ، فهي مجرد فكرة مجنونة جالت بخاطري، ليس الأمر مهمًّا.

• لكنه مهم بالنسبة لي، سأحصل على واحدة ولو صنعتها صنعًا.

• هذا في منتهى اللطف.

وأحاطها في هذا المكان الخالي المظلم بذراعيه، وقبلها.

• هـــذه من أجل الوعد، ومن أجل كل شـــيءٍ آخر، (شـــارون) لن تمانع هذا، فهذه من كلينا.

6

بعد خمسة وعشرين يومًا، اقتربت سكوربيون من أول هدفٍ لرحلتها، وبعد أن غاصت لمدة عشرة أيام، استقرت في سان نيكولاس أيلاند بعيدًا عن لوس أنجلس، وتجنبت المدينة، قلقة من حقول الألغام المجهولة، واقتربت بحرصٍ من مونتيريري باي، وفتشت الشاطئ، فلم تجد أي أثر للحياة على الشاطئ، ولم يعرفوا إلا القليل، للأسف كان مستوى الإشعاع مرتفعًا، فرأوا أن تظل السفينة تحت الماء وعلى بعد خمسة أميال من البوابة الذهبية في سان فرانسيسكو، رأوا البيوت وكأنها احترقت من القصف، وغير صالحة للسكن، ولم يعثروا على أي أثرٍ للحياة لأي كائن، ظلوا هناك لعدة ساعات، وأخذوا الصور خلال المنظار، ومسحوا المنطقة بقدر الإمكان، تراجعوا نحو الجنوب إلى هاف موون باي، البيوت هنا لا تبدو مدمرة بالكامل، ولكن لا حياة، فنادوا بالمكبر، دون استجابة، ظلوا هناك حتى الغروب، ثم اتجهوا بعد ذلك نحو الشمال، منذ أن تجاوزوا خط الاستواء وصارت عادتهم أن يبحروا على السطح كل فترة كي يلتقطوا بث الراديو من سيتل، لقد سمعوه مرة، استمر لمدة أربعين دقيقة، ولكن إشارات لا معنى لها، ثم توقف، ولم يسمعوه بعدها، إلا أنه ظهر بعد ذلك مرة أخرى عندما

أداروا الباحث صدفــة، وفي هذه المرة التقطوه بدقة، فأصغى (دوايت) بأذنيه ليســمع بدقة، ومعه الضابط المســؤول، لكن ما زال البث يعطي إشارات لا معنى لها، ورغم ذلك قال (دوايت):

- طالما هناك بث، فهناك قوة تحركه، أي هناك بشر.
- ليس بالضرورة.
- أعلــم، هيدروكهربائي، لكن كيف تعمــل هذه التوربينات لمدة عامين بلا صيانة؟
- هناك بعض الآلات القوية تستمر هكذا.
- سنســتمر حتى نصل سانت ماريا، فهل أنت مستعد لو وصلنا أن تنزل إلى الشاطئ؟
- بالتأكيد، لكم أود أن أخرج من السفينة لفترة.

فابتســم (دوايت).. لقد ظلوا تحت الماء حتى الآن لمدة أحد عشر يومًا، ورغم أن الصحة جيدة فإنهم شعروا بالتوتر، فقال:

- لا بد ألا نفقد الأمل، فعندي أمل أن ننجز مهمتنا.
- لو أننا لم نستطع اجتياز المضيق سأنزل على الأرض.
- من الصعب أن نتركك في البذلة الواقية لمدة طويلة، نخشــى أن نفقدك، والأمر كله ليس ذو أهمية.

غاصوا مرة أخرى، وعندما ظهروا على الســطح بعد أربع ســاعات توقف البث، ثم اتجهوا إلى الشــمال في اليوم التالي وهم تحت الماء،

وكي يرفع الروح المعنوية للطاقم بعد هذا الحبس، وعدم التسلية، سمح لمن يريد أن ينظر في المنظار، رغم أنه لا يوجد الكثير ليرونه.

بعد منتصـــف الليل، أبحروا كالعادة، وجاء الضابط بينســـون ليريح الضابط فاريل، ومـــا إن وضع وجهه في المنظـــار إلا وصاح بالضابط وقال: «اذهب واســـتدع القبطـــان، فهناك أضواء على الشـــاطئ».. في غضون دقيقة كان الجميـــع حول المنظار ينظـــرون، كل واحدٍ بدوره، ومعهم (بيتر هولم) و(جون أوسبورن).. لكن الضابط التنفيذي قال:

- هذه قوة هيدروكهربائية.

فقال القبطان:

- أعتقد ذلك.

والتفت إلى (أوسبورن) وقال:

- ما هو مستوى الإشعاع في الخارج يا سيد (أوسبورن)؟
- مرتفع يا افندم.

أومأ القبطان، فالمستوى عالٍ ولا أمل في وجود حياة، وذهب لينظر من المنظار بنفسه، ثم قال:

- حسنًا، سنمضي في طريقنا، سجلها يا سيد بينسون.

وذهب لينام، فغدًا ســـيكون يومًا صعبًا، ولا بد أن يأخذ قســـطًا من الراحة، اتجه نحو الخزانة التي بها كتبه الخاصة وأخرج السوار، وحدث نفســـه، ســـتعجب به، ووضعه في جيب قميصه، ثم وضع يده على عدة الصيد ونام، أبحرت الســـفينة على السطح الساعة الرابعة صباحًا، لكن

لا يوجــد أي أثر للحيــاة، وغاصت مرة أخرى، جــاء القبطان في تمام السادســة لتناول الإفطار، وراح الطاقم الــذي ليس في الخدمة يتناوب النظر خلال المنظار، ومضوا حتى اقتربوا وأصبحوا قرب خمســة عشر ميلًا من مدينة ســيتل، تبدو الأرض خلال المنظار غير مدمرة، لكن لم يزل مســتوى الإشــعاع مرتفعًا، وقف القبطان ليدرس المنطقة خلال المنظــار، لو أن عــداد جيجر مضبوط، فلا توجد حيــاة هنا، ومنذ عدة أيام، وبالرغم من ذلك فهي تبدو طبيعية في شــمس الصيف، ولا يوجد زجاج نافذةٍ مكسور، باستثناء لوح هنا أو هناك، فاستدار القبطان وقال: «سنقترب من الميناء، وننادي في المكبر لفترةٍ من الزمن.»

أناب عنــه الضابط التنفيذي في القيادة، وأمر بإحضار مكبر الصوت واختباره، تم تسيير السفينة على السطح، ووقف على بعد مائة ياردة من رصيف السفن، وراقبوا الشاطئ، ربت القائد على كتف ضابط التنفيذ:

- هل أكون جاهزًا لاستقبال لسواين لإلقاء نظرة يا سيدي؟
- هذه مدينته.

كان البحري (رالف سواين) عامل الرادار، خطا سواين إلى المنظار وظل هناك فترة، ثم رفع رأسه قائلًا:

- صيدليــة كيــن بوجليا مفتوحــة، الأبواب مفتوحة، والســتائر مرفوعــة، لكنه ترك المصباح النيون مضيئًا، وليس من عادات (كين) أن يترك الضوء هكذا.

فقال القائد:

- هل ترى أحدًا يتحرك.

نظر عامل الرادار في عدسة المجهر، وقال:

- لا، وهناك نافذة مكسورة في منزل السيدة سوليفان، في أعلاه.

وظل هكذا لعـــدة دقائق حتى ربت ضابط التنفيـــذ على كتفه وأخذ المنظار، ثم سأل القائد:

- هل ترى منزلك يا رالف؟
- لا ياسيدي، لا يمكن رؤيته من البحر.

وبدأ يتململ بغضب، مردفًا:

- لا أرى شيئًا مختلفًا، الشيء نفسه.

فأخذ (بينســـون) الميكروفون وبدأ ينادي بصوتٍ عالٍ قائلًا: «هذه الغواصة ســـكوربيون، تنادي مدينة أدموندز، لو أن هناك أي شـــخصٍ فليحضـــر إلى الواجهة المائية عند الرصيف، هنا الغواصة ســـكوربيون تنادي أدموندز.»

ترك عامل الرادار غرفة التحكم وســـار إلى الأمـــام، وجاء (دوايت تاورز) إلى المنظار وأبعد أحد الأشخاص ونظر به، تبدو الشوارع نظيفة ولا يوجد أي فسادٍ، فقال:

- تبـــدو المدينة على ما يرام، لكن هـــل ترى المصباح المضاء في الصيدلية، سننتظر هنا لفترة، حوالي نصف الساعة.
- حسنًا، يا افندم.

تنحـــى القبطان جانبًا عن المنظار، وأخـــذه التنفيذي، وأصدر أوامر بوضع الســـفينة في حالة استقرار، واســـتمر الضابط في ندائه بالمكبر، أشـــعل القبطان ســـيجارة، ووقف للحظة، ثم أطفأ السيجارة ونظر إلى الساعة، سمع من مقدمة الســـفينة صوت خشخشة مزلاج صلب، فنظر حوله، لكن أتى صوت وقع أقدامٍ فوقه على السطح، وفجأة ظهر الضابط هيرش في غرفة التحكم وقال:

- ســـواين، خرج من باب الطوارئ وصعد إلى الســـطح، هو حاليًّا فوق السطح!
- هل الباب مغلق؟
- نعم، لقد راجعته.
- ضع حارسًا على باب الطوارئ في المقدمة والمؤخرة.

هناك صـــوت بجوار الســـفينة عندما فر مونتيمـــور، فقال (دوايت) لفاريل:

- انظر علك ترى ماذا يفعل.

فأمال الضابط المنظار إلى أسفل، ونظر ليمسح ما حوله، قال القبطان لهيرش:

- لماذا لم يمنعه أحدكم؟
- لقـــد فعل ذلك بســـرعةٍ فائقة، أنا كنت فـــي المؤخرة، وكان هو جالسًا في المقدمة يقضم أظافره، ولم ينتبه له أحد.

صاح (فاريل) وهو ينظر خلال المنظار:

- إنه يسبح نحو الرصيف.

فأمسك القبطان بالمكبر وصاح:

- (بينسون).. عليك أن تعود إلى السفينة فورًا.

وسمعوه من أعلى السطح وهو يقول:

- اشرب من البحر!

ارتسمت ابتسامة على وجه القبطان، ومال على المنظار مرة أخرى ونظر إلى الرجل، فوجده يتسلق سلم الرصيف، فسأل (أوسبورن):

- إلى متي سيصمد؟
- حسب بنية الجسم.
- ثلاثة أيام، أسبوع؟
- ليس أكثر من ذلك.
- وإلى متى نستطيع أن نأخذه بأمان؟
- ليس لذي خبرة، لكن بعد عدة ساعات كل شيء يفرزه يصبح ملوثًا، لا نضمن سلامة أي شخصٍ في الغواصة، لو أنه صار معهم مرة أخرى.

وراح الطاقم ينظر إليه خلال المنظار، فرأوه بملابسه المبتلة وهو يدخل الصيدلية وانزوى ثم اختفى، فالتفت القبطان وقال:

- أظن لديه النية ليعود، فهيا فلنتجه إلى سانتا ماريا.

ســـاد الصمت الذي لم يقطعه إلا أصوات التوربينات وأزيز الموتور المتقطع، ذهب (دوايت) متثاقلًا إلى كابينته، وتبعه (بيتر هولمز).

- لن تحاول إرجاعه مرة أخرى يا افندم؟ يمكنني أن أنزل الشاطئ ببذلة الوقاية.
- هــذا عرض طيب، لكنني أرفضه، لقد فكرت به شـــخصيًّا، لكن ربما نضطر إلى إرســـال ضابطٍ ورجلين، وربما لا يجدونه، وربما أكل أو شــرب شيئًا ملوثًا، وســـنعلق هنا لمدة خمس ساعات تقريبًا، وعلينا أن نغوص بعد ذلك، ومعنى هذا أننا ســـنعيش على الهواء المعلب لمدة سبعة وعشرين يومًا، أو ثمانية وعشرين، وسيكون معظمنا في حالةٍ يرثى لها، ومن ثم سنضيع وقتًا كبيرًا مع سواين.
- حسنًا يا افندم، لكنني أردت أن أبدي استعدادي للمهمة.
- أقدر ذلك، سنتوقف قليلًا ونناديه بعد ذلك.

عاد القبطان إلى غرفة التحكم، ووقف بجوار ضابط التنفيذ، وتبادل معـــه النظر خـــلال المنظار، اقتربوا مـــن مدخل قناة بحيرة واشـــنطن، ومسحوا الشـــاطئ، ووقفوا قرب الرصيف، والأحواض التجارية قرب خليج إليوت، في قلب المدينة، بدت المدينة غير مدمرة، تقف كاســـحة ألغام بجوار محطة التســـليم البحري، وترسو خمس أو ست شاحنات في الأحواض البحرية، معظم زجاج نوافذ المباني الشـــاهقة في المدينة سليم، لم يقتربوا كثيرًا خوفًا من العوائق المائية، لكن خلال المنظار تبدو المدينـــة كلها لا بأس بها، غير أنه لا يوجد بشـــر، وعديد من المصابيح

لم تزل مضاءة، لم يكن هناك داعٍ للبقــاء، فخرجوا من الميناء متجهين نحو الغرب الجنوبي لســانت ماريا أيلاند، يمكنهم رؤية أبراج المدينة بوضوح، استدعى القبطان الضابط سندروم إلى كابينته وسأله:

- هل أنتم مستعدون للرحيل؟

فقال ضابط الرادار:

- كل شيءٍ جاهز، لم يبق إلا أن أرتدي البذلة سريعًا.

- حســنًا، نصف مهمتك تم من قبل البدايــة، لأننا نعرف أن هناك طاقة كهربيــة، وتقريبًا لا حيــاة، رغم أننا غير متأكديــن، ولن أجازف بالسفينة وبك من أجل معرفة مصدر الإشارات الكهربية فقط، مفهوم؟

- مفهوم يا افندم.

- حسنًا، أريدك أن تعود في غضون ساعة ونصف، لن يكون معك ساعة، ســأضبط الوقت من عندي، سأطلق السارينة كل ربع ساعة، بعد ســماعك لأربع صافرات، عليك أن تنهي ما تعمل بســرعة، عند سماع الخامسة تترك كل شيءٍ مهما كان، عند سماع السادسة تكون قد وصلت قارب الإنقاذ، هل هذا واضح؟

- واضح يا افندم.

- ضــع في ذهنك، لا يعنيني أن أحصل على شــيءٍ بقدر ما يعنيني وصولك سالمًا، ولا شيء يستحق المجازفة، إلا إذا وجدت إنسانًا على قيد الحياة.

- حسنًا يا افندم.

- لا تحضر أي تذكارات من الشاطئ، كل ما نريده هو أنت.
- حسنًا يا افندم.

عاد القبطـان إلى غرفة التحكـم، ومضى ضابط الرادار، وشـقت الغواصة طريقها تحت الماء، تتحسس طريقها إلى سانت ماريا ببطءٍ في شمس ما بعد الظهر، جاهزة للتوقف والصعود إلى السطح في حالة أي عائق، وأخيرًا وقفت على بعـدٍ من رصيف الميناء، وذهب القبطان إلى المقدمة فوجد ضابط الرادار مستعدًّا تمامًا، وهو يدخن سيجارة.

- حسنًا يا صديقي، انطلق.

أطفأ الضابط السـيجارة، ووقف بينما رجـلان يضبطان (الخوذة) وأنبوب الأكسـجين على ظهره، ثم صعد خلال باب الطوارئ وأغلقه خلفه، وتمطى على السـطح وأخذ نفسًـا عميقًا، متلذذًا بأشعة الشمس والهروب من هيكل السفينة، جذب القارب المطاطي ونزل فيه، وانطلق بعيدًا عن الغواصة، وصل إلى الميناء بعد عشـر دقائق، وصعد بسرعة، وبمجرد أن بدأ يخطو على الشـاطئ، سـمع صـوت الصافرة الأولى، اسـتدار ولوح بيده، سـار حتى وجد مجموعة مبانٍ ومحلات، وعلى حائطٍ خارجي مفتاح كهرباء ضد عوامل الجو، أداره فعملت المصابيح، وأطفأهـا مرة أخرى فانطفأت، ووصل إلـى المرحاض، توقف ثم عبر الطريق ونظر به، رجل يرتدي (جباردين كاكي) نصفه في الداخل ونصفه في الخارج، متحلل جدًّا، لم يكن أكثر مما توقع، لكن المنظر يبعث على التفكير، تركه ومضى إلى الطريق، مجمع مدارس على اليمين، ومكتب السـجلات على اليسار، وبجواره مكتب السـنترال، دخل مبنى مكتب

الســجلات، وجد كل الأبواب مغلقة ما عدا اثنيــن يؤديان إلى دورات المياه، فلم يدخل، لفت انتباهه في مكتب النقل أنه عندما اقترب ســمع صوت طنين آلة، وهنا انطلقت الصافرة الثانية من الغواصة، تتبع صوت الطنين حتى وجد محطــة توليد الكهرباء، ووجــد أن المحول صغير، ترك المحطة وذهب إلى مبنى المكتب، ووجد كل الأبواب غير مغلقة، بعضها مفتوح على مصراعيه، كل الغــرف مبعثر في أرضياتها الأوراق والسلوك كأوراق الشجر الملقاة، عاد إلى محطة البث، ووجدها تعمل فأرسل خلالها بعض الرسائل إلى سكوربيون على سبيل التجربة، وهنا ســمع الرابعة، فصعد إلى الطابق العلوي، واستغرق الوقت في البحث بين الملفات وغيرها، وكان عمله قد انتهى، وأمامه ربع الســاعة، يوجد في الأحيــاء المأهولة كم من الجثث كالتي رآها في المرحاض، لكنه لا يريد أن يرى المزيد، في حجرة التســجيلات من الممكن وجود أوراق تفيد المؤرخين الأستراليين، لكنه لا يعرف أيها، علاوة على أن القبطان منعه من حمل أي تذكارات، ووجد في غرفة البث أكوامًا مكدســة من أعداد الصحف، وثلاثة أعداد متسلســلة من مجلة الســيدة والحطاب، أخــذ يتصفحها، وما إن وصــل إلى نصف العدد حتى ســمع الصافرة الخامســة التي نبهته، فيجــب أن يرحل، فطوى الأعــداد الثلاثة تحت ذراعه، وخرج متجهًا إلى الرصيف، عازمًا على أن يغســل كل هذا بماء البحر فــي قارب الإنقاذ، ثم لعله يحصل علــى الأعداد جافة بعد ذلك ليقرأها في الغواصة.

على السطح، أفرغ هواء الزورق المطاطي وطواه، ووضع المجلات في طياته، وخلع (الخــوذة) والبذلة وتركهما، ودخل من باب الطوارئ وأحكم غلقه بعده، ثم تحمم وخرج ليفحصه (أوسبورن) بعداد جيجر، بعد خمس دقائق كان في غرفة التحكم، وبجواره ضابط الاتصال ليقدم تقريره إلى القبطان، فبادر القبطان قائلًا:

- تلقينا إشاراتك، ولا أدري إذا كنت وصلت أستراليا أم لا، فالوقت عندهم الآن نهار، الساعة الحادية عشرة صباحًا، فما رأيك؟

فقال ضابط الاتصال:

- أرى أنها وصلت، فالوقت الآن خريف ولا توجد صواعق كهربية.

صرفه القبطان ليبدل ملابسه، ويعود إلى إدارته، ثم أردف القبطان:

- سـنقضي الليلة هنا، لا أريد الإبحار وسـط حقـول الألغام في الظلام.

ظلـوا هذه الليلة في الميـاه الهادئة في ميناء سـانت ماريا، يراقبون الشـاطئ بأضوائه المتلألئة خلال المنظار، وفـي الفجر انطلقوا تحت الماء، لكنهم علقوا بسبب انحسار المد، فصعدوا إلى السطح، وانتظروا حتى يزيد المد، وفي التاسعة صباحًا استأنفوا إلى الشمال حيث أن البحر مفتوح، في الساعة العاشرة والعشرين دقيقة صاح الضابط (هيريش):

- هناك قارب أمامنا تحت الماء.

فوثب ضابط التنفيذ إلى المنظار، ونظر بالعدسات:

- استدع القبطان.

عندما جاء (دوايت) أخبروه..

- هناك قارب خارجي، به شخص على بعد ثلاثة أميال، يا افندم.
- على قيد الحياة؟
- أعتقد ذلك، القارب خارجي.

أخذ (دوايت) المنظار ونظر لفترةٍ طويلة، ثم نهض قائلًا:

- أجزم أنه سواين، لقد حصل على قارب خارجي، وراح يصطاد.
- ماذا سنفعل.
- اقترب منه وسأكلمه.

اقترب الضابط وأوقــف المحركات، ونادى القبطان، فأخذ القبطان ذراع الميكروفون، ونظر خلال المنظار، ثم نادى:

- أنا هنا، القبطان، صباح الخير يا رالف، كيف حالك؟
- بخير يا كابتن.
- هل اصطدت شيئًا؟
- هذه.

ورفع بيده سمكة سالمون، وأردف:

- طبعًا تعتقد أنني مجنون لأنني ركبت هذا القارب.
- أيًا ما كان الأمر، فلن آخذك على الســفينة، فقد استشرت الطاقم في ذلك.
- أعلم هذا، إنني أشعر بالحرارة الشديدة يا كابتن، وتزداد كل دقيقة.

• وكيف حالك الآن؟

• بخير حتى الآن، هل سألت (أوسبورن) كم من الوقت ما زال أمامي؟

• يعتقد أنه يوم، وستصاب بعدها بالقيء، أخبرني كيف حال الجو على الشاطئ؟

• ذهبت إلى بيتنا ووجدت أبي وأمي والفتاة أمواتًا، لست أدري ربما تعاطوا شيئًا ما، لقد ندمت على قفزي من السفينة، لكنني اشتقت لبيتنا، المهم دخلت، وأخرجت سيارتين والقارب وعدة الصيد، فكل شيءٍ هنا كما هو ما عدا الكائنات الحية، فلا كلاب ولا قطط، ولا طيور، عامة أفضل أن ينتهي بي الأمر الآن هنا في وطني، بدلًا من أستراليا في سبتمبر.

• بالطبع يا رفيقي، أقدر مشاعرك، هل تريد أي شيءٍ نضعه لك على سطح السفينة؟

• هل لديك الحبوب القاتلة، السيانيد؟

• لا، ولكن يمكن أن أضع لك مسدسًا أتوماتيكيًّا.

• لا، معي بندقيتي، سألقي نظرة على الصيدلية عندما أعود إلى الشاطئ، ربما أجد شيئًا، وإن كنت أرى أن البندقية أفضل.

• كما ترى، أتريد شيئًا آخر؟

- لــدي كل شـــيء، وإن كنت نادمًا لأنني قفزت من الســفينة، بلغ تحياتي لكل الطاقم.

- سأفعل، أتمنى لك صيدًا موفقًا.

واستدار القبطان وطلب من الضابط التنفيذ والمضي بالسفينة.

في هذا المســـاء اتصلت (ماري) بـــ (مويرا) في منزلها، كان الجو ماطرًا بغزارة، والرياح عاصفة في منطقة هاركاواي..

- عزيزتي، إنهم بخير، جاءتنا إشارة منهم.

شهقت الفتاة من المفاجأة، فلم يكن هذا من المتوقع..

- من الذي تلقى الإشارة؟

- توًّا اتصل بي الكوماندو (بيترســـون) وأخبرني أن سيندروم نزل على الشاطئ وأرسل هذه الرسالة، وأن كل شيءٍ هناك ميت.

- مدهش، هل يمكن أن أرسل إشارة.

- لا أعتقد ذلك، فالكوماندو أخبرني أن ســـيندروم أغلق المحطة التي وجدوها هناك.

- أوه.... إذًا لا نمتلك إلا الانتظار.

- هل لديك شيء خاص تودين أن ترسليه

- لا، مجرد أمر خاص لـــ (دوايت).

- هل تقصدين....

- لا، لا أقصد ذلك.
- هل أنت بخير يا عزيزتي؟
- نعم بخير، وكيف حال (جينيفر)؟
- نحن بخير، باستثناء أنها تمطر طوال الليل، هل يمكنك المجيء إلينا، فلم أرك منذ زمنٍ بعيد.
- سآتي أي يومٍ بعد العمل، وأبيت.
- سيكون ذلك مدهشًا.

وصلت إلى محطة فالموث بعد ليلتين، وحملت نفسها على المشي لمسافة ميلين إلى التل، رغم الرذاذ، استقبلتها (ماري) في شقتها الصغيرة، بنارٍ موقدة في الصالة، فخلعت حذاءها، وساعدتها في تحميم الطفلة، ثم تناولتا العشاء، وبعد ذلك جلستا معًا في الصالة على الأرض أمام النار، وسألتها الفتاة:

- متى تعتقدين أنهم سيعودون؟
- أخبرني (بيتر) أنهم سيرجعون منتصف يونية، أي بعد ثلاثة أسابيع.

وتناولت أجندة ثم أردفت:

- إنني أحسب الأيام، وأشطبها.
- هل تعتقدين أنهم ما زالوا في ذلك المكان الذي أرسلوا منه الرسالة؟

- لا أدري، لم أسأل الكوماندو عن ذلك، هل يمكن أن أتصل به غدًا وأسأله؟
- لا أعتقد أنه سيمانع.
- (بيتر) سينهي عمله في البحرية، ونأخذ عطلة، فالجو هنا مقزز للغاية، مطر وعواصف.

أشعلت الفتاة سيجارة وسألت:

- إلى أين ستذهبون؟
- أي مكانٍ دافئ، كويزلاند مثلًا، يا له من أمرٍ مزعج عدم وجود سيارة، سنضطر أن نأخذ (جينيفر) بالقطار.

نفثت سحابة دخان من السيجارة، وعلقت:

- لا أظن كويزلاند بهذه السهولة.
- بسبب المرض؟ أظنه بعيدًا جدًّا عنها، لكن حقًّا، هل تعتقدين أنه سيصل إلى هنا؟
- أظنه كذلك.
- يعني كلنا سنموت، كما قالوا؟
- أعتقد هذا.

استدارت (ماري).. وجاءت بكتالوج عن زهور الحدائق من على الأريكة.

- ذهبت إلى المشتل وأتيت بمائة زهرة، سأغرسها في الركن الذي اجتث منه (بيتر) الشجرة، لكن إذا كنا كلنا سنموت، فالأمر يبدو سخيفًا.
- ليس أسخف من أنني بدأت أتعلم الاختزال، لكن أرى أنه يجب أن تغرسيها، على الأقل تشعرين أنك فعلت شيئًا.
- هذا ما أقصده، فأنا لا أحتمل أن أظل هكذا دون أن أفعل شـيئًا، فربما نموت الآن.
- نعم، حتى لو أنهم صدقوا فيما يقولون، فمن المفترض أن نفعل ما نخطط له بقدر استطاعتنا.
- بالمناسبة، نسيت أن أسألك هل تودين أن تشربي براندي أما أي شيءٍ آخر، لدينا زجاجة براندي، فهل ترغبين؟
- لا، لا أريد براندي.
- أيعقل هذا؟ هل أقلعت؟
- أنا لا ألمســه إطلاقًا في البيت، ولا أشربه إلا في الاحتفالات، أو مع الرجال، خصوصًا مع الرجال، لكنني أشعر بعدم الرغبة هذه الأيام.
- لم يعد رجالًا، بل هو (دوايت تاورز).
- نعم هو (دوايت تاورز).
- ألا تفكرين في الزواج، حتى لو أننا سنموت في سبتمبر؟
- بل أفكر، وفي كل شيءٍ مثلك، لكن ليس الآن.
- ألا تتزوجين من (دوايت).

- لا أعتقد ذلك.
- لماذا؟ إنه يحبك.
- أعلم أنه يحبني، لكن لا أعتقد ذلك برغم هذا.
- ألم يقبلك من قبل؟
- بـــل قبلني مرة، لكن لا أظن أن الزواج ســيتم بيننا، فهو متزوج، ويحب زوجته وابنه وابنته.
- أوه، لا أظن ذلك، أظن أنهم ماتوا، ليس لديه أسرة.
- لكنه يحســـب دائمًا أنه ســيذهب إليهم في بلدته ميســـتك، في سبتمبر القادم، كل منا أصابه الجنون بطريقته الخاصة، وها هي طريقته.
- تقصدين أنه فعلًا يؤمن بأن أسرته على قيد الحياة؟
- لا أعتقد أنه يؤمن بذلك، لكنه يؤمن بأنه ســيموت في ســبتمبر وسيقابلهم، هناك في وطنهم.

حاولت (ماري) أن تفهم، فقالت:

- إذا كان يؤمن بذلك، فلماذا قبلك؟
- لأنني أخبرته أنني سأساعده في شراء الهدايا.

نهضت (ماري) وقالت بصرامة:

- سأحضر لي كأسًا، وسأحضر لك كأسًا، أفضل.

بعد أن جاءت بالكأسين، جلستا على الأرض، واستفسرت بفضول:

- إنه أمر مضحك، أن تشعرين بالغيرة من إنسانة ميتة.

نظرت الفتاة إلى النار وهي تمسك بكأسها:

- أنا لا أغار، لكن اسمها (شارون).. من الكتاب المقدس، أريد أن أقابلها، بالطبع هي شخصية رائعة، كما ترين، إنه رجل عملي.

- ألا تريدين أن تتزوجيه؟

ظلت الفتاة صامتة لفترةٍ طويلة، وقالت أخيرًا:

- لا أدري، لا أدري إذا كنت أريد أم لا! ولولا ذلك لاستخدمت كل خدعةٍ في مقدوري لأبعده عنها، لا أظنني سأشعر بالسعادة مع أي شخصٍ آخر، ومن ناحيةٍ أخرى، ليس هناك وقت للسعادة مع أي فرد.

- ما زال هناك ثلاثة أو أربعة شهور، وبالرغم من ذلك هناك مقولة من تلك التي تعلقينها على الحائط لتلهمك تقول: «لا تقلق، ربما لا يحدث أبدًا.»

فقالت (مويرا) معلقة، وقد أمسكت بسيخ النار لتلعب به:

- لو أن الأمر للأبد لكان مختلفًا، كنت عملت ما في وسعي بأي طريقةٍ لآخذه لي، والأطفال، والبيت وكل شيء، لكن من أجل ثلاثة أو أربعة شهور، فالأمر لا يستحق، نعم أنا امرأة متحررة، لكن ليس لهذه الدرجة.

- آه يا عزيزتي، الأمر صعب.

- لن يكون أسوأ من ذلك، أشعر أنني سأموت فتاة عجوز.

- لا يبدو هذا معقولًا، ولا أي شيءٍ معقول هذه الأيام، (بيتر).....

سألت الفتاة بفضول:

- ماذا عن (بيتر)؟

قالت وهي تتقلقل:

- شيء مخيف، مجنون.
- ماذا؟ أخبريني.
- هل قتلت أحدًا من قبل؟
- أنا؟ لا، ليس بعد، أود قتل عاملات التليفونات بشكلٍ كبير.
- إنه شيء مروع أن ترتكبي خطيئة القتل، تدخلين النار.
- لا أعلم، من الذي تريدين أن تقتليه؟

فقالت الأم بضجر:

- أراد (بيتر) مني أن أقتل (جينيفر).

وانسابت على وجنتيها الدموع، فمالت الفتاة باندفاعٍ ولمست يدها ثم قالت:

- عزيزتي، مستحيل، بالطبع أنت قد فهمت الأمر بشكلٍ خطأ.
- لا، لم أفهم خطأ، طلب مني ذلك، وأراني كيف أفعل ذلك.

وانهمرت من عينيها الدموع، فحضنتها الفتاة وهدهدتها، ولم تصدق في البداية، لكنهما ذهبا معًا إلى الحمام وأخرجت العلبة الحمراء.

- لقد سمعت عن شيءٍ مثل هذا، لكنه جنون.

- لا أستطيع أن أفعل ذلك بمفردي، مهما كان سوء الحالة، لو حدث شيء لسكوربيون ولم يكن (بيتر) موجودًا هنا، فهل يمكنك مساعدتي؟

فقالت الفتاة بلطف:

- بالطبع يا عزيزتي، سآتي وأساعدك، لكن (بيتر) سيكون هنا، إنهم سيعودون سالمين.

أخرجت منديلًا وأعطته لها ثم قالت:

- جففي دموعك، دعينا نحتسي كوبًا من الشاي، سأذهب وأضع الإناء.

وشربا الشاي قبل أن تخمد النار.

بعد ثمانية عشر يومًا، أبحرت سكوربيون فوق السطح في هواءٍ نقي قرب نورفك أيلاند، صعد الطاقم إلى السطح يحتمون بقطعة بلاستيكية من المطر المنهمر، وجوههم شاحبة، ويرتعشون من شدة البرد، أرسى (دوايت) السفينة حتى أخذ كل واحدٍ قسطًا من الهواء المنعش، كانت مقاومتهم للبرد ضعيفة إذ أصيبوا بأنيميا بسبب احتباسهم في الغواصة، لكن أخيرًا استطاع أن يرجع بهم سالمين، باستثناء سواين، وثلاث حالات اكتئاب، غير أنه مر بحالة رعبٍ وحيدة عندما ظهرت كل أعراض التهاب الزائدة على أحد أعضاء الطاقم، فاستعد ومعه (أوسبورن) كمساعد ليقوما باستئصال الزائدة، لكن الأعراض اختفت،

وأخذ المريض فترة راحة في مقصورته، وتولى (بيتر هولمز) كل مهامه وتمنى القبطـــان أن يصمد حتـــى يصلوا إلى ويليامزتـــاون في غضون خمســـة أيام، كان (هولمز) طبيعيًّا مثله مثل أي فردٍ على السفينة، وكان (أوسبورن) متوترًا رغم كفاءته، وراح يتحدث بلا انقطاع عن سيارته.

لقد أدحضوا تأثير جورجينسن، فغامروا بالدخول تدريجيًّا في منطقة خليج ألاساكا ومعهم كاشف ألغام تحت الماء تحسبًا من جبال الجليد العائمة حتى وصلوا إلى خط عرض (ثمانية وخمســـين) في الشـــمال قرب محيط كودياك، الجليد ســـميك في هذه المنطقة، ولم يقتربوا منه ومستوى الإشـــعاع لم يزل قاتلًا ومرتفعًا بعكس ذلك الذي في سيتل، لم يكن مفيدًا الغور أكثر من ذلك، فأخذوا القراءات واتجهوا إلى مكانٍ أكثر دفئًا نحو هاواي وبيرل هاربر، ثم اتجهوا بعد ذلك إلى مدخل بحر تاسمان، حيث أرسوا الســـفينة وصاروا في سهولة اتصال مع أستراليا، فأرسلوا إشارة بموقعهم والوقت المرتقب لوصولهم إلى ويليامزتاون، فجاءتهم رســـائل تستفســـر عن حالتهم الصحية فرد (دوايت) برسالةٍ مفصلة وإن صاغ بصعوبة ما تم بشأن ســـواين، وهكذا تبادلوا الرسائل المعتـــادة، في منتصف فترة الصباح جاءت رســـالة مهمة، تحمل تاريخ سابق عن وصولها بثلاثة أيام سابقة؛ تقول: من القيادة البحرية الأمريكيةاً برســـبان، إلى القبطان (دوايت تاورز) قبطان ســـكوربيون، الموضوع: (تولي مهام إضافية)

- فور تقاعد قائد البحرية الحالي ستتولى أمر القيادة في جميع المناطق، وسيكون لك التقدير والتصرف في وضعها، ولك الحرية في إنهاء أو استمرار العمل تحت الإدارة الأسترالية، كما ترى.

- هذا يعني أنك ستصبح الأدميرال إذا أردت.

تحياتي، وحظ سعيد، جيري شو.

- صورة لعضو البحرية الأسترالية الأول.

قرأ (دوايت) الرسالة بلا أي تعبير على وجهه. وطالما وصلت صورة للبحرية الأسترالية، استدعى ضابط الاتصال، عندما جاء (بيتر) أعطاه الإشارة بدون كلمة، لما قرأها ضابط الاتصال قال له

- مبارك يا افندم.
- من المفترض هذا و... من المفترض أن برسبان بعيدة الآن.

كانت برسبان على بعد مائتي وخمسين ميلًا شمال موضعهم، أومأ (بيتر) وفكر في أرقام الإشعاع.

- لقد كانت سيئة أمس بعد الظهر.
- اعتقدت أنه ربما ترك سفينته واتجه نحو الجنوب.
- لم يستطيعوا التحرك إطلاقًا؟
- لم يتوفر وقود كافٍ، فأوقفوا الخدمات في كل السفن، المستودعات فارغة تمامًا.
- على أي حالٍ القيادة الآن...

فابتسم القبطان بتهكم وقال:

- هذا لا يعني شيئًا، ليس الآن.

ولم يعد هناك كلام كي يقال، فصرف ضابط الاتصال، خط رسالة شكر وتقدير وسلمها لضابط الإشارة ليرسلها عبر ميلبورن، وكذلك نسخة لعضو البحرية الأول.

بعد ذلك مباشرة جاء معاون الإشارات وترك له إشارة على المكتب: «للأسف ليس هناك تواصل مع برسبان».. فأومأ القبطان.

- حسنًا، انس الأمر.

7

امتثل (بيتر هولمز) أمام العضو الثاني للبحرية لوصولهم ويليامزتاون، أشار له الأدميرال بالجلوس، وقال:

- قابلـــت القبطان (تاورز) لعدة دقائق الليلـــة الماضية، يبدو أنك أحسنت التعامل معه.
- سعيد لسماعي هذا يا افندم.
- نعم، أعتقد أنك تود أن تعرف أكثر عن استمرار مهمتك.

فقال (بيتر) باستحياء:

- نوعًا ما، وإن كنت أظن أن الوضع العام كله الشـــيء نفسه، أعني أنه ليس أمامنا إلا ثلاثة أو أربعة شهور.

أومأ الأدميرال.

- يبـــدو أن هذا صحيح، لقد أخبرتني آخـــر لقاءٍ بيننا، أنك تريد أن تمضي هذه الشهور في المدينة، بعيدًا عن البحر.
- المفروض... لقد فكرت في زوجتي قليلًا.
- بالطبع.

وقدم للضابط الشاب سيجارة، وأشعل لنفسه واحدة.

- ستدخل سكوربيون حوض الصيانة لمراجعة الهيكل، أظنك تعرف ذلك.

- نعم يا سيدي، كان القبطان مترقبًا أن يحدث ذلك، لقد قابلت العضو الثالث بخصوص ذلك الشأن هذا الصباح.

- من الطبيعي أن يستغرق الوضع ثلاثة أسابيع وقد تزيد في ظل هذه الظروف، فهل تريد البقاء على قوتها كضابط اتصال هذه الفترة؟

توقف قليلًا ثم قال:

- القبطان (تاورز) طلب أن تستمر معه في الوقت الحالي.

- هل يمكنني أن أبقي في فالموث، فالمسافة حوالي ساعتين كي أكون في الترسانة؟

- أرى أن تناقش هذا مع القبطان، ولا أرى أن لديه أي اعتراض، فهذا ليس كما لو أن السفينة جاهزة للعمل، وأحسبه سيعطي إجازة لمعظم الطاقم، ولا أحسب أن مهمتك شاقة، فهو يريد أن تمد له يد العون في وجودها بالترسانة.

- يسعدني الاستمرار معه، مع بقائي في البيت، أما إذا كان هناك رحلة أخرى للسفينة، فمعذرة يمكن استبدالي، فلا أطيق أن أعمل في البحر.

ثم قال بتردد:

- آسف لأنني أقول ذلك.

فابتسم الأدميرال وقال:

- حسنًا أيها الضابط، سأضع ذلك في ذهني، ويمكنك أن تأتيني في أي وقتٍ لو شئت أي استفسار.

ووقف منهيًا اللقاء، وهو يردف:

- هل الأمور في البيت على ما يرام؟
- بخير، وإن بدت شــؤون المنزل أكثر صعوبة مما لو كنت بعيدًا، فهو جهد لزوجتي، مع وجود طفلةٍ لرعايتها.
- أعلم هذا، ولا أرى أنه سيكون أيسر من ذلك.

في صباح ذلك اليوم اتصلت (مويرا ديفيدسون) بـــ (دوايت تاورز) في حاملة الطائرات بوقت الغداء، وقالت:

- كيف حالك يا (دوايت)؟ لقد أخبروني أنه ينبغي أنَ أهنئك.
- من قال لك ذلك؟
- ماري هولمز.
- يمكنك أن تهنئيني إذا شئت.

ثم قال بتثاقل:

- وإن كنت أفضل ألا تفعلي.
- حسنًا، لن أفعل، كيف حالك يا (دوايت)؟ بخير؟
- على ما يرام، وإن أحسست بخيبة أمل اليوم، ولكن على ما يرام.

في الحقيقة الأعمال التـــي أداها منذ أن رجعوا إلى حاملة الطائرات شاقة جدًّا، ولم ينم إلا قليلًا مما جعله يشعر بالتعب للغاية.

• هل أنت مشغول؟

• المفترض، لكن لا أدري، لا شيء ينتهي، وكلما كثر ما لا ينتهي، كثر ما ينبغي أن ينتهي.

لقد بدا (دوايت) آخر غير التي اعتادت معرفته، فقالت بتألم:

• يبدو أنك مريض.

• لا، لست مريضًا يا حلوتي، كل ما في الأمر أن هناك أعمالًا كثيرة والجميع في إجازة، فقد ظللنا في البحر لمدةٍ طويلة.

• مـــن رأيي أن تأخذ إجازة لنفســـك، هل يمكنـــك المجيء إلى هاركاواي لفترةٍ وجيزة؟

ففكر قليلًا ثم قال:

• هذا كرم منك، ولكن لا أستطيع أن أفعل ذلك في الوقت الحاضر، سندخل سكوربيون في حوض الصيانة غدًا.

• دع (هولمز) يقوم بعملك.

• عم (سام) لا يسمح بذلك.

أمسكت عن قول: «العم (سام) لن يعلم» لكنها قالت:

• بعد أن تنتهي من ذلك، ستظل السفينة لفترة في حوض الصيانة، أليس كذلك؟

- أنت تعرفين الكثير عن البحرية.
- نعم أنا كذلك، جاسوسة جميلة، ماتا هاري، امرأة فاتنة، أستطيع أن أنتزع أي أسـرار من الضباط البحريين الأبرياء بكأسين براندي، فهل ستظل لفترةٍ في الحوض؟
- نعم، أنت محقة.
- إذًا يمكنك أن تلقي كل شـيءٍ آخر على (بيتر).. وتأخذ إجازة، متى ستدخلونها في الحوض؟
- العاشرة من صباح غد، وسنستمر في ذلك لمنتصف النهار.
- بعدهـا تعـال واقض معنا بعـض الوقت بعد الظهـر، هنا البرد قـارص، والمطر غزير، كي تكون حذرًا، وبعد يومين ستشـعر بالحنين إلى الغواصة.
- أنت تجعلين الأمر جذابًا.

ضحك.

- نعم أعلم، هل ستأتي غدًا بعد الظهر؟
- أعتقد أنني سـأفعلها، سـأقوم بتنظيم بعض الأشياء، ويمكنني الحضور.

رتبـت لمقابلته فـي اليوم التالي فـي الرابعة بعد الظهـر في فندق أستراليا، عندما قابلته رثت لحاله، فلونه كان مصفرًّا، وفي لحظات يبدو علـى غفلة مكتئبًا، رحبت به، وحياها وبدا مسـرورًا لرؤيته لها، قطبت جبينها عندما رأته، وقالت:

- ما بك؟ تبدو كشيءٍ جلبته القطة ولم ترده.

وأمسكت يده وتحسستها..

- إنك ساخن، درجة حرارتك مرتفعة.

سحب يده وقال:

- أنا بخير.
- ماذا تشـــرب؟ يلزمك كأس دوبل من الويســـكي، وعشرين حبة كينيـــن، الآن كأس الويســـكي، وعندما نذهب إلى البيـــت نبحث عن الكينين، يجب أن تلزم الفراش!

جميل أن تكون محل رعاية، فقال:

- وأنت كأس دوبل براندي.
- لا، كأس عادية، ودوبل لك، خطأ أن تخرج هكذا، ربما نشـــرت جراثيم، هل ذهبت إلى طبيب؟

وقال بعد أن طلب المشروبات:

- لا يوجد طبيب في ســـكوربيون، فهي الوحيدة التي تعمل، وهي في حوض الصيانة، لقد أخذوا الطبيب في آخر رحلة.
- حرارتك مرتفعة، أليس كذلك؟
- أظن ذلك، لقد أصبت ببرد.
- أحسب ذلك، اشرب الويسكي إلى أن أتصل بأبي.
- لماذا؟

• ليقابلنا بالعربة عند المحطة، لقد أخبرته أننا سنتمشـــى، لكن في حالتك هذه لا يمكـــن، قد تموت بين يدي وأدخل في اســـتجوابٍ مع المحقق، وقد يؤدي إلى مشكلةٍ دبلوماسية.

• مع من يا حلوتي؟

• مـــع الولايات المتحدة، فليس من الصـــواب قتل قائد أعلى في القوات البحرية الأمريكية.

• أعتقد أن الولايات المتحدة، أنا الآن، فسوف أدخل في انتخابات الرئيس.

• فكر في هذا إلى أن أجري الاتصال مع أمي

من داخل (كشك) التليفون، قالت:

• ماما، أظنه مصاب بأنفلونزا، إنه متعب جدًّا، على أي حال، يجب أن يلزم الفراش بمجرد أن نصل إلى البيت، هل يمكنك أن تشـــعلي نارًا في الغرفة، وتجهزي قربة ماءٍ ســـاخن، واتصلي بالدكتور (فليتشر) إذا كان يمكنه المرور بالمســـاء، أرى أنها أنفلونزا، لكن قضى أكثر من شهر في أماكن بها إشـــعاع، ولم يذهب إلى طبيب منذ أن جاء، أخبري دكتور (فليتشر) من هو، إنه شخصية مهمة الآن.

• في أي قطارٍ ستأتي يا عزيزتي؟

نظرت في معصمها..

• قطـــار الرابعة والأربعين، أبلغي أبي أن الجو بارد جدًّا في العربة، فليحضر معه بعض الأغطية.

عادت إلى مكانها.

- اشرب وهيا، يجب أن نستقل قطار الرابعة والأربعين.

ذهب معها طائعًا، بعد ساعتين كان نائمًا في غرفة نومٍ بها مدفأة يشتعل فيها الحطب، وهو يرتعش من الحمى، أخذ ينظر إلى السقف، ويستمع إلى ضربات المطر، والآن جاءه مربي الماشـية مضيفه ببعض الويسكي والليمون، وسأله ماذا يأكل، فلم يطلب شيئًا، في حوالي الساعة الثامنة، سـمع صوت حصان في الخـارج، وأصواتًا في المطـر، وبعد لحظة دخل عليه الطبيب، ترك معطفه المبتل، بينما انبعث البخار من ملابسـه لقربه من المدفأة، الطبيب في الخامسة والثلاثين أو الأربعين، بشوش، ونشيط.

- آسـف يا دكتور، لأنهم جعلوك تأتي في ليلةٍ كهذه، لا أعتقد أن يومًا أو يومين لا يكفيان لعلاجي، فليس هناك أمر خطير.

ابتسم الطبيب وأمسك بمعصم الأمريكي ليجس النبض..

- سعيد لأنني جئت لأراك، أعرف أنك كنت في منطقة إشعاع.
- نعم، ولكن لم نتعرض له.
- كنتم داخل الغواصة طوال الوقت؟
- نعم، طوال الوقت، وكان معنا عالم يقيس بعداد جيجر أجسـامنا كل يوم، ليس هذا هو السبب يا دكتور.
- هل تقيأت، أو أسهلت؟
- لا، إطلاقًا، ولا أحد من الطاقم.

وضـــع الطبيب الترمومتر فـــي فمه، ووقف وهو يمســـك بمعصمه ليجس النبض، ثم سحب الترمومتر..

- مائة ودرجتان، فهرنهايت، من الأفضل أن تلزم السرير لفترة، كم من الوقت قضيت في البحر؟
- خمسة وثلاثين يومًا.
- وتحت الماء؟
- أكثر من نصفها.
- هل تشعر بإرهاق؟

فكر القبطان للحظة..

- تقريبًا.
- بل مؤكد، يجب أن تظل في السرير لفترة، فكل ما عندك أنفلونزا، ولكن تحتاج راحة، ســـأمر عليك خلال يوميـــن، يجب ألا تذهب إلى العمل لمدة أسبوع، وبعدها تأخذ إجازة أيضًا، هل تستطيع؟
- سأفكر.

تحدثا عن الرحلة، وظروف سيتل، وأخيرًا قال الدكتور:

- من المحتمل أن أمر عليك غدًا بعد الظهر، فزميلي يجري جراحة في المستشفي، سأذهب إليه ثم أمر عليك بعد ذلك.
- هل يجري جراحة خطيرة؟
- امرأة بها ورم في المعدة، سنستأصله، لتقضي عدة سنين بارتياح.

بعد أن تحدثنا قليلًا، غادر الطبيب، وبعد لحظاتٍ فُتح الباب ودخلت الفتاة..

- ها أنت مضطر أن تمكث في السرير لمدة.

وألقت في المدفأة بقطعتين من الحطب..

- طبيب ظريف، أليس كذلك؟
- إنه مجنون.
- لماذا؟ لأنه أرغمك على البقاء في السرير؟
- لا، ليس ذلك، إنه سيجري غدًا جراحة لامرأةٍ كي يمنحها عدة سنوات للحياة.

فضحكت، وقالت:

- سيفعل! لم أقابل أحدًا بهذا الإخلاص، بالمناسبة، أبي سيقيم خزان سد للمياه الصيف القادم، فكثير من ماء المطر يضيع هباءً، وفي الصيف تكون المنطقة جافة، كلم بعض أصحاب البلدوزرات ليساعده.

رفعت من الطاولة الكأس الفارغة، وسألته:

- هل تشرب مشروبًا ساخنًا؟
- ليس الآن يا حلوتي، أنا تحسنت.
- تأكل شيئًا؟ أو تريد قربة ماء؟
- لا، لا أريد شيئًا.

خرجت من الغرفة، وعادت بعد لحظاتٍ وفي يدها لفافة منبعجة في أسفلها، ووضعتها في ركن، وقالت:

- سأتركها هنا، لتنظر بها طوال الليل.

اتكأ ثم قال:

- ما هذه؟
- لك ثلاثة تخمينات، وستعرف ما هي في الصباح.
- أريد أن أعرف الآن.
- غدًا.
- لا، الآن.

فأتت باللفافة على السـرير، ووقفت تشـاهده وهـو يمزق الورق الملفـوف، فهي ترى أن قائد البحريـة الأمريكية طفلًا في داخله، عصا البهلـوان بين يديه تلمع، إنها جديدة، ومنقوش على مقبضها الخشـبي (هيلين تاورز)..

- إنهـا مبهرة، ولأول مـرة أرى واحدة مكتوب عليها اسـم، أين وجدتها؟
- من المصنع الذي يصنعها، لقد توقف عن صنعها، لكن صنع لي هذه على وجهٍ خاص.
- أشكرك جدًّا، هكذا أصبح لكل واحدٍ هدية.
- أعطني إياها، عليك أن تنام الآن.

- لا، اتركيها معي.

فتركتها، وهمت بالخروج وهي تطفئ النور وسألته:

- هل حصلت الآن على كل ما تريد؟
- نعم، لقد حصلت على ما أريد.
- تصبح على خير.

وأغلقت الباب خلفها، ظل مستيقظًا لفترة يتخيل (شارون، وهيلين).. وكيف تلعب (هيلين) بعصا البهلوان، حتى غفا ودخل في النوم ويده على العصا.

تناول (بيتر هولمز) الغداء في اليوم التالي مع (جون أوسبورن) الذي بادر قائلًا:

- اتصلت بالسفينة لأجد (تاورز) كي أخبره بالتقرير قبل كتابته على الآلة، لكن أخبروني أنه ذهب إلى هاركاواي في منزل (مويرا).
- نعم، إنه مصاب بالأنفلونزا، ربما يمكث لأسبوعٍ أو أكثر، لقد اتصلت بنا وأخبرتنا بذلك.
- لا يمكنني أن أحتفظ بهذا إلى هذه الفترة، جونجينسن سمع بنتائجنا وأخبر بأننا لم نؤد عملنا على أكمل وجه، لذلك يجب أن أكتبه وأرسله غدًا على الأكثر.
- لو أردت أن ألقي عليه نظرة، ونحاول أن نجد التنفيذي، رغم أنه في عطلة، وينبغي أن يراه (دوايت) قبل أن ترسله، لماذا لا تتصل بـ (مويرا) وترسله له في هاركاواي؟

- ظننتها في ملبورن كل يوم تدرس الاختزال والكتابة بالآلة الكاتبة.
- لا تكن أحمقًا، هي بالطبع هناك.

فأشرقت أسارير العالم وقال:

- سأطير وأعطيها له بسرعة، بسيارتي فيراري.
- لن يكفيك البنزين لو أنك ستستخدمه في جولة بهذا الشكل، هناك قطارات مناسبة.
- هذه مهمة رسمية، أعمال بحرية، تعتمد على التموين البحري.

ثم مال على (بيتر) وأضاف هامسًا:

- لدي حاملة الطائرات حوالي ثلاثة آلاف جالون من الوقود الذي أستخدمه.
- لا يمكنك لمس هذا.
- لا يمكنني! هذه مهمة بحرية.
- وهل تستطيع أن تسير بهذه السيارة بأمان؟
- بالطبع، فليس هناك سيارات غير الترام والناس بلا شك كي أصطدم بهم.
- أستحلفك بالله، ألا تقتل أحدًا اليوم.
- بأي وسيلة سيموتون في غضون شهرين أو ثلاثة، لذلك يجب أن أستمتع وعليك أيضًا أن تستمتع قبل هذا التوقيت.

السيارة ليس بها نفير، وهي ليست في حاجة إلى هذا فصوتها يسمع من بعد ميلين، وأيضًا ليس بها أضواء، فإذا كان عليه أن يذهب ويعود في ضوء النهار فلا بد أن يسرع، فوضع الحقيبة التي فيها التقرير بجواره، وانطلق متفاديًا الترام والناس وهو يسير على سرعة خمسين ميلًا ثم سبعين، مع وضع قدمه دائمًا على الفرامل في المناطق التي لم يكن لأطفالها أي فكرة عن عدم اللعب في الشوارع، أخذ يفكر طوال الطريق متخوفًا من حدوث أي عطل، وإن عزى نفسه بأن الفرامل تم تصميمها لتوقع هذا.

وصل هاركاواي بعد ثلاث وعشرين دقيقة، بمتوسط سرعة اثنين وسبعين ميلًا، توقف أمام منزل (مويرا) بصوتٍ صارخ، فخرجت (مويرا) وأبوها وأمها فجأة على هذا الصوت، فبادر قائلًا بعدما خرج من السيارة وقد أطفأ الموتور:

- جئت كي أقابل القبطان (دوايت).. علمت أنه هنا.

فردت عليه (مويرا):

- إنه يأخذ قسطًا من الراحة، هذه السيارة مزعجة جدًّا يا (جون).
- أريد أن أقابله، في عمل، لدي تقرير يجب أن يراه قبل أن أرسله.
- لا أظنه نائمًا الآن.

أخذت طريقها إلى غرفة النوم الإضافية، كان (دوايت) مستيقظًا وجالسًا على السرير، فبادر قائلًا:

- توقعت أنك أنت، هل قتلت أحدًا؟

فقال العالم:

- ليس بعد، وآمل أن أكون أنا الأول، فلا أرغب في قضاء باقي عمري في السجن.

فتح حقيبته، وأوضح لـ (دوايت) سبب مجيئه، ثم قدم له التقرير، قرأ (دوايت) التقرير بتمعن، وهو يسأل بين الفينة والأخرى، ثم قال أخيرًا:

- حسنًا، لكن أرى أن تحذف الفقرة الأخيرة التي عني وعن السفينة.
- أفضل أن نتركها يا افندم.
- وأنا أفضل أن تحذفها، لا أريد أن يقال مثل هذا الكلام عن عملية هي من الواجب.

فأخرج العالم قلم رصاص ووضع علامة حول الفقرة، قائلًا:

- كما تحب.
- هل سيارتك هنا؟
- إنها في الخارج.
- متأكد من ذلك، فقد سمعتها، هل يمكنني أن أراها من النافذة؟
- بالطبع، فهي في الخارج.

نهض (دوايت) من على السرير، وسار نحو النافذة وهو يرتدي منامته ثم نظر إليها وقال:

- وماذا ستفعل بها؟

- السباق، إنهم سيقدمون السباق نظرًا للظروف التي نمر بها.
- ألا تخاف من أن يحدث لك شيء جراء سرعتها التي تتطلبها في السباق؟
- أفضل أن أموت بها بدلًا من الموت بالمرض أو الإشعاع.

ابتسم القبطان وعاد إلى السرير، فسأله العالم:

- هل ستأخذ سكوربيون للبحر مرة أخرى.
- لم تصلني أي أوامر بعد، ســتكون جاهزة في أول يوليو، عزمت على أن أتركها تحت القيادة الأسترالية حتى النهاية.

ثم مرت فترة صمت، قطعها بقوله:

- إنني أحسدك على سيارتك، سأظل أعمل حتى النهاية.
- ليس هناك ضرورة لذلك، يمكنك أن تأخذ إجازة، لترى أستراليا.
- لم يتبق فيها ما يمكن أن نراه.
- أنت على حق، فليس هناك سوى الجبال، التي يكثر فيها التزلج، هل مارست التزلج من قبل؟
- منذ سنين، أما الآن فلا، لا أريد أن أقضي باقي عمري في السرير أو مكسور، ولكن هل يمارس الناس الصيد في هذه الجبال؟
- بل يمارسونه، وخصوصًا سمك الفرخ وهو على مدار السنة، أما سمك السالمون فله موسم محدد يبدأ في أول سبتمبر.

وابتسم ابتسامة باهتة، ومرت فترة صمت، قال القبطان بعدها:

- أحب أن أقضي يومين أو أكثر في صيد الســالمون، لكن سنكون مشغولين في هذا الوقت.

الوقت يمر، والظلام ســيحل فاضطر (جون أوســبورن) أن يستأذن ويجمع أوراقه، صافح القبطــان وغادر الغرفة، قابل (مويرا) في الصالة فسألته:

- كيف يبدو في نظرك؟
- في حالةٍ جيدة، وإن كان هناك شيء غير طبيعي.

فقطبت جبينها؛ ليس بسبب عصا البهلوان؟ فسألته:

- ولِمَ هذا؟
- إنه يريد يومين إجازة لصيد الســالمون قبل أن يعود، ولن يكون هذا قبل الموسم الذي يفتح في بداية سبتمبر.

فلاذت بالصمت قليلًا ثم قالت:

- ومــاذا في هذا؟ إنه على أي حال، يحترم القانون، أكثر مما تفعل أنت بهذه السيارة المقززة، من أين تأتي لها بالبنزين؟
- إنها لا تعمل بالبنزين، بل بمشتقٍّ آخر.

وركب السيارة وشق طريقه تاركًا خلفه أخاديد من أثر الإطارات.

بعد ذلك بأســبوعين، في نادي باستورال، دخل السيد ألان سايكس غرفة التدخين في الساعة الثانية عشرة والثلث لتناول مشروب، فالغداء لا يقدم إلا الساعة الواحدة، لذلك كان هو أول من يدخل الغرفة، صب لنفســه كأس جن، ووقف يفكر في مشكلته، السيد (سايكس) هو مدير

قسم إدارة الدولة لمصايد السمك والألعاب، الرجل اعتاد إدارة أعماله معتمـــدًا على قياس الأعمـــاق بالمقياس، بغض النظر عن المكاســـب السياســـية، الظروف الحالية أثرت على عمله الروتيني، وصار مهمومًا، دخل الســـيد (دوجلاس) الغرفة، فرآه السيد (ســـايكس) يمشي متعبًا ووجهه الأحمر ازداد احمرارًا، فناداه:

- صباح الخير يا سيد (دوجلاس).. تفضل معي كأسًا.
- أوه، شكرًا، شكرًا، سأتناول شيري معك.

صب له مشروبًا بيدٍ ترتعش، وقال:

- أعتقد أن جمعية شـــاربي الخمر مجانين، لدينا أكثر من أربعمائة زجاجة من الشيري، في المخازن، لقولهم أن الأعضاء لا يشترونها لأنها باهظة الثمن، فقلت لهـــم: «ينبغي أن تتبرعوا بها طالما لا تســـتطيعون بيعها، ولكن لا تتركوها هكذا.»

والآن أصبح سعرها كالأسترالي، دعني أصب لك كأسًا يا ألان، فهي في حالةٍ جيدة.

- سأتناول فيما بعد، قل لي، أسمع أن لك قرابة مع (ديفيدسون)

فهز الرجل العجوز رأسه..

- قرابة أم نسب؟! أعتقد نسب، فأمه متزوجة من ...... نسيت، أنا لا أتذكر مثل هذه الأشياء.
- هل تعرف ابنته (مويرا)؟

• فتاة لطيفة، ولكنها تشرب خمرًا كثيرًا، أو براندي، كما أخبروني، وهذا يختلف.

• إنها تسبب لي مشكلة.

• ماذا؟

• قابلت الوزير، فأرسل لي مذكرة لتبكير موعد موسم صيد السالمون، وإلا لن يصطاد أحد السالمون بعد ذلك، يرى الوزير أنها فكرة جيدة، أظنه يتطلع إلى الانتخابات القادمة.

• تبكير الموعد، تقصد قبل أول سبتمبر.

• نعم، هذا هو الاقتراح.

• يا له من اقتراحٍ سيئ! إذا جاز لي قول ذلك، لن يكون السمك قد وضع البطارخ بعد، وما الموعد المقترح؟

• عشرة أغسطس، وهذه البنت قريبتك، هي من وراء هذا، فلا أصدق أنها تدخل دماغه لولاها.

• اقتراح خطير، غير مسؤول، ولا أدري إلى أين يسير العالم.

جاء عضو بعد عضو واتسعت دائرة النقاش، وجد السيد (سايكس) أن الرأي العام مع تغيير الموعد، فقال أحدهم:

• الناس سيصطادون لأن الجو سيكون صالحًا للصيد، ولن تستطيع أن تفعل شيئًا، فالوقت ليس في صالحك، وعلى أي حال، هذه السنة فقط.

قال جراح عيون بارز:

- أرى أنها فكرة جيدة، فكلما اصطدنا وكان السمك في حالةٍ سيئة، أعدناه مرة أخرى، فلن نتحمل عبئه، ورغم ذلك سأصطاد، لأنني أفضل أن أنتهي وفي يدي سنارة، في يومٍ مشمس.
- مثل الأمريكي الذي فقدوه من الغواصة.
- نعم مثله، أرى هذا الرجل على حق.

بعد أن عرف الآراء، ذهب السيد (سايكس) إلى مكتبه في حالةٍ ذهنية أفضل، واتصل بالوزير، وأعلن عبر الراديو عن تقديم موسم الصيد.

لما سمع (دوايت) ذلك في عنبر الطعام، تعجب، ولم يربط ذلك بحديثه مع العالم، واتجه ليأخذ سنارة (جونير) ليجربها.

مرت الأسابيع، وكانت الأمور كما هي، لم تنقطع الكهرباء أو أصناف الأطعمة، غير أن الوقود أصبح من الصعب الحصول عليه، بل وما زالت الاحتفالات الصاخبة تقام، والسكارى في الشوارع، ومع تباشير الربيع بدأت السيارات تظهر في الشوارع الخالية، ولم يكن من الممكن معرفة من أين جاءت أو كيف حصلت على الوقود، فبالتقصي يتضح أن كل حالة خاصة، لقد صارت أستراليا كالإسفنج إذا ضغطت عليه الظروف، يقطر قطرات من البنزين، ومع الاقتراب من أغسطس ازدادت القطرات.

أخذ (بيتر هولمز) في أحد الأيام (جركن) وذهب إلى (جون أوسبورن).. في هذا المساء كان (بيتر) قد شغل سيارته لأول مرة منذ سنتين، لدرجة أن العادم كان في منتهى السواد، لكنها تم تشغيلها بعد

ذلك بشــكلٍ طبيعي.. جلــس وبجواره (ماري) ســعيدة وعلى ركبتها (جينفر) وقالت:

- كأننا نحصل على ســيارة لأول مرة، يا (بيتــر).. إنها متعة، هل تستطيع الحصول على المزيد.
- لقــد وفرت هذا البنزين، ومدفون لدينا في الحديقة، لم أخبر أي فردٍ بهذا.
- ولا حتى (مويرا)؟
- لا، هذه آخر فرد، الإطارات هي المشــكلة الآن، ولا أدري ماذا أفعل لها!

في اليوم التالي، ذهب بهــا إلى ويليامزتاون، للميناء، وركنها بجوار رصيــف الميناء، ثم عاد بها آخــر النهار، كان ذهابه إلــى الميناء ذهابًا صوريًّا، فعمليات صيانة اسكوربيون تتم في بطء، وأصبح ذهابه ليومين في الأســبوع كافيًا لأداء الواجب، وهو ما يناسب سيارته، كان (دوايت تاورز) موجــودًا في معظم الأيام صباحًا، فهــو أيضًا أصبح يتنقل، لقد أرســل له العضو الأول للبحرية ذات صباح، وأخبــره بوجهٍ يخلو من أي تعبير، أن القائد الأعلى للبحرية الأمريكية يجب أن تكون له ســيارة تحت تصرفــه، فوجد (تاورز) أمامه ســيارة شــيفرولية خضراء، وبها رجل بحرية كسائق، اســتخدمها بشكلٍ أساسي في الذهاب إلى النادي وهاركاواي، كانت الأيام الأخيرة من يوليو سارة لمعظم الناس، فالرياح ازدادت والأمطار وانخفضت الحرارة، وبالرغم من لدينا ذلك فالرجال

والنســـاء تحدوا القيود التي عكرت صفو حياتهم، فمارسوا التزلج فوق قمم الجبال في أيام الأســـبوع وعطلة الأسبوع على السواء، أقام (بيتر) و(ماري) مشـــتل النبات الصغير في الحديقة، وأنشـــآ ســـياجًا حولها، وزرعا عريشة من زهر الآلام لتحيطه، فقالت (ماري) برضًا:

- ستصبح جميلة.
- ستصبح أجمل حديقة في حجمها في فالموث.

عمل (جون أوســـبورن) على ســـيارته بمســـاعدة فريـــق صغير من المتحمســـين في منطقة (إســـطبلات) المدينة.. كان السباق الأسترالي الكبيـــر في ذلك الوقت الأول للســـيارات في نصف الكـــرة الجنوبي، وتقرر تقديم الســـباق من نوفمبر إلى 17 أغسطس، كان السباق يقام في ميلبورن، فـــي ألبرت بارك، التي تضاهي تقريبًا نترال بارك في نيويورك، أو هايـــد بارك في لندن، وعندما كان هناك عجـــز في التنظيم في ألبرت بارك، وعم الخوف من حدوث تصادمات وخروج عن المســـار، لهذا تعذر إقامة الســـباق في ألبـــرت بارك، وتقرر قيامه في مســـار تورادين، وبهذا الشـــكل صار السباق سباق قائدي ســـيارات فقط، ومن الصعب على المتفرجين أن يبتعدوا أربعين ميلًا بعيدًا عن المدينة كي يشاهدوه، وبالرغم من ذلك هناك عدد هائل من المشـــاركين فـــي المباراة، وكان من الصعب اشتراك الســـيارات كلها معًا، فقسمت إلى مجموعات تتم بالانتخـــاب، وحضر عدد قليل من الجمهور، مـــن بينهم (تاورز) الذي جاء بالسيارة الرسمية ومعه (مويرا ديفيدسون) و(بيتر) و(ماري).

منـــذ البداية اتضح أن الســـباق غير عادي، وبـــدأ بصيحة تنم عن أن السائقين لن يظهروا أي رحمة تجاه سياراتهم، ولا منافيسهم، ولا حتى أنفسهم، وفي أول جولةٍ من الســـباق عادت كل السيارات إلى أمكانها الطبيعية، أما بعد ذلك بدأت المتاعب، فقد انحرف أحد المتسابقين عن المســـار واصطدم به آخر، فتهشمت السيارتان وأصيب السائقان إصابة خطيرة، وهكذا استمرت الحوادث حتى وصلنا إلى الجولات الأخيرة، وبـــدأت تمطر مطـــرًا خفيفًا، ابتعد (تـــاورز) قليلًا عـــن الميدان ومعه (مويرا).. فطلب منها أن تجلس في السيارة تجنبًا للمطر ولكنها فضلت البقاء، حيث أبدت رأيها أنه لا يمكن أن يســـتمر السباق مع مصرع ثلاثة وإصابة ســـبعة، وهذا الجو المتقلب، وتحت زخات المطر قال (تاورز) أخيرًا: «إنه من الصعب الاستمرار مع عدم وجود جمهور.»

ثم نظر حوله، وأضاف: «لا يزيد عدد الجمهور عن خمسمائة، رغم أنهم لم يأخذوا أي رســـوم عند الدخول، فهم أقاموا الســـباق نوعًا من الترفيه.»

قالت:

- لا أظن أنهم سيستمرون.
- اذهبي إلى (جون أوسبورن) واجعليه يترك السباق ويذهب إلى منزله.
- تعال نحتسي في السيارة بعض البراندي.
- لا، أريد أن أشهد السباق متنبهًا.

حدث في الجولتين التاليتين تسع حوادث؛ منها حالة وفاة، والباقي إصابات.

بدأ (جون أوسبورن) يسخن سيارته إذ أن موعده اقترب، بعد أن ارتدى (الخوذة) والنظارة بشكلٍ جيد، وربط الحزام، وقال سرًّا: «ها هنا أموت أفضل من الموت بالقيء والمرض في غضون شهر.»

ابتسم لمعاونيه، وانطلق مسرعًا، عازمًا على الحصول على مركز متقدم في المجموعة، من أحد عشر متسابقًا، فشل ثمانية في إكمال السباق وصرع ثلاثة، والتف (جون) بسيارته إلى الأحراش، فأسرع طاقمه المعاون وبعض أصدقائه نحوه يهنئونه، فبالكاد سمعهم، ويده ترتعش من الصدمة، وبرغم ذلك استطاع أن يكمل السباق، وأخيرًا صار من الفائزين بالسباق نظرًا لكثرة الحوادث التي أودت ببعض المتسابقين، وتحطم عدد من سيارات السباق، وفي نهاية المطاف عادوا إلى نيلبورن في الظلام وتحت المطر.

على الشاطئ

8

تفتــح في حديقة (بيتر) و(ماري) زهر النرجس في أول أغســطس، في اليوم الذي أعلنت فيه حالات مرض الإشــعاع في آديليد وسيدني، لم يزعجها الخبر بشــكلٍ خاص، فكل الأخبار سيئة، مثلها مثل مطالب رفع الأجــور والإضرابات والحرب، والرجل الحكيم لا يلقي لها بالًا، فالمهم هو أن اليوم مشــرق، وأن زهور النرجس تفتحت، ولم يزعجها شــيء في هذا الجو الرائع ســوى أن (جينيفر) تنبت أسنانها، مما جعل حرارتها مرتفعة وجعلها ســريعة التوتــر، وبالرغم من أن الكتاب الذي معها حول السنة الأولى في عمر الطفل يخبرها أن هذه الأعراض عادية إلا أنها قلقة.. قالت:

- إن الذيــن يكتبون هذه الكتب لا يعرفون كل شــيء، فالأطفال ليسوا ســواء، ولا ينبغي أن تبكي بهذا الشــكل، هل تعتقد أنه يجب أن نذهب إلى الدكتور هاوران؟

فقال (بيتر):

- لا أعتقد، فهي تمضغ بسكويت طوال الليل.
- لكن حرارتها مرتفعة.

ورفعت الطفلة من السرير ثم ربتت على ظهرها بين كتفيها، فتوقفت الطفلة عن البكاء، وعندما استشعر (بيتر) الصمت، قال:

- أرى أنها بخير، وفقط تحتاج إلى صحبة.

لكنه شعر أنه لا يحتمل صراخ الطفلة في الليل، وذهاب ومجيء (ماري) من وإلى غرفتها، فقال:

- انظري يا عزيزتي، أنا آسف، لدي موعد مع العضو الثالث بالبحرية الساعة الحادية عشرة.

- والدكتور؟ ألا ترى أنه يجب أن يفحصها؟

- لا أظن أنه ضروري، فالكتاب يقول أنها ستظل هكذا لمدة يومين، ولم يمضِ اليومان بعد.

- ربما شيء آخر غير الأسنان، ربما سرطان، فهي لا تعرف أن تقول لنا بماذا تشعر...

- دعيها حتى عودتي في الساعة الرابعة، وعلى الأكثر الخامسة، ونرى حالتها حينئذ.

فقالت على مضض:

- حسنًا.

أخذ (جركن) بنزين، ووضعه في السيارة ثم انطلق بها خارج المدينة، مسرورًا لخروجه منها، في الحقيقة لم يكن لديه موعد في البحرية، لكن لا بأس من إلقاء نظرة، فاسكوربيون خرجت من الحوض، والآن بجوار حاملة الطائرات في انتظار أوامر قد لا تأتي، وبجانب ذلك من أجل

ملء تانك السيارة و(الجراكن).. لم يجد أحدًا في الإدارة البحرية سوى كاتبة من البحريات متزمتة، وترتدي نظارة وعلى وعي، أخبرت أنها في انتظار الكوماندو ماسون، فأخبر (بيتر) أنه سيأتي مرة أخرى، ونزل إلى سيارته واتجه إلى ويليامزتاون، ركن السيارة بجوار حاملة الطائرات وذهب إلى الممشى الرئيسي، متلقيًا التحية من الضابط المكلف في ذلك اليوم، وسأله:

- هل القبطان (تاورز) موجود.
- في اسكوربيون، يا افندم.
- أريد بعض الوقود.
- حسنًا يا افندم، اترك (الجراكن) هنا، ويمكنك أن تملأ (التانك).

تركها وذهب إلى الغواصة عبر المعبر الخشبي، قابله القبطان على السطح وحياه رسميًّا.

- صباح الخير يا افندم، لقد جئت لأطمئن على سير العمل، ولآخذ بعض الوقود.
- خذ ما تريد، هل من أخبار؟
- لا، لقد جئت توًّا من الإدارة البحرية، فلم يكن هناك أحد سوى إحدى البحريات.
- حظي أفضل من حظك، لقد قابلت أمس ضابطًا.
- هل سمعت عن آدليدا وسيدني؟

- نعم، لقد كانت شـــهورًا، ثم أســـابيع، والآن مجرد أيام، كما من المتوقع؟
- لا أدري، سأتصل بـــ (جون أوسبورن) وأستفسر منه.
- لن تجده في مكتبه، أكيد مع السيارة، لقد كان سباقًا موفقًا.
- هل ستذهب إلى السباق القادم، إنه الدولي ذاته، وهو آخر واحد كما أعلم، وسيكون حقًّا واحدًا متميزًا.
- لا أعلـــم.. (مويرا) لـــم يعجبها آخر واحد، النســـاء ينظرن إلى الأشياء بشكلٍ مختلف، هل ستذهب إلى ميلبورن الآن؟
- نعم، إن لم تكن تريدني لشيءٍ ما.
- لا، لا أريدك، فليس هناك ما يدعو، بل سأذهب معك إلى المدينة، فالسيارة لم تحضر لي، انتظرني عشر دقائق حتى أغير الزي.

بعد أربعين دقيقـــة كانا في المرأب يتحدثان مع (جون أوســـبورن) حيث كانت الســـيارة معلقة في سلســـلة مدلاة من الســـقف، و(جون) يرتدي (أفرول) ومعه (ميكانيكـــي) يعملان بها، كانت في ذلك الوقت نظيفة للغاية حتى أن يد (جون) لم تكن تقريبًا متسخة، سأله القبطان:

- متى سيكون السباق الدولي؟
- يوم 17 وكنت أرى أنه يجب أن يكون قبل ذلك بأسبوع.
- لماذا؟ هل هو أقرب؟
- نعم، فقد ظهرت حالة في كانبيرا.

- لم أسمع بها، الراديو قال عن آدليدا وسيدني.
- الراديــو يذيع الأخبار بعد ثلاثة أيام، فهم لا يريدون أن يســببوا ذعرًا ويأسًا قبل أن يحل بالفعل، هناك حالة محتملة في آلبيري اليوم.
- آلبيري! هذه على بعد مائتي ميل شمالًا.
- أعرف، لذلك موعد الســبت بعد أســبوعين سيكون بعد فوات الأوان.

فسأل (بيتر):

- متى في اعتقادك سيصلنا يا (جون)؟
- بل وصل بالفعل، فأنت وصلك، وأنا، وهذا المفتاح، كلنا وصلنا شــيء من الغبار الذري، حتى الهواء الذي نتنفسه، والماء الذي نشربه، والخس الذي في (السلاط) وكل شيء، بدرجاتٍ متفاوتة حسب حالة كل شــخص، فالذين عرضة له أكثر يمكن أن تظهر عليهم الأعراض في غضون أســبوعين وربما أقل، لذلك من الخطأ تحديد السباق في ذلك الموعد، على أي حال ســيعقد اليوم بعد الظهر اجتماع للجنة الســباق وسأتناقش معهم بهذا الشأن، لا يمكن أن يكون السباق منصفًا ونصف المتســابقين مصابين بالإسهال والقيء، ومعنى ذلك أن من لديه مقاومة أكبر للإشعاع سيفوز بالسباق.

فقال القبطان (تاورز):

- أعتقد ذلك.

وهم بالانصراف لموعد مع (مويرا) على الغداء، فاقترح (جون) بالغداء في نادي باستورال، وخلع (الأفرول) ومسح يديه بخرقة نظيفة، وتوجه الثلاثة إلى النادي، وفي الطريق سأل (بيتر):

- وكيف حال عمك؟

- إنه يسرف في شرب البورت، هو وأصدقاؤه، وبلا شك فليس على ما يرام كما يجب، ربما نراه في النادي، فهو يأتي دائمًا هذه الأيام، لأنه يأتي بسيارته.

- ومن يأتي بالبنزين؟

- لا أدري، لكن ربما من الجيش مثله مثل أي شخص، فهو المكان الوحيد الذي لديه وقود، أعتقد أنه سيصمد أطول مني، فالبورت تمنحه بقاءً أطول منا جميعًا.

- البورت؟

- خمر البورت تزيد مقاومة الإشعاع، ألا تعرف؟

- هل تعني أن الخمر تطيل؟

- لعدة أيام.

ركنوا السيارة، ودخلوا النادي، وجدوا السيد (دوجلاس فرود) جالسًا في غرفة الحديقة، لأن الرياح كانت باردة، وعلى الطاولة التي بجواره توجد زجاجة شيري، وكان يتحدث مع صديقين له، بذل جهدًا ليقف على قدميه عندما رآهم، ولكن جلس مرة أخرى بناءً على طلب (جون) وقال:

• لم أعد كما كنت من قبل، اسحبوا كراسي واجلسوا لتتناولوا معنا بعض الشيري، لدينا الآن حوالي خمسين زجاجة، اضغط هذا الجرس، ففعل (جون) وسحبوا كراسي وجلسوا، ثم قال (جون):

• كيف حالك الآن يا افندم؟

• بين بين، هذا الطبيـــب كان على حق، فقد أخبرني أنني لو عدت إلى عاداتي القديمة، فلن أعيش طويـــلًا، هاهاها، وهو أيضًا لن يعيش، وأنت أيضًا، سمعت أنك فزت في السباق، الأول.

• لا، الثاني، ولكن سأدخل السباق الأكبر، الجائزة الكبرى.

• حسنًا، لا تذهب وتقتل نفسك، قل لي، سمعت أنهم وجدوا حالة في كاب تاون، هل هذا صحيح؟

فأومأ ابن أخيه.

• هذا صحيح، لقد اكتشـــفوها منذ ثلاثة أيام قبل سماعنا بها، فما زلنا نرتبط بالراديو.

• إذًا سيصابون بها قبلنا.

• نعم، هذا صحيح.

• هذا يعني أن أفريقيا ستنتهي كلها قبل أن يصلنا؟

فابتسم (جون) وقال:

• إنها قريبة جدًّا، يعني فترة أسبوع، وكل شيءٍ يتوقف، الخدمات، والمؤن، وكل شيء، لكن في الحقيقة لا ندري، ماذا سيحدث على وجه الدقة في النهاية!

فقال الجنرال بصرامة:

- حســـنًا، سنعرف حالًا ماذا سيحدث، لقد قضيت أيامًا طريفة في أفريقيـــا، قبل الحرب العالمية الأولى، لكنني أكـــره العنصرية، هل هذا يعني أننا سنكون آخر مكان؟

- ليس بالضبط، سنكون آخر مدينة رئيسية، لكن هناك بعض المدن ستظل بعدنا، وبعدنا أيضًا نيوزلاند، وآخر مكان سيكون أنديانا في تيرا فوليوجو.

- والأنتاركاتيك؟

- ليس بها بشر إلى حد علمنا، لكن لا تظن أنه لن توجد حياة بعدنا، فستكون هناك حياة.

فنظروا إليه باستغراب، فسأل (بيتر):

- كيف؟ أي حياة؟

فابتسم ابتسامة عريضة وقال:

- الأرانب، فالأرانب أقوى مناعة ومقاومة.

فاعتدل الجنرال في كرسيه وقد امتلأ وجهه بالغضب..

- هل تقصد أن الأرانب ستعيش بعدنا؟

- نعم، بأكثر من سنة، ستبقى الأرانب لتتغذى على ما سنتركه، إنها تمتلك مناعة قوتها ضعف قوتنا.

- هل تقول لي أن الأرانب اللعينة ستتجاوزنا؟ سيعيشون ويقفزون ونحن أموات؟
- والكلاب أيضًا، ستعيش بعدنا، والفئران، لكن الأرانب أطولهم عمرًا، حسب ما علمنا، وإن كان في النهاية كل شيءٍ سينتهي بنهاية العام القادم.

فغاص الجنرال في الكرسي مرة أخرى وقال:

- الأرانـــب! بعد كل الذي فعلناه، تنتصر هـــي في النهايةَ، اضغط الجرس الذي بجوارك يا (بيتر).. سأطلب براندي قبل الغداء، الأفضل براندي وصودا بعد هذا.

في المطعم، اختار (تاورز) و(مويرا) طاولة في ركن، وطلب الغداء، بادرت (مويرا) قائلة:

- ما الذي يضايقك يا (دوايت)؟
- لا شيء يذكر.
- أخبرني به.
- وضعوا ســفينة أخرى تحت قيادتي، سوردفيش، اتصلت بها عن طريق الراديو كي تأتي هنا، لكن لم يكن من الممكن.
- وماذا فعلت؟
- طلبت منها أن تظل مكانها.

وراح يقلب الشوكة التي في يده، مردفًا:

- لســت أدري إذا كنت على صــوابٍ أم خطأ، وإن كنت أعتقد أن الإدارة تريد مني ذلك، فهم لا يريدون ســفينة بها معدات ثمينة في بلدٍ غريب ولو كان خاليًا من السكان.

نظر إليها وأردف:

- هكــذا القوات البحريــة الأمريكية تقلصت، من ســفينتين إلى واحدة.
- وهل ستفعل نفس الشيء مع سكوربيون؟
- أعتقد ذلك، وددت أن أرجعها إلى الولايات المتحدة.

جاء الغداء، وبعد أن غادر الجرسون قالت:

- لدي فكرة.
- قولي يا حلوتي.
- ســيكرون موســم الصيد ليكون بعد أســبوع، فمــا رأيك لو اصطحبتني في نزهة.
- ســيكون في التوقيت نفســه الذي به ســباق (جون أوسبورن) للجائزة الكبرى.
- وهل تفضل أن تشاهده؟
- لا، وأنت؟
- لا، لا أريد أن أرى أناسًــا يقتلون، فســوف نشاهد ما يكفي بعد أسبوع أو اثنين.

- وأنـــا أيضًـــا، لا أريد أن أرى مزيـــدًا من القتلـــى، وربما (جون أوسبورن) يلقى حتفه في هذا السباق، وأفضل أن نذهب إلى الصيد كي أجرب سنارة (جونيور).
- وعندي أيضًا سنارة ذباب طويلة سأحضرها معي.
- هل لديك طعم كالدود مثلًا؟
- لست متأكدة، سأرى في البيت.
- سنذهب بالسيارة، كم المسافة؟
- حوالي خمسمائة ميل، ولكن لا تقلق، فلدينا عدد من (الجراكن) مليئة بالبنزين، دسسناها في مخزن القش، ولقد طلبت من أبي الأتوموبيل، لقد جربه.
- إنك تفكرين في كل شيء، وأين سنقيم؟
- في فندق، سأتصل وأحجز غرفتين.
- حسنًا، سأطلب سيارتي دون السائق، وأحاول أن أقودها إذا كان مسموحًا لي.
- أعتقد أنه يمكنك أن تأخذها.
- لا أريد أن أفعل ذلك.
- لكن لماذا يا (دوايت)؟ يمكننا أن نأخذ أتومبيل أبي، وإن كان من رأيي أن السيارة لو كانت تحت طلبك، فيمكنك أن تأخذها في أي وقت، وعلى أي حال كلنا سنموت في غضون أسبوعين، فلن يستخدمها أحد.

• أعرف....

ابتسم ثم قال:

• لكن لــو كان هناك لوائح، عليَّ أن أطيعهــا لآخر لحظة، فلو أنه غير مســموح لضابط أن يأخذ ســيارة مخصصة له في نزهةٍ خاصة مع فتاة، فلن أستخدمها، هكذا تدربت، فمثلًا لن يكون هناك كحولات في سكوربيون للنهاية، دعيني أطلب لك براندي.

• أرى أنه ســيكون الأتومبيل، فأنت رجل صعب، كم أنا مسرورة لأنني لست بحرية تحت قيادتك، لا شكرًا، لا أريد براندي، فأول اختبارٍ لي اليوم بعد الظهر.

• اختبار؟

فأومأت..

• لدي اختبار في كتابة خمســين كلمة في الدقيقة بحد أقصى ثلاثة أخطاء في الاختزال، ومثلها في الكتابة، إنه أمر صعب.

• ستكونين كاتبة اختزالٍ ممتازة.

رفعت رأسها وقالت:

• ليــس قبل أن تكتب مائة وعشــرين كلمة في الدقيقة حتى تصبح كاتبًــا جيدًا، كم أرغب أن آتي وأراك بأمريــكا في يومٍ ما، أريد أن أقابل (شارون) لو أرادت أن تراني.

• سوف ترحب بك، فمن المؤكد أنها ممنونة لك حاليًّا.

فابتسمت ابتسامة باهتة وقالت:

- لا أدري، أعـرف أن النسـاء تغرم بالرجـال.... وهل هناك في ميستيك مدرسة للاختزال والكتابة كي أكمل الدورة؟

فأخذ يفكر للحظة، وقال:

- ليس في ميسـتيك نفسـها، لكن هناك العديد من المدارس في نيولندن، على بعد خمسة عشر ميلًا من ميستيك.
- سـآتي فقط لفترة بعد الظهر، أريـد أن أرى (هيلين) وهي تلعب بعصا البهلوان، إنما أفضل بعدها أن أعود إلى هنا.
- سـوف تحبط (شـارون) لو فعلت ذلك، إنهـا تريدك أن تقيمي هناك.
- هذا ما تعتقده أنت، إنما أنا أريد فترة كي أقتنع بهذه النقطة.
- أظن أن الأمور ستكون مختلفة في ذلك الوقت.

فأومأت برأسها ببطءٍ ونظرت في الساعة التي بمعصمها، وقالت:

- سنرى، المهم يجب أن أنصرف الآن وإلا تأخرت على الاختبار، سأخبر أبي أننا سنحتاج الأتومبيل، وثلاثين جالون بنزين.
- سأرى سـيارتي أولًا، لا أحب أن آخذ سيارة أبيك لهذه المسافة وهذا الوقود.
- هو لا يسـتخدمها الآن، فلديه أعمال في المزرعة يود أن يشرف عليها.
- ماذا يفعل هذه الأيام؟

- سور جديد حول المزرعة.
- أخبريه أنني على استعدادٍ للمساعدة لو احتاجني.
- سأبلغه، وسأتصل بك الليلة، في الساعة الثامنة.

فرافقها حتى الباب ثم قال لها:

- حسنًا، أتمنى لك حظًّا سعيدًا في الامتحان.

ليس لديه أي ارتباطات هذا المساء، فوقف في الشارع خارج المطعم بعدما انصرفت تمامًا، ليس لديه ما يفعله، والفراغ شيء ممل له، فهو لم يعتده، وليس لديه ما يفعله في ويليامزتاون، ولقد أعطى الطاقم كله إجازة حيث النصف يغير مع النصف الآخر، ومن النصف الذي معه يبقى فقط عشرة ليقوموا بالأعمال المطلوبة ويعطي البقية إجازة يومية، فكر في أن يذهب إلى نادي باستورال لكنه رفض الفكرة، فليس هناك ما يشغله، قرر أن يذهب إلى حي المحركات ويذهب إلى (جون أوسبورن) حيث يعمل في سيارته، فربما يروق له هذا العمل، ثم عليه أن يرجع ويليامزتاون ليتلقى مكالمة (مويرا) في الساعة الثامنة، إنه يرغب في الذهاب ليساعد أباها في اليوم التالي، إنه يريد أن ينشغل في أي عمل، في طريقه مر على محلات لبيع الأدوات الرياضية وسأل عن الطعم لقصبة الصيد، لكنه لم يجد، استمر في سيره إلى المدينة، حي المحركات، فلم تزل هناك سيارات في العرض، وما زالت (الجزازات).. لكن الفاترينات قذرة والمتاجر مغلقة، والمعدات التي خلف الزجاج يكسوها الغبار والقاذورات، فالشوارع مملوءة

بالمخلفات، والخضـــروات العفنة، يبدو أن عمـــال النظافة لم يعملوا منذ مدة، الترام ما زال يعمل، لكن الطرقات نتنة وعلى وشـــك أن تبعث منها الرائحة الكريهة، إنها ذكرت الأمريكي بمدينةٍ شرقية نامية، أمطرت قليلًا، والسماء ملبدة بالغيوم، والبالوعات في بعض المناطق مسدودة، وامتلأت الشـــوارع بالبرك، وصـــل إلى (الإســـطبلات) ووجد مرأب (جون) مفتوحًا ومعه اثنـــان آخران، وكان معهم (بيتـــر هولمز) خالعًا معطفه الرسمي، يغســـلون السيارة، بالكيروســـين، الذي هو أغلى من الزئبق في ذلك الوقت، النشاط المبهج جعل قلبه أكثر دفئًا، فقال العالم:

- توقعنا أن نراك، هل جئت لمهمة؟
- نعم، المدينة آلمتني، فهل لديك مهمة أقوم بها؟
- نعم، ساعد بيل آدمز، في تغيير الإطارات.

وأشار إلى الإطارات، فخلع (دوايت) معطفه وعلق:

- لديك الكثير من الإطارات.

ورفع (دوايت) كميه، ثم نظر إلى (بيتر) وقال:

- وأنت أيضًا أحضرك لتعمل معه؟
- نعم، فـ (جينيفر) تعاني من شـــق الأسنان وتبكي طوال يومين، فأخبرت (ماري) أنني ســـأذهب إلى الســـفينة وأعود في الخامسة، قد اشتريت جرافة للحديقة، وزجاجة دواء للمغص.

وبالفعل تركهم بعد نصف الساعة، واستقل سيارته الصغيرة وتوجه نحو فالموث، ووصل إلى منزله في الوقت المناسب، وجد (ماري) في

الصالة والبيت كان هادئًا، فسـأل عن (جينيفر).. وضعت إصبعها على شفتيها وهمست:

- نائمة منذ العشاء، ولم تستيقظ.

فذهب إلى غرفة النوم، وهي تسير خلفه ثم همست مرة ثانية:

- لا توقظها.
- أبدًا، لكن لا أظنها مصابة بسرطان، فهي بخير.

وعادا إلى الصالة، فقدم لها الجرافة ودواء المغص، فقالت له:

- وجدت شـيئًا للمغص، وإن كانت لم تستخدمه، والجرافة رائعة لتشـذيب الأوراق من الشـجر، حاولت أن أقلمها بيـدي لكن ظهري آلمني.

تناولا مشروبًا خفيفًا، وقالت له:

- (بيتـر).. أريد جزازة بموتـور، طالما لدينا وقـود، فهي مهمة للتشذيب.
- إنها باهظة الثمن.
- لكنها مهمة، لو أنك بعيد، أو غائب في البحر مرة ثانية أستعملها، ولو تعمل بالكهرباء أفضل، أسـتطيع أن أسـتعملها بسهولة، فدوريس هاينس لديها واحدة.
- لكنها منذ أن اشـترتها انقطع السلك ثلاث مرات، وفي كل مرة أوشكت أن تصعق بالكهرباء.

- لــو كانت حريصــة ما حدث ذلك، أعتقد أنهــا رائعة لو حصلنا عليها.

عاشــت في عالم الأحلام اللاواقعي، وإلا ما شعرت بالواقع، وهو لا يعــرف ذلــك، لكنه أحبها كما هــي، ربما لا تســتخدمها أبدًا، لكن ستسعدها، فرد:

- ســأرى في المرة القادمة، أعرف أن هنــاك كثيرًا من الجزازات، ولكن لســت متأكدًا من الكهربائية، وإن كنت أرى أن الناس اشتروا كل الجزازات الكهربية عندما شح الوقود.
- أي واحدةٍ صغيرة يا (بيتر).. المهم تعلمني طريقة استخدامها.
- سهلة.
- وشــيء آخر نحتاجه يا (بيتر).. مقعــد حديقة، كي نجلس عليه عندما يكون الجو مناسبًا، سنستخدمه طوال الصيف، وربما السنة كلها.
- فكرة جيدة.

وربما لا تستخدم نهائيًا، ولكن دعها تمر، النقل صعب، لكن يضعها على سطح الموريس، وإن كانت ســتخدش الدوكو إذا لم يضع حشوًا مناسبًا.

- سأحضر الجزازة أولًا، ثم سنرى كيف نحضر المقعد.

اصطحبها في اليوم التالي إلى ميلبورن لشراء الجزازة وأخذا معهما (جينيفر) في ســلة على المقعد الخلفي، مرت أسابيع منذ أن كانت في المدينة لآخر مرة، منظرها أفزعها وأحبطها، فقالت:

- (بيتر).. ماذا حدث؟ كل شيءٍ متسخ ورائحته كريهة.
- كما لو أن عمال النظافة توقفوا عن العمل.
- ولكن لمــاذا يفعلون ذلك؟ ينبغي أن يعملــوا، ماذا؟ هل هناك إضراب أم ماذا؟
- كل شيءٍ يهبط، ها أنا لا أعمل.
- هذا أمر مختلف، أنت في البحرية.

فضحك.

- لا، أقصد أنني أذهــب إلى البحر مرات ومرات، ثم آخذ إجازة، إنما عمال النظافة فمختلفون، فهم يعملــون طوال الوقت، وعليهم أن يفعلوا ذلك.

لم يســتطع أن يوضح لها الأمر أكثر من ذلك، فتوجها نحو محلات قطع الغيــار والآلات، الزبائن قليلون، والبائعــون قلة، تركا الطفلة في السيارة ودخلا قســم أدوات الزراعة، وبحثا لفترة عن بائع، وأخيرًا قال لهما: «اذهبا إلى القاعة التالية وانظرا إذا وجدتما ما تريدان.»

فذهبا كما أبلغهما، ووجدا جزازة صغيرة، ونظر (بيتر) إلى الســعر، ثم أخذها إلى البائع وقال له:

- سآخذ هذه.
- حسنًا، جزازة صغيرة.

وأضاف بابتسامةٍ ساخرة:

- تعيش العمر كله.

وحرر (بيتر) شيكًا بالمبلغ المطلوب، وأعطاه البائع إيصالًا معلنًا أنهم سيغلقون المتجر الليلة، فاستاءت (ماري) وقالت لـ (بيتر):

- هيا نذهب من هذه الأماكن الكئيبة، ونتناول عشاءنا في البيت.
- ألا تريدين أن تتناولي الغداء في المدينة؟
- لا، أريد أن أتناوله في البيت.

سارا بعيدًا عن المدينة إلى جانب البحر المضيء الذي يقع فيه منزلهما، ففي منزلها تستعيد توازنها، فهنا الأشياء التي اعتادتها، النظافة والاعتناء بالحديقة، وهنا الأمن والأمان، بعد الغداء وبعد التدخين، وقبل وقت الاستحمام، قالت لـ (بيتر):

- لن أذهب إلى المدينة بعد ذلك يا (بيتر).
- صارت في منتهى القذارة!
- إنها بشعة، كل شيءٍ مغلق، وكل شيءٍ قذر، كأن النهاية قد حلت.
- إنها اقتربت كما تعلمين.

فقالت بعد أن صمتت لفترة:

- نعم أعلم كما تخبرني طوال الوقت.

ثم رفعت عينيها وقالت:

- كم من الوقت تبقى يا (بيتر)؟

- حوالي أســبوعين، لكن الأمر لن يتم بضغطٍ على زر، فالشخص يمرض أولًا، وليس كل الناس في الوقت نفسه، فالمقاومات مختلفة.
- لكن كل شخصٍ سيصاب، أليس كذلك؟ أقصد في النهاية.
- كل شخصٍ سيصاب، في النهاية.
- وما الفرق بين شخصٍ وآخر، أقصد في الإصابة؟
- لا أدري، لكن الجميع سيصاب في غضون ثلاثة أسابيع.
- يعنــي ليس هناك ضمــان بأننا لا نصاب بها معًــا، أنا وأنت، أو (جينفر).
- ليــس هناك معايير إلا المناعة، فقد تمــوت (جينيفر) قبلنا، وقد أموت أنا قبلك.

أمسك بيدها، وقال لها:

- هيا لنستحم.

ثم نظر إلى الجزازة وأضاف:

- سنشذب الحديقة بعد الظهر.
- لكن العشب مبتلًّا، وسيسبب الصدأ.
- سأجففها أمام النار، لا تقلقي، لن أتركها تصدأ.

قضى (تاورز) نهاية الأسبوع كلها في هاراكاواي يساعد (ديفيدسون) في إقامة الســور، العمل البدني يخفف عنه التوتــر، لكن وجد مضيفه رجلًا قلقًا، بعضهم أبلغه بشأن الأرانب، وإن كانت هاراكاواي خالية من

الأرانب إلا أن مناعة الحيوانات ذات الفرو سـبب له قلقًا على الماشية، ولم يجد لقلقـه إجابة، ظل (دوايت) مع (ديفيدسـون) إلى صباح يوم الثلاثاء، وعاد إلى ويليامزتاون، بدأت قيادته في الميناء تتفكك، برغم ما بذله الضابط التنفيذي ورئيس السفينة، فلم يعد اثنان من العطلة، وثالث لقي مصرعه في مشاجرةٍ بالشارع، وإن لم يكن هناك تأكيد لهذا، وهناك إحدى عشرة حالة سكر عن العودة تنتظر المحاكمة، ترك مرتكبي الإثم محبوسـين حتى استفاقوا فجمعهم فوق السطح واصطفهم ثم خاطبهم قائلًا:

- أنتـم أيها الرجـال، لا يمكن أن تحصلوا علـى كل ما تريدون، وليس أمامنا الكثير كي ننجز المهمة، إنكم أعضاء في سفينة سكوربيون، وهي آخر سـفينة أمريكية تعمل، فإما أن تستمروا أعضاءً بها أو تنفصلوا عنها بطريقةٍ غير مشرفة.

توقف قليلًا ثم أكمل:

- إذا جاء أحدكم السـفينة مخمـورًا أو متأخرًا منـذ هذه اللحظة فصاعدًا، سـيتم فصله في اليوم التالي، عندما أقـول فصلًا، فهذا يعني فصلًا غير مشـرف، وسـيتم بسـرعة، سـأنزع عنه الزي الرسمي توًّا، وسـأرميه خارج السـفينة بالشـورت، ولا تعنيني البحرية الأمريكية، اسمعوا هذا وافهموه جيدًا، انصراف.

في اليوم التالي لم تكن لديه سوى حالة واحدة، وألقى بالرجل خارج حوض السفن بقميصٍ وملابس داخلية ليتحمل مسؤولية نفسه، ولم يلق متاعب من هذا النوع بعد ذلك.

غادر الرصيف مبكرًا في صباح يوم الجمعة بسيارته الشيفرولية، يقودها سائقه البحار، وذهب إلى المرأب في (الإسطبلات) من شارع إليزابيث، وجد (جون أوسبورن) يعمل في سيارته كما توقع، كانت السيارة على أهبة الاستعداد، لامعة وصالحة للسباق فورًا، قال (دوايت):

- مررت من هنا كي أعتذر عن عدم رؤيتي لك غدًا في السباق، فلدي موعد آخر في الجبال للصيد.
- (مويرا) أخبرتني، أتمنى لكما صيدًا وفيرًا، ولا أعتقد أن يكون هناك كثيرون باستثناء المتنافسين والأطباء.
- بل اعتقدت أن سيكون، فهذا سباق الجائزة الكبرى.
- ربما يكون هذا آخر أسبوع للناس وهم في كامل صحتهم، ولديهم أعمال أخرى يؤدونها.
- هل سيكون (بيتر هولمز) هناك؟
- لا، لديه أعمال في حديقته، كان من المفترض ألا أذهب.
- لكن ليس لديك حديقة.

فابتسم العالم ساخرًا:

- لكن لدي أم عجوز ومعها كلب، استفاقت توًّا على حقيقة أن الكلب سيعيش بعدها، والآن هي قلقة جدًّا عليه بعدها.

وتوقف قليلًا ثم استأنف:

- يا له من جحيم! سأكون مسرورًا عندما ينتهي كل شيء.

- لم يحن بعد آخر الشهر.
- ستكون النهاية لمعظمنا قبل ذلك التاريخ.

وتمتم ببعض الكلمات ثم أضاف:

- بل قلها سرًّا، غدًا بعد الظهر ستكون نهايتي.
- أتمنى ألا يكون ذلك، آمل أن أراك حائزًا على الجائزة.

فنظر العالم بحبٍّ إلى السيارة:

- إنها سريعة جدًّا، ويمكنها الفوز لو أن بها قائدًا ماهرًا، لكنني نقطة ضعفها.
- سأعقد عليك الأمل.
- حسنًا، أحضر لي معك بعض الصيد.

ترك القبطان المرأب وهو يفكر في نفسه، إذا كان سيرى العالم مرة أخرى أم لا، وركب سيارته ثم قال للسائق: «اتجه إلى مزرعة (ديفيدسون) في هاركاواي، قرب بيرويك، كما أوصلتني ذات مرة من قبل».

جلس في المقعد الخلفي يقلب بأصابعه قصبة الصيد الصغيرة، والسيارة تمر في الضواحي، وهو ينظر إلى الشوارع والبيوت، في ضوء الشتاء، قريبًا جدًّا، خلال شهر لن يكون أحد هنا، إلا القطط والكلاب، التي تم منحها تأجيلًا مسمى، وحالًا ستذهب، سيمر أكثر من صيف وشتاء على هذه الشوارع والبيوت، سيمضي الوقت، وسيمضي الإشعاع، وتصير هذه الشوارع والبيوت صالحة للسكن مرة ثانية، بعد

عشـــرين سنة أو أقل، سيتم محو الجنس البشـــري ويصبح العالم نظيفًا لاســـتقبال سكانٍ أكثر حكمة دون تأخيرٍ لا ضرورة له، حسنًا، ربما يبدو هذا معقولًا.

وصـــل إلى هاركـــواي في الضحى، كانت الســـيارة الفـــورد واقفة وحقيبتها مليئـــة بـــ (جراكن) الوقود، و(مويرا) على أهبة الاســـتعداد، وبعض الحقائب مكدســـة في المقعد الخلفي مع بعض أدوات الصيد، فقالت:

- ظننت أننا سننطلق قبل الغداء، وسنتناول بعض (الساندوتشات) في الطريق، فالنهار قصير جدًّا.
- يناسبني، هل لديك (ساندوتشات)؟
- نعم، وبيرة.
- دائمًا تفكرين في كل شيء.

والتفت إلى المربي قائلًا:

- أشعر بالخجل لأنني آخذ سيارتك بهذا الشكل، يمكنني أن آخذ (الشيفرولية) لو أردت.

فهز (ديفيدسون) رأسه بالنفي قائلًا:

- ذهبنا أمس إلى ميلبورن، واشـــترينا ما نريد، ولا أظننا في حاجةٍ إلى الذهاب مرة أخرى، فالجو قابض للنفس.
- صارت قذرة للغاية.

• نعم، لا، خذ الفورد، وهناك وقود كافٍ، ولا أظن أنني سأحتاجها، فلدي أعمال كثيرة هنا.

نقل (دوايت) أدواته من سـيارته إلى الفورد، وأرسـل السائق إلى الرصيف بالشـيفرولية، وقال وهو يتأمل السيارة في انطلاقها: «لا أظنه سيذهب إلى هناك، بالرغم من أننا مضطرون إلى العمل.»

قالت له وقد ركبا السيارة:

• أنت تقود السيارة.

• لا، لا أعرف الطريق، ربما اصطدمت بأي شيءٍ في الطريق، فمن الأفضل أن تقودي أنتِ.

• مر عامان منذ أن قدت السيارة، ولكن أنت حر.

دخلا السـيارة، وعثرت على الغيار الأول بعد لحظات استكشاف، ثم تحركت من الممر، لقد بعثت القيادة في نفسـها السرور مرة أخرى، أسعدتها جدًّا، لقد أشعرها (بدال) السرعة بحريتها، وخلاصها من قيود الحيـاة اليومية، دخلت في الطرق الفرعية بيـن الجبال، حيث المنازل متناثرة على الجوانب، توقفا بجانب مجرى مائي متموج ليتناولا الغداء، حيث أن السـحب قد انقشعت وصفت السـماء وصار اليوم مشمسًا، التفتت إليه وسألت:

• هل السمك سيعيش أطول مما نعيش؟ مثل الكلاب؟

• لا أدري يا حلوتي.

اســـتقلا الســـيارة وســـارا في طريقٍ متعرج بين الغابات إلى حيث المرتفعات حيث صار الجو بـــاردًا وكئيبًا، ثم نزلا إلى وادٍ بين الجبال، وإلى مفترق قنـــواتٍ مائية، ومن هناك مرا بـــوادٍ آخر وصلا خلاله إلى الفندق قبل الغسق مباشرة.

وجد الأمريكي الفندق عبارة عن بيوتٍ خشـــبية من طابقٍ واحد، في حالةٍ مزرية، متناثرة عشـــوائيًّا، يرجع تاريخها منذ إنشـــاء الولاية، وجدا صاحبة العقار بصعوبة، وجهها يتوهج من الابتهاج، وأرتهما الغرفتين، كانتـــا مهملتين، وغير نظيفتين، ومؤثثتين بأثـــاثٍ رث، وغير مريحتين، وقالت:

- أليس جميلًا أن يعود الناس مرة أخرى بعد انقطاعٍ تام؟ ولم يأت أحد هنا منذ عامين إلا على حصان نقل، كالأيام الســـالفة، هل لديكما منشفة؟ سأحاول أن أدبر لكما واحدة، المكان هنا مزدحم.

وأسرعت وهي في منتهى السرور، نظر إليها الأمريكي وهي تهرول:

- لديها وقت ممتع، هيا ياحلوتي، أطلب لك مشروبًا.

ذهبا إلـــى قاعة المشـــروبات ذات الســـقف الخشـــبي المنخفض والمزدحمة..

- ماذا أطلب لك يا حلوتي؟

- براندي.

فشق طريقه إلى البار وسط الزحام، ورجع في ثوانٍ وفي يديه براندي وويســـكي، نظرا حولهما يبحثان عن كراسٍ، فوجدا طاولة خالية حيث

على الشاطئ

يجلس رجلان يرتديان قمصانًا، ويصنفون قصبة الصيد، فنظرا إلى (مويرا) و(دوايت) لما لحقا بهما، فقال أحدهما:

- سمك للإفطار.
- هل الاستيقاظ مبكرًا؟
- الساعة الثانية صباحًا.

فنظر (دوايت) إلى (مويرا) وسألها:

- هل تستيقظين الساعة الثانية صباحًا.
- لا، أريد أن أنام، اذهب أنت لو أردت.
- ولا أنا، لست من هذا النوع من الصيادين.
- لكن نوع الشراب.
- دعيني آتي لك بمشروبٍ آخر.
- لا، سنرمي العملة لنعرف من سيذهب ويقتحم الزحام ليحضر.
- لا، أنا سأذهب.
- لا، ابق هنا لتتعلم شيئًا عن الصيد، وأنا سأذهب وآتي بهما.

وذهبت إلى البار، ثم عادت بعد جهدٍ بكأسين براندي، وويسكي، فتقدم (دوايت) ليستقبلها ويأخذهما منها، بينما يسير انفك الجاكت، فناولته الكأس وقالت مؤنبة:

- ها انفك زر من الجاكت.
- نعم، في الطريق إلى هنا.

- وهل معك الزر؟
- نعم، وجدته في أرضية السيارة.
- أعطني إياه والجاكت كي أثبته لك.
- ليس مهمًّا.
- بل إنه مهم، لا يمكن أن أرسلك هكذا إلى (شارون).
- إنها لن تعبأ يا حلوتي....
- لا، أنا أهتم، أعطني إياه الليلة وأنا أعطيه لك في الصباح.

ناولها الجاكت على باب غرفتها في الساعة الحادية عشرة بعدما قضيا الليلة في الشراب والتدخين، والحديث مع الآخرين عن الصيد وأماكنه، تناول الجاكت وهي تقول:

- أشكرك لأنك أحضرتني إلى هنا يا (دوايت).. لقد كانت أمسية لطيفة، وأتمنى أن نقضي يومًا لطيفًا غدًا.

فوقف مترددًا..

- هل أنت واثقة من هذا يا حلوتي؟ ألن تشعري بالأذى؟
- لا، أنا أعرف أنك رجل متزوج، تصبح على خير، سأعطيه لك في الصباح.
- تصبحين على خير.

استدار ومضى، أغلقت باب غرفتها ووقفت خلفه للحظة وهي تضم الجاكت إليها.. (دوايت) رجل متزوج، ومتعلق بزوجته وأطفاله، لن

يكون لها، كي ينسى (شارون) وأطفاله، وينتبه لي، يحتاج إلى وقتٍ طويل، ليس أقل من خمس سنوات، ونحن لا نمتلك خمسة أيام، وانسابت دمعة بجانب أنفها فمسحتها، يا لها من شفقة على النفس غبية أم هو البراندي؟

كان الضوء في الغرفة خافتا جدًّا، فلم تستطع أن تثبت الزر في الجاكت، فألقت بملابسها وارتدت المنامة ثم رقدت على السرير، ووضعت الجاكت على الوسادة بجوار رأسها، ثم غرقت في نومٍ عميق.

ذهبا بعد الفطور للصيد في نهر جيمسون المجاور للفندق، الموج عالٍ، وألقت بسنارتها في التيار السريع كرمي الهواة، فلم تفلح في الرمي، بينما (دوايت) استطاع أن يصطاد سمكة، تزن اثنين من الباوند في منتصف فترة الصباح، وساعدته أن يصطاد المزيد، عندما حل الظهر مر بهما رجل صياد ممن كان في القاعة، ولم يقف ليصطاد بل وقف للحديث معهما.

- صيد ثمين.

فرد عليه (دوايت):

- شكرًا لك، هل اصطدت ليلة أمس؟

- نعم، خمس أسماك، أكبرها ستة باوند، لكن غلبني النوم في الثالثة صباحًا، فتوقفت وذهبت للنوم.

ونظر إلى السنارة التي في يد (مويرا) فقال:

- هذه لا تفيد في هذه المياه.

وفتح علبة بلاستيكية وأخرج سنارة من نوعٍ مختلف وأعطاها إياها، ثم قال:

- هذه تصلح، جربيها.

فشـــكراه، وراحت تجربها فأخفقت في أول مرة، لأن السنارة ثقيلة، لكنها بعد ذلك اعتادتها وألقت بها ثانية وثالثة حتى صاحت أخيرًا:

- لقد أصبت هذه المرة يا (دوايت).. اصطدت سمكة.
- إنها سمكة لطيفة، تزن حوالي باوند ونصف، جربي مرة أخرى.
- إنها ليســـت كبيرة مثل الأســـماك التي قمـــت بصيدها، القادمة ستكون كذلك.

واستمرا في الصيد حتى حان موعد الغداء، فجمعا الغنيمة وعادا إلى الفندق، وتناولا كوبًا من البيرة قبل الغداء، وراحا يتحدثان مع الصيادين الآخرين عن الصيد والسمك، وفي منتصف فترة ما بعد الظهر عادا إلى المكان نفســـه ليمارسا الصيد، وفي هذه المرة اصطادت (مويرا) سمكة كبيرة بينما اصطاد (دوايت) سمكتين صغيرتين، وقبل الغروب استراحا بجوار النهر يدخنان ويشاهدان الشـــمس وهي تسقط وراء الأفق، بينما هما في لحظة صمت، جال بخاطرها شيء، فقالت فجأة:

- (دوايت).. من المفترض أن سباق السيارات انتهى الآن.
- أووووه، لقد كنت عازمًا على أن أستمع لذلك في الراديو، للأسف نسيت.
- وأنا أيضًا، إنني أشعر بالأنانية.

- ما كان في وسعنا شيء لنفعله، ستأتينا الأخبار في الساعة السابعة، يمكننا أن نستمع لها.
- أتمنى أن يكون (جون) بخير.

ونظرت إلى المياه الرقراقة، والظلال التي ألقت بنفسها على صفحة الماء بخيوطٍ ذهبية، وقالت:

- يا له من منظرٍ جميل! تصور أننا لن نراه مرة أخرى!
- يا لها من بلدٍ جميل أســتراليا!! لكنني ســأعود إلى وطني، إلى أهلــي، ورغم ذلك فقد أحببت أســتراليا، ولن أرى هــذه المناظر مرة أخرى لأنني عائد إلى وطني.
- هل ستحكي لــ (شارون) عني؟
- بالطبع، وربما هي تعرف الآن.

طأطأت برأسها ونظرت إلى الحصى أسفل قدميها وسألت:

- ماذا ستخبرها؟
- ســأخبرها أنك حولت الوقت الذي ظننته سيئًا إلى وقتٍ جميل، وأنك جعلتني أتذكرها بصدق، وأنك أعدتني إليها كما اعتدت من قبل، سأخبرها كم كلفك هذا!

فنهضت وقالت:

- هيا نعود إلى الفندق، لا أعتقد أنها ستصدق ربع ما قلت.
- بل ستصدقه كله لأنه حقيقة.

عادا إلى الفنـــدق يحملان الســمك، وبعد أن اغتســـلا، تقابلا في القاعة لاحتســـاء مشروبٍ قبل الشـــاي، وأكلا ســـريعًا كي يتمكنا من سماع الأخبار، جلسا مشدودين يســـتمعان إلى الراديو إذ أعلن المذيع انتهاء الســـباق الدولي للجائزة الكبرى، وأن الفائز بالســـباق هو (جون أوسبورن) وهنا صاحت (مويرا): «لقد فعلها يا (دوايت).»

واســـتمرا في الاستماع إلى تفاصيل السباق، وقفا فيما بعد في شرفة الفندق لدقائق قبل النوم، يتأملان الخيط الأســـود للتلال تحت السماء المرصعة بالنجوم، وقالت:

- أنا سعيدة لأن (جون) حصل على ما يريد، أقصد أن الأمور تنتهي بالنسبة له.

فأومأ الأمريكي وقال:

- الأمور تنتهي بالنسبة لنا كلنا.
- نعم يـــا (دوايت).. فالوقت قصير، أرغب فـــي العودة غدًا، فقد اســـتمتعنا بقضاء يومٍ رائع هنا، لكن هناك الكثير يجب إنجازه، والوقت المقرر لذلك قصير جدًّا.
- نعم يا حلوتي، أنا كنت أفكر بالشـــيء نفســـه، لكنك رغم ذلك استمتعت بالوقت؟
- نعم يا (دوايت) أنا ســـعيدة جدًّا، وليس للصيد فحسب، بل لا بد أن يشعر (جون) أنني أيضًا فزت بشيء، ما هو؟ لا أدري.

- لا تحاولي أن تحللي، خذيها هكذا، فأنا أيضًا أشـــعر بالسعادة، لكن أتفق معك بضرورة العودة غدًا، فهناك أشياء تأخذ مجراها.
- أشياء سيئة؟
- لا أريد أن أفســـد عليك الرحلة، ولكن (جون) أخبرني أمس قبل أن نأتي إلى هنا، أنهم عثروا على حالاتٍ مصابة بالإشعاع في ميلبورن، يوم الخميس، وأعتقد أن العدد الآن قد زاد.

9

في صباح يوم الثلاثاء ذهب (بيتر هولمز) إلى ميلبورن في سيارته الصغيرة، لقد اتصل به (تاورز) لمقابلته في مكتب العضو الأول البحري، ولقد أعلن الراديو هذا الصباح لأول مرة حدوث إصاباتٍ بالإشعاع في مدينة ميلبورن، فكانت (ماري هولمز) قلقة بشأن ذهابه، فقالت:

- كن حريصًا للغاية يا (بيتر).. أعني من هذه العدوى، هل من الضروري أن تذهب.

لم يستطع حمل نفسه على إخبارها مرة أخرى، بأن العدوى كانت حولهم، في شقتهم الصغيرة، سواء لم تفهم أو لم ترد أن تفهم.

- لا بد أن أذهب، وإلا تأخرت.
- لا تنتظر حتى الغداء.
- سآتي مباشرة.

وفجأة جالت بخاطرها فكرة، فقالت:

- خذ معك علبة الفورمالين ومص حبة بين وقتٍ وآخر، فهي مفيدة لمقاومة العدوى ومطهرة في الوقت ذاته.

رأى أن هذا سيريحها لو فعل، فقال:

- فكرة لا بأس بها.

انطلق إلى المدينة وهو مشغول جدًّا بالتفكير فيما سيحدث، فلقد أصبح الأمر ساعات، وربما كان هذا آخر واجبات البحرية، فلمَ هذا الاجتماع؟ لا يدري! لكنه وصل هناك وركن سيارته ثم دخل الإدارة ولم يجد أحدًا، فتوجه إلى حجرة استقبال المكتب حيث وجد (تاورز) بزيه الرسمي، فبادر (دوايت) قائلًا:

- أهلًا بصديقي.
- أهلًا يا افندم.

نظر حوله، وفي غرفة السكرتارية، فلم يجد أحدًا وسأل:

- ألم يحضر الضابط المسؤول بعد؟
- لا علم لي، ربما في إجازة.

لحظة وفُتح باب غرفة العضو، ثم ظهر السير (هارتمان).. وجهه شاحب غير ما يتذكره (تاورز).. فابتسم وقال:

- أهلًا بالسادة، تفضلا، السكرتير غائب اليوم.

دخلا، ودعاهما للجلوس، فبادر الأمريكي بقوله:

- لســت أدري إذا كان ما ســأقوله يعني الضابــط (هولمز) أم لا، فربما يرتبط بالاتصالات، فهل ترغب ســيادتك في الاستئذان ببقائه في الخارج؟
- لا، طالما الأمر ســيقصر علينا المهمة، فدعه يبقى، ماذا تريد أيها القبطان؟

أخذ (دوايت) ينتقي الكلمات وهو متردد:

- يبدو أنني أكبر ضابط بحرية أمريكية هنا يا سيدي، لذلك اعذرني لو أنني لم أختر جيــدًا الصياغة والكلمات، لكنني أرغب في ســحب السفينة من تحت إدراتكم يا سيدي.
- حســنًا جدًّا أيها القبطان، أتريد أن تســحبها من المياه الإقليمية الأسترالية، أم تريد أن تظل كضيف؟
- بل أريد ســحبها من المياه الإقليمية، لكن لا أدري متى بالضبط، وإن كان في غضون هذا الأسبوع.

فالتفت الأدميرال إلى الضابط (بيتر ويليامز) وقال:

- يمنح القبطان (تاورز) كل التسهيلات اللازمة.
- حسنًا يا افندم.

فأردف الأمريكي:

- لست أدري ماذا أقول عن التكاليف، فليس لي خبرة في ذلك.

فابتسم الأدميرال ابتسامة خفيفة وقال:

- لا تقلق، كل التكاليف أرسلت للملحق البحري الأمريكي في السفارة، الذي رفعها بدوره إلى واشنطن، فاطمئن من هذا الجانب.
- إذًا هل يمكنني الرحيل يا سيدي؟
- نعم، لو أنني مكانك لفعلت الشيء نفسه، شكرًا على تعاونكم معنا، يا سيادة القبطان، ولو أردت أي شيءٍ لا تتردد لحظة.

وفجأة شعر بوخزٍ في وجهه، فأمسك بقلم رصاص ليخفف الألم، ثم نهض وقال:

- أستأذن في ترككما دقيقة.

وقف القبطان وكابتن الاتصال، ونظر كلٌّ منهما إلى الآخر، وقال القبطان:

- ها هي.
- تعتقد أن السكرتير أصابه الشيء نفسه؟
- أعتقد هذا.

ثم سأل الكابتن عن التموين قائلًا:

- هل أمدك بأي تموين للسفينة؟
- لا، لا نحتاج شيئًا.
- ولا أن أقطرك خارج الحوض.
- ليس من الضروري.

ووقفا في صمتٍ لمدة عشــر دقائق حتى ظهر الأدميرال مرة أخرى، فقال:

- لطيف أنكما انتظرتا، أشعر أنني لست على ما يرام بعض الشيء، هــا هي نهاية صحبة طيبــة معكما، نحن البريطانيــون نمتن بالعمل مع الأمريكيين، وإن كنتم أيضًا اســتفدتم شيئًا منا، من واقع الخبرة، عامة، كل ما أمتلكه الآن هو قول: «إلى اللقاء.»

- أنا سعيد بالعمل تحت قيادتكم يا افندم، أقصد جميع سفننا.

غادرا المبنى الكئيب إلى الفناء، وسأل (بيتر):

- أتريد مني أي أوامر أنفذها لك يا افندم؟

- لا، أشكرك، اعتبر نفسك في حل من الخدمة معنا، وإذا احتجت منك شيئًا سأتصل بالبيت.

- ومتى ستغادر يا سيدي؟

- لا أدري على وجه الدقة، فلدي ســبع حالات في السفينة، فلا بد أن أظل هنا يومًا أو اثنين، وأنطلق يوم السبت.

وصلا إلى السيارتين، وقال القبطان:

- يمكنك الآن الذهاب إلى بيتك، هل أنت بخير؟

- نعم، إلى اللقاء، سأراك مرة أخرى.

- لا أعتقد، فأنا ذاهب إلى وطني، بيتي في ميستيك.

لم يعد بينهما ما يقولانه، فاستقلا سيارتيهما وافترقا.

في منزلٍ من طابقين يقف (جون أوسبورن) بجوار أمه الراقدة مريضة على السرير، لم يكن (جون) في حالةٍ سيئة، لكن أمه مرضت يوم الأحد، اليوم التالي لحصوله على الجائزة، وأحضر لها الطبيب الذي لم يستطع عمل شيء، ولم يحضر ثانية، وأيضًا الخادمة لم تحضر، فصار (جون) يقوم بعمل كل شيءٍ لأمه المريضة، فتحت أمه عينيها بعد أكثر من ربع الساعة وسألت:

- (جون).. هل هذه الحالة التي قالوا عنها؟
- نعم يا أمي، وسآخذها أنا أيضًا.
- هل الطبيب أخبرك بذلك؟
- نعم، ولن يعود مرة أخرى، وأخبرني أنه هو أيضًا سيصاب بها.
- متى سأموت يا (جون).
- لا أدري يا أمي، ربما خلال أسبوع.
- يا لها من سخافة! إنها مدة طويلة.

وأغلقت عينيها مرة ثانية، وأخذ الإناء إلى الحمام وغسله جيدًا ثم عاد به إلى غرفة نومه، ففتحت عينيها مجددًا وسألت:

- أين منج يا (جون)؟
- موجود في الخارج.
- كم أنا قلقة عليه بعدنا!
- لا تقلقي، سيكون معه كلاب كثيرة يلعب معها.

- أنا بخير، اذهب أنت لتهتم بشؤونك.
- أظن أنه ينبغي أن ألقي نظرة على المكتب وأعود قبل الغداء، ماذا تريدين للغداء؟
- هل هناك لبن؟
- هناك علبة في الثلاجة، وسأبحث عن المزيد، وإن كان نفد أمس.

فأغلقت عينيها مجددًا، ثم فتحتهما ثانية وقالت:

- يجـــب أن يأخذ منج اللبن، فهو مفيد له، هناك علب لحم أرنب، افتح واحدة وأعطها له، فهو يحب لحم الأرانب، ولا تقلق بشأن غدائي، فيكفيني دقيق الذرة.

ومدت ذراعيها وقالت:

- أعطني قبلة يا بني.

فمال عليهـــا وقبل وجنتيهـــا المتجمدتين، ورســـمت على وجهها ابتسامة رقيقة، ترك المنزل وذهب إلى مكتبه، لم يكن أحد هناك، ووجد على مكتبه التقرير اليومي ومعه مذكرة من الســـكرتارية تخبره فيها؛ أنها شـــعرت بتعبٍ فاضطرت إلى المغادرة، وأنها لن تستطيع المجيء مرة أخرى، وشـــكرته على حسن المعاملة وهنأته بالفوز، وعبرت عن مدى ســـعادتها للعمل معه، وضع المذكرة جانبًا وفتح التقرير فإذا به يقول أن خمسين في المائة من ســـكان ميلبورن أصيبوا بالإشعاع، لعل هذا آخر تقريرٍ يراه، راح يتجول بين المكاتب الشاغرة، لكن مرض أمه كان ثقيلًا

عليه، فاضطر أن يغادر المكتب سريعًا، ركب الترام الذي ما زال يعمل، به سائق لكن لا يوجد به من يقوم بجمع الأجرة، فزمن دفع الأجرة انتهى، قال السائق أنه سيظل يعمل على هذا الترام اللعين حتى يشعر بالمرض، فسيذهب به إلى المخزن حيث يقيم، نزل من الترام حيث بحث عن اللبن الحليب فلم يجد، فعاد إلى أمه خالي الوفاض، فك الكلب من المربط في الحديقة ظنًّا أن أمه تريد أن تراه، وتوجه إلى غرفة نومها، وسبقه الكلب وهو يقفز أعلى السلم، دخل الغرفة ووجد أمه راقدة على ظهرها والسرير مرتب ومنظم، جس يد أمه فوجدها ميتة، وبجوارها طاولة عليها قنينة صغيرة ومذكرة مكتوبة بقلم رصاص، فقرأها:

«إنه من السخف أن أفسد عليك الأيام الباقية من حياتك بتعليقها على حياتي، إذ أنها عبء عليَّ أنا، لا تقلق بشأن جنازتي، أغلق عليَّ الباب، واتركني في غرفتي، على سريري مع أشيائي من حولي، أستوصيك خيرًا بـ (منج).. فإني مستاءة من أجله، لكن لا شيء في يدي، أنا مسرورة جدًّا بفوزك بالجائزة، يا حبيبي الغالي، أمك.

انسابت بعض الدموع على وجنتيه، بعض الدموع.. «أمي دائمًا على حق، وها هي الآن على حقٍّ مرة أخرى.»

غادر الغرفة وذهب إلى قاعة الاستقبال، يفكر بعمق، لم يكن مريضًا ولكن كلها مسألة ساعات، ذهب الكلب خلفه، فأجلسه على فخذيه وأخذ يداعب أذنيه، ثم نهض وذهب إلى الصيدلية المجاورة، فوجد فتاة وطلب منها العلبة الحمراء، وأخبرها أنه يفضلها مغلفة بالشوكولا،

فأخذهـــا وعاد إلى المنزل، وجاء بعلبةٍ مـــن لحم الأرانب ووضعها في الفرن وخلــط فيها أربعة أقراص مـــن المنوم ثم وضعهـــا أمام الكلب الذي هجم عليها بشراهة، ذهب إلى الهاتف في الصالة واتصل بالنادي وحجز لنفسه غرفة لمدة أسبوع، وبدأ يرتب حقيبته، ثم عاد إلى المطبخ ثانية ووجد (منج) يكاد أن يفقد وعيه، فحقنه بالحقنة، وانتظر حتى تأكد أنه قد مات، فحمله ووضعه على الأرض بجوار سرير أمه وترك المنزل.

كانت ليلة الثلاثاء مزعجة في منزل (هولمز).. فالطفلة استيقظت في الساعة الثانية وبدأت تصرخ دون توقف حتى الفجر، فلم يستيقظ الأب ولا الأم من النوم، وفي حوالي الساعة السابعة تقيأت، وبدآ هما يشعران بالتوعك، فسألت (ماري):

- أتظن يا (بيتر) أن هذه هي الحالة؟
- لست أدري، ربما أخذناها، فالجميع سيأخذها.

فمررت يدها على جبينها وأضافت:

- من المفترض أننا أفضل هنا في الريف.

لم يدر ماذا يقول لها ليريحها، لكنه قال:

- سأضع الإناء، أتريدين أن أصنع لك كوبًا من الشاي معي؟

فتحاملت ورسمت ابتسامة وقالت:

- جميل، حسنًا.

فمضى إلــى المطبخ، ورأت أنها يمكن أن تذهب إلى الحمام وتتقيأ دون أن يشعر (بيتر).. وبالفعل فعلت ذلك، وبدوره كان في المطبخ فملأ الإنـــاء بالماء ووضع المقبس، وفرح عندما رأى هناك تيارًا، فالوقود في هذه الأيام صعب جدًّا، شــعر بالقيء فذهب إلى الحمام، فوجده مغلقًا، فذهـــب إلى الحديقة وتقيأ في الخلف، ظــل هناك بعض الوقت ثم عاد واتجه إلى المطبخ وأكمل صنع الشـــاي وحمله إلى غرفة النوم، وكانت (ماري) هناك تنظر إلى سرير (جينيفر).. وجهها شاحب، وعندما سألها أن تشـــرب الشـــاي، لم تســـتطع أن تنظر إليه خوفًا من أن يرى شحوب وجهها، واكتفت بردها: «صبه وضعه حتى أجيء.»

فلما جاءت رأت أن ملابسه مبللة بالماء، فسألته:

- (بيتر).. هل كنت في الخارج؟

فنظر إلى نفســـه واندهش لأنه لم ينتبه لذلك، وفـــي الوقت ذاته لم يستطع إخفاء الأمر، فقال:

- نعم، شعرت أنني أرغب في الخروج.
- لماذا؟
- تقيأت.
- وأنا أيضًا يا (بيتر).. أظن أن الفطائر التي أكلناها هي السبب، ألم تلحظ فيها شيئًا غريبًا؟

- كان مذاقها مستساغًا لي، بالإضافة إلى أن (جينيفر) لم تأكل أي فطائر باللحم.
- (بيتر)! هل تظن أنها هي......؟

فأمسك بيدها وقال:

- هذا ما سيلحقنا كلنا، فلسنا محصنين.

فرفعت عينيها ونظرت في عينيه ثم قالت:

- لا أظـــن أننا محصنون، إذًا هي النهاية، ســـنمرض أكثر وأكثر ثم نموت.
- لم أجربها من قبل، لكن أحسبها كما يقولون.

تركته وذهبت إلى الصالة، وتـــردد لحظة ثم تبعها، وجدها تطل من النافذة البارزة وتنظر إلى حديقتها التي أحبتها حيث جو الشتاء، وقالت:

- أنا حزينة جدًّا لأننا لم نحصل على مقعد الحديقة.
- سأحاول أن أعثر على واحدٍ اليوم.
- هذا إذا لم تكن مريضًا.
- ســـأرى ذلك، من الأفضل أن نعمل شـــيئًا ما بدلًا من الجلوس والتفكير في تعاستنا.
- أشعر أنني تحسنت الآن، هل ترغب في إفطار؟
- لا مانع، ماذا لدينا؟

- ثلاث علب لبن، هل يمكننا أن نحصل على مزيد؟
- سآخذ السيارة وأذهب لأرى.
- لو وجدت دقيق ذرة سيكون أفضل لأنه غني بالجلوكوز، ومفيد للمرض.
- سأستحم أولًا، ربما أستفيق، وأذهب بعد ذلك.

تحمم بالفعل، وعندما خرج كانت في المطبخ تعد الفطور، ولدهشته سمعها تغني، تغني أغنية خفيفة تقول: «من الذي صقل الشمس.»

فدخل إلى المطبخ وقال معلقًا:

- أنت مبتهجة.
- نوع من الارتياح.

ولمح أنها كانت تبكي وهي تغني، فمسح دموعها واحتضنها بين ذراعيه، ثم سألها:

- ما الذي يقلقك؟
- الناس يقولون أن هذا الشيء يأتي بتوقيتٍ مختلف، فربما أرحل أنا أولًا أو أنت أو (جينيفر) تتركنا وحيدين، يا له من كابوس!

وابتسمت خلال دموعها ثم استطردت:

- لكننا الآن أصبنا معًا في وقتٍ واحد، فيا لنا من محظوظين!

في صباح الجمعة توجه (بيتر) إلى ميلبورن، ظاهريًّا ليبحث عن مقعد حديقة، فأسرع كي لا يتأخر عن البيت وبحث عن (جون أوسبورن) فلم يجده في المـــرأب، ولا في المكتب، وأخيرًا وجـــده في غرفة نومه في نادي باستورال، ضعيفًا ومريضًا، قال له (بيتر):

- (جون).. آسف لأنني أزعجتك، كيف حالك؟
- لقد أصابتني يا (بيتر).. منذ يومين، وأنت ما أخبارك؟
- هذا ما جئت إليك من أجله، (ماري) وأنا نعاني منذ يوم الثلاثاء، هي في حالةٍ يرثى لها، أما أنا فقد شـــعرت بتحسنٍ يوم الخميس، أمس، ولـــم أخبرها بذلك، والآن صحتـــي كالحصان، وأشـــعر بالجوع، لقد توقفت فـــي طريقي بكافتيريا وتناولت فطورًا دســـمًا، وما زلت جائعًا، فعلًا أشعر بتحسن.

فهز العالم رأسه وقال:

- ليس دائمًا، ستشـــعر بتحسن لفترة ثم تعود مرة أخرى، وهل هي في السرير؟
- لا، إنها معي جاءت كي تشتري كرات نفتالين.
- ماذا؟
- كرات نفتالين، لتضعها بين الملابس، لقد تركتها تفعل ما تريد.

وعاد إلى الموضوع الذي جاء من أجله..

- ألا يوجد أمل يا (جون)؟

- لا أمل يا رجل، كلنا سننتهي، إنها ستكتسح اكتساحًا شاملًا.
- إذًا، هل تريد مني أي شيء، فأنا سأعود بسرعة إلى (ماري).
- لا، شكرًا.
- كيف حال أمك؟
- ماتت.

قالهـا باختصـار، وكان التفكير فـي (ماري) كل ما يشـغل (بيتر) فاستأذن.

- وداعًا يا رجل.

بعد أن غادر (بيتر) ارتدى (جون) ملابسه ونزل إلى حديقة النادي حيث وجد عمه وأمامه كأس شيري، فقال عمه:

- صباح الخير يا (جون).. كيف حال النوم معك؟
- متعب جدًّا.
- يا له من أمرٍ مؤسف! الجميع متعب ومريض هنا، تصور ذهبت وصنعت بنفسي فطوري في هذا النادي، على أي حالٍ حالًا سيأتي أحد العاملين وسيصنع لنا الغداء، أتتناوله معي؟

ولأن العالم يعرف أنه لن يتناول الغداء في أي مكانٍ، قال:

- أشكرك، لا أستطيع أن آكل أي شيء، وأنت كيف حالك؟
- لا بأس.

فتساءل العالم سرًّا عن المدى الذي يزيد الكحول من مقاومة تأثير الإشعاع، ثم قال بصوتٍ مرتفع:

- أتركك الآن، أراك في المساء، ربما.
- أنا هنا يا بني، ستجدني هنا.

غادر النادي وتمشى في الشوارع المصطفة بالأشجار ثم اتجه إلى المرأب حيث سيارته كما اعتقد تحتاج بعض العناية، ففتح باب المرأب وبدأ يقوم بركن السيارة ظنًّا أنه لن يستخدمها بعد الآن، ففك الإطارات ورفع السيارة على الطوب، وخلع شمعات البوجيه، ونظفها، ونظف السيارة، وأثناء قيامه بهذا العمل انتابته أزمة، فخرج من المرأب، وعاد مرة أخرى حتى انتهى من العمل وقد نال منه الإرهاق حتى أنه خشي أن يموت قبل أن يصل إلى النادي، لكنه فكر مرة أخرى ورأى أن هناك أكثر راحة من النادي بكثير، فجلس في السيارة بوضعها هذا، وارتدى (الخوذة) والنظارة، وأخرج من جيبه العلبة الحمراء ثم أخرج الحبوب وابتلعها بصعوبة بعد أن ألقى بالعلبة بعيدًا.

بعد أن غادر (هولمز) النادي، توجه إلى شارع إليزابيث حيث محلات الأجهزة ودخل واحدًا يبدو مهجورًا، فوجد جزازة خفيفة، ورأى المتجر كأنما اقتحمه بعض الأشخاص ونهبوه، فقد كانت الكهرباء مفصولة، وكل الأجهزة متوقفة من المصدر، ثم مر على قسم الحدائق، ووجد مقعدًا خفيفًا بألوانٍ زاهية ووسائد منفصلة، ورأى أنه سيسعد (ماري) جدًّا فأخذه إلى الخارج ووضعه في السيارة بجهدٍ بالغ، ثم انطلق

إلــى المنزل، وفي الطريق توقف أمام الكافتيريا نفســها التي تناول فيها الفطور، وتناول بعض (سندوتشات) اللحم، بل وأخذ بعضها ووضعها في حقيبة الســيارة حيث لا تراها (ماري) كي يتناولها خلسة في الليل، لأنه لا يريد أن يخبر (ماري) أنه بصحةٍ جيدة، فقد أراد أن تعيش في حلمٍ أنهم سيذهبون جميعًا معًا، وصل إلى المنزل، وترك مقعد الحديقة على ســطح السيارة ثم صعد إلى الطابق الثاني ودخل غرفة النوم حيث وجد (ماري) راقدة على السرير ومغطاة، فجلس بجوارها وسألها:

- كيف حالك الآن؟
- لست على ما يرام، أنا قلقة جدًّا على (جينيفر).

فنهــض من جوارها وذهــب ليلقي نظرة على الطفلة في ســريرها، فوجدها ضعيفة وفي حالةٍ مرضية شديدة مثلها مثل (ماري).. فسألته:

- كيف حالك أنت يا (بيتر)؟
- ليس جيــدًا، فقد تعبت مرتين أثناء الذهــاب ومرة أثناء العودة، بالمناسبة اشتريت لك مقعد الحديقة.
- أين هو؟ دعني أراه.
- ارتاحي أولًا، وسأوقد نارًا للتدفئة وبعد ذلك سأجعلك ترينه.
- لا أستطيع أن أنام قبل أن أرى (جينيفر) كي أبدل لها ملابسها.
- سأقوم أنا بذلك.

وبعد أن قام بكل ما قاله من نارٍ ومراعاة (جينيفر) ذهب وأقام المقعد في المكان نفســه الذي كانت تريده فيه، وقفت تنظر من النافذة البارزة ورأت المقعد بألوانه الزاهية، فابتسمت وصاحت:

- يا له من مقعدٍ جميل! هذا ما تمنيته، لنجلس به أيام الصيف مساءً ونهار الشتاء في دفء الشمس.. (بيتر).. هل أصنع لك شيئًا لتأكله؟
- لا، ليس لي رغبة في الأكل، وأنت؟
- لا، لكنني أشعر ببردٍ شديد.
- ما رأيك في خليط براندي وليمون؟
- لا مانع، أجرب.

أوشــكت النــار أن تخمد فأبلغها بأنه ســيذهب ويأتــي بمزيدٍ من الحطب، فنزل إلى الحديقة حيث كومة الحطب واستغل الفرصة وفتح حقيبة الســيارة ثم التهم ثلاثة (ساندوتشــات) لحــم، عندما عاد وجد (ماري) واقفة بجوار سرير (جينيفر).. فسألته:

- لماذا تأخرت، ماذا كنت تفعل؟
- تعبت فجأة، دعينا نحتسي المشروب الساخن.

اصطحبها إلى حيث الدفء المنبعث من النار الهائلة التي أشــعلها، فجلست أمامها على الأرضية وأعطاها المشروب الساخن من البراندي والماء وعصير الليمون، بدأت ترتشــف من المشــروب فجعلها تشعر

بتحسن، وصب لنفسه مشروبًا، وجلســا في صمتٍ لعدة دقائق، بعدها قالت:

- (بيتر).. لماذا يحدث لنا كل هذا؟ ألأن روسيا والصين قد نشبت بينهما الحرب؟

فأومأ وقال:

- هــذا من جهة حجمها، لكن هناك أشــياء أكثــر من هذا، أمريكا وإنجلترا وروســيا بدأت القصف من أجل الدمار أولًا، والأمر كله بدأ مع ألبانيا.
- لكن لا علاقة لنا بالأمر، هنا في أستراليا.
- دعمنا إنجلترا معنويًّا، ولم يكن لدينا شــيءٌ آخر غير هذا، وكل شيءٍ انتهى في شهر.
- ألم يستطع أحد أن يوقفها؟
- لا أدري، لكن بعض السخافات لا يمكن إيقافها، وليس هناك إلا تعليمهم كيفية الخروج من السخافات.
- وهل يمكننا ذلك الآن؟ أعني أنهم تعلموا وانتهوا من المدرسة.
- الصحف، كان من الممكن أن نفعل شيئًا نحو الصحف، غير أننا لم نفعل، ولا أي دولة فعلت لأننا كلنا كنا في منتهى السخافة، لقد أحببنا صحفنا بصور الفتيات على الشــاطئ، والعناويــن عن الاعتداءات غير

الشريفة، ولم تكن هناك حكومة حكيمة توقف تناولنا لها بهذه الطريقة، فربما حدث شيءٌ عن طريق الصحف لو أننا كنا عقلاء.

وكما لو أنها لم تفهم تعليله، قالت:

- شيءٌ جيد أننا لا نمتلك صحفًا حاليًّا، فالحياة أجمل بدونها.

وانتابتها نوبة مرضية فأخذها إلى غرفة النوم، بينما هي في غرفة النوم عاد إلى غرفة الجلوس ليلقي نظرة على الطفلة، ولم يكن في يده شـــيءٌ يفعله، ربما ينتهي أمرها هذه الليلة، و(ماري) أيضًا في حالةٍ سيئة، ولكن ليست أسوأ من هذه، الوحيد الذي كان أفضل، هو شخصيًّا ولكن يجب ألا يظهر ذلك، فكرة العيش بعد (ماري) أفزعته، فلن يســـتطيع البقاء في الشقة، وليس له مكان يذهب إليه في الأيام المتبقية له، وليس لديه شيءٌ يفعله، وراودته فكرة لو أن ســـكوربيون لم تزل في ويليامزتاون، لذهب إلى (دوايت تـــاورز) وتلقاها في البحر أفضـــل، البحر الذي هو حياته العملية، ولكن لماذا يفعل ذلك؟ إنه يفضل البقاء مع أسرته.

نادتـــه من الحمام، فذهب إليها وأعادها إلـــى غرفة النوم حيث النار التي أشعلها من أجلها، لم تزل ترتعش من البرد فأعد لها كأس البراندي والماء الدافئ، وغطاها، فأمســـكت الكأس بيديها لتسكن هذه الرعشة التي تهزها، وسألته:

- (بيتر).. كيف حال (جينيفر)؟

فذهب إلى سرير الطفلة ثم عاد ليقول:

- إنها كما هي.
- وأنت؟ كيف حالك؟
- متعـــب، لكن أرى حالتك أصعب من حالتـــي، فهو يوم أو اثنان بعدك، وربما يكون ذلك بســـبب التكوين الجسماني، لا أعتقد أن أحدًا سينجو منها.
- أشـــعر أنني لن أستطيع الذهب إلى الحمام بعد ذلك.. (بيتر) أود أن أتلقاها الليلة وآخذ (جينيفر) معي.

وضم يديها إليه، وقبلهما ثم قال:

- سألحق بكما، سأذهب الآن وأملأ القربة بالماء الساخن وأضعها في الســـرير، وارتدي أنتِ المنامة وخذي (جينيفر) بجوارك، وسأغلق الباب وأسقيك كوبًا ساخنًا، ونأخذ هذه الحبوب التي أحضرتها لنفعلها معًا.
- تذكـــر أن تفصل الكهرباء من المصدر حتـــى لا تقرض الفئران السلك، فيحدث ماس كهربي ويحترق المنزل بنا.

ونظرت إليه والدموع في عينيها ثم قالت:

- هل ستعطي (جينيفر) هذا الشيء؟

فمر بيديه على شعرها وقال:

- لا تقلقي، سأفعلها برفق.

وساعدها كي تدخل الحمام، ثم ذهب إلى المطبخ ليضع الإناء على الموقد لآخر مرة، ثم وضع الإبريق الدافئ على صحفة وأتى بها بجوار السرير، ثم أتى بالطفلة، وحضنها للمرة الأخيرة.

- (بيتر).. أعطها هذا الشيء بسرعة، ولا تجعلها تتعذب.

فأسرع وأعطى الطفلة الحقنة في ذراعها برفق، وقام هو شخصيًّا وبدل ملابسه وارتدى منامة نظيفة، ثم أطفأ الأضواء وترك مصباحًا صغيرًا بجوار السرير، وأخرج النار في الصالة ثم أشعل شمعة لتضيء المكان في حالة انقطاع الكهرباء، إذ أنه ذهب وفصل مصدر الكهرباء، وخلط المشروبات وأسقى (ماري) وشرب، ثم قالت:

- لقد قضيت وقتًا جميلًا معك منذ أن تزوجنا، أشكرك يا (بيتر) على كل ما فعلته لي.
- وأنا أيضًا قضيت أجمل أيام عمري معك.

وتناولا الحبوب من العلبة الحمراء.

في ذلك المساء اتصل (دوايت) بهاركواي، وهو يتوقع ألا يتلقى إجابة، لكن ردت عليه (مويرا) فقال:

- لم أتوقع أن تجيبي، كيف حالكم؟
- سيئ يا (دوايت).. أعتقد أن أبي وأمي حالتهما سيئة جدًّا.
- وأنتِ؟
- أظن أنني سألحق بهما، وأنت كيف حالك؟

- الحال نفسه، واتصلت لأودعك، فسننطلق غدًا.
- ألن تعود مرة أخرى؟
- لا، فمهمتنــا انتهــت، واتصلت لأعبر عن امتنانــي للأيام التي

قضيتها معك، فهي تعني لي الكثير.

- (دوايت).. أيمكنني أن آتي لأودعك؟
- بالطبع، لكن بســرعة لأن الرجال حالتهم ســيئة، وكل يومٍ تزداد

سوءًا.

- متى سترحلون؟
- سننطلق في الساعة الثامنة، في بداية النهار.
- سأحضر.

بلغها رسالة إلى أبيها وأمها، ثم أغلق الخط.

دخلــت غرفة نومهما وهما نائمان في الســرير المزدوج، وأبلغتهما رسالة (دوايت).. وأخبرتهما بما تريد أن تفعله.

- سأرجع في موعد الغداء.

فقالت أمها:

- اذهبي واشــكريه، إنه إنسان طيب، وإذا عدت ولم تجدينا، فأنتِ

تعلمين.

فجلست بجوار أمها، وكان والدها قد فتح عينيه متسائلًا:

- هل تمطر؟
- لا، ليس الآن.
- إذًا افتحي بوابات المخازن وكل البوابات يا (مويرا).

وأغلق عينيه، مردفًا:

- بلغي (دوايت) تحياتي، أتمنى أن يتزوجك.
- وأنا أتمنى ذلك، لكنه رجل من النوع الذي لا يتغير بسرعة بهذا الشكل.

خرجت (مويرا) وفتحت جميع البوابات وعادت ثم أخبرت أباها بذلك فشعر بالارتياح، ذهبت إلى غرفتها وضبطت المنبه على الساعة الخامسة كي لا تستغرق في النوم، أثناء الليل دخلت الحمام أربع مرات، واستيقظت على صوت المنبه، وتحممت، ونظرت إلى غرفة أبويها، فكان أبوها نائمًا بينما ابتسمت لها أمها، فدخلت وقبلتها وأغلقت الباب في هدوء، ثم ارتدت الملابس الحمراء نفسها التي كانت ترتديها عندما قابلت (تاورز) لأول مرة، أخذت زجاجة براندي من الثلاجة وأخذت السيارة وأدارتها ثم سارت في الطرق المهجورة تحت الأنوار الباهتة، وفي منتصف الطريق توقفت لتحتسي قليلًا من البراندي ثم استأنفت سيرها، وصلت إلى الرصيف في الساعة السابعة والنصف، دخلت الميناء فلم تجد أي حراسة فدخلت وحاولت أن تتذكر الطريق حتى قابلها جندي أمريكي فأرشدها إلى الطريق المؤدي إلى الغواصة،

فســألت رجلًا قابلها عن القبطان (تاورز).. فــي لحظاتٍ كان القبطان (تاورز) أمامها، آخذًا بيديها قائلًا:

- كيف حالك يا حلوتي؟
- ســيئة جدًّا وأعتقد أن أبي وأمي سينتهيان الليلة، كلنا سننتهي في يوم.. (دوايت).. أريد أن أسألك عن شيء.
- ما هو يا حلوتي؟
- أيمكننــي أن آتي معك في الغواصة، فليس لي شــيء هنا، وأبي جعل كل شيءٍ ليتخلص من نفسه بنفسه.

توقف فترة صامتًا، فكانت تتوقع الإجابة بـــ (لا) وقال:

- لقد طلب مني أربعة رجال الطلب نفســه فرفضت، آســف، فإن العم (ســام) لن يســمح بذلك، وأنا أخذت الســفينة في مهمةٍ بحرية، وسأظل هكذا حتى النهاية.

فرسمت ابتسامة باهتة، وقالت:

- بلغ تحياتي لــ (شارون) والأطفال.

فلمس ذراعها وقال:

- إنك ترتدين الملابس نفسها التي قابلتني بها.

وأخذ بذراعها وضمها إليه وقبلها، فظلت في حضنه لفترة ثم حررت نفسها:

- دعنـــا لا نطيل فترة العذاب، لقـــد قلنا كل ما يمكن أن يقال، متى سترحلون؟
- حالًا، في غضون خمس دقائق.
- ومتى ستصلون؟
- لن أضيع وقتي، قولي حوالي ساعتين من الآن.
- سأظل أفكر بك، اذهب يا (دوايت).. ربما أقابلك ذات يوم.

جذبها إليه وحاول أن يقبلها، لكنها رفضت وقالت ســرًّا: «ربما أبدأ أنا بالبكاء.»

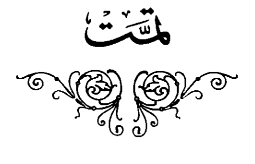
فقال لها:

- أشكركِ على كل شيءٍ فعلته معي.

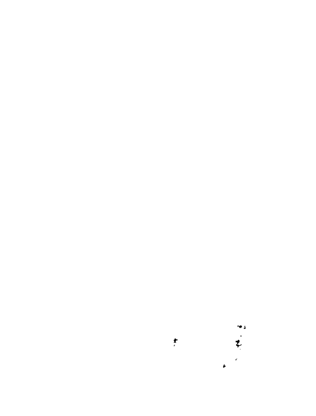
واســتدار ليذهب إلى الغواصة، ورأته وهو يســير في الممر، ثم مر علـــى القنطرة المؤدية إلـــى الغواصة، ولوح لها بيده، وبدأت الســفينة في التحرك، في الثامنة والثلاث دقائق عادت أدراجها، ليس لها شـــيء في هاركواي ســوى الصمت والذكريات الحزينة، وهي تحدث نفسها في العاشـــرة تقريبًا ســيكون (دوايت) في بلده، وقدرت أنها لم تستطع الذهاب معه بســبب القوانين البحرية الصارمة، ركبت السيارة والتفت حول الرصيف وبدأت تســير في الطرق المهجورة بسرعة، ونظرت إلى العلبة الحمراء التي بجانبها، وهي تجوب شـــوارع المدينة المهجورة، وازداد شـــحوب وجهها وبدأت قواها تخونهـــا، ورغم ذلك مرت على كل الأماكن التي ترتبط بها بذكريات وقضت فيها أيام طفولتها السعيدة،

وبجوار البحــر حيث يرتمي على يمينها المحيــط، وجهت بصرها في المسار الذي توقعت أن تكون فيه الغواصة، وركنت السيارة ثم تناولت جرعة أخرى من البراندي، ورغــم أنها تعلم أن (دوايت) لا يراها فإنها لوحت له بيدها، هبت الرياح الباردة وشــعرت بقشعريرة، فعادت إلى الســيارة، يمكنها أن تلوح له من السيارة فهو لا يراها هنا أيضًا، جلست في الســيارة وفي يدها الزجاجة، إنها النهاية، النهاية لكل شيء، نظرت إلى معصمها، الســاعة العاشرة ودقيقة، لقد عادت إليها سمات الطفولة الدينية في هذه الدقائق الأخيــرة، ورددت رغم الكحول الذي في فمها الصلاة، وأمســكت بالعلبة الحمراء التي بجوارها وفتحتها، وقد انتابتها نوبة مرضية أخيرة، وابتسمت ابتسامة باهتة، كانت الساعة العاشرة وعشر دقائق، وقالت: «يا (دوايت).. إذا كنت فعلًا في طريقك، انتظرني.»

ووضعت الحبوب في فمها ثم ابتلعتهــا بجرعةٍ من البراندي، وهي جالسة خلف عجلة القيادة في سيارتها الكبيرة.



ترجمة / شرقاوي حافظ



تدور أحداث رواية (على الشاطىء) الشيقة المثيرة، للكاتب الشهير (نيفيل شوت)، من خلال علاقة رومانسية خاصة، تؤكد أن الحب هو ما سيبقى في الحياة حتى بعد فناء الإنسان..

هذا الإنسان الذي دائماً ما يتمسك بالحياة إلى آخر لحظة حتى وهو يواجه الموت، ومن جهة أخرى يقود نفسه نحو الهلاك ويسعى بيديه إلى أن يفني نفسه بنفسه من على هذه الأرض..

وذلك هو الصراع الفريد الذي جسدته رواية على الشاطىء، وجعل صدى نجاحها يصل إلى عنان السماء، فقد حققت في وقتها أعلى المبيعات، وتم تحويلها إلى فيلم سينمائي قام ببطولته نجوم السينما العالمية، وكان على رأسهم العملاق (جريجوري بيك) والحسناء (آفا جاردنر)..

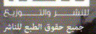
ونجاح الرواية المنقطع النظير كان السبب في تحويلها إلى مسلسل تلفزيوني أذيع في أمريكا وانجلترا واستراليا وكندا وبعض الدول الأوروبية..

وذلك ما ضاعف من نجاح الرواية ومن نجاح الكاتب الروائي نيفيل شوت، الذي يحظى بشهرة في أمريكا واستراليا توازي شهرة شكسبير، وبروايته على الشاطىء وضع له بصمة إبداع جديدة في تاريخه الأدبي..

الناشر


ISBN 978-977-787-265-2

#القدس_عاصمة_فلسطين



تصميم الغلاف
Khalid El Sherif